بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات الأدبية والنقدية

اتجاهات الشعر العربي في المشرق

(في القرن السادس الهجري)

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الأدب والنقد

إعداد الطالب
صلاح عبد اللطيف محمد أحمد

إشراف الدكتور
بابكر البدوي دشين

١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م

المقدمة :

الحمد لله نستغفره ونستعينه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله .

لفت نظر الباحث ذلك الاسم الذي أُطلق علي أدب فترة طويلة من تاريخنا، وهو أدب الانحطاط أو أدب الدول المتتابعة ، وقد أشار مؤلفو تلك الكتب إلي هذا الأدب إشارة عجلى، واستشهدوا ببعض نتاجه ، وأطلقوا حكمهم عليه مسرعين إلي العصور الأخرى التي تلته. لهذا أثار الرغبة في نفس الباحث للإطلاع علي أدب هذا القرن، ولا سيما أهمية هذه الفترة الزمنية في التاريخ الإسلامي ، فهي قد شهدت أحداثاً كبرى أهمها سقوط بيت المقدس، وخراب بغداد، وتهديد الثغور المصرية، وقيام دول متتابعة ثلاث في الشام ومصر وغيرها . وتحرير بيت المقدس وطرد الصليبيين . لذلك اخترت أن أدرس القرن السادس الهجري في المشرق من خلال الاتجاهات الشعرية و الظواهر التي سادت فيه .

أهداف البحث :

يهدف البحث إلى تتبع الاتجاهات الشعرية في القرن السادس الهجري في المشرق، وتفصيل القول في كل اتجاه ، ودارسة بواعثه .

حدود البحث :

اقتصر البحث علي اتجاهات الشعر في القرن السادس الهجري في المشرق، والمراد به المنطقة الواقعة من مصر غرباً إلي ما وراء أصفهان شرقاً. ولم يتجاوز البحث هذه الحدود إلا بمقدار ما تقضيه طبيعة البحث.

أولاً: منهج البحث : ـ

اتبع الباحث المنهج التاريخي في دراسة القرن السادس الهجري، والمنهج الوصفي التحليلي بتحليل النماذج الشعرية تحليلاً يبرز ما يحمله النص .

ثانياً: مصادر البحث :

اعتمد الباحث في هذه الدراسة علي ألوان من المصادر المتنوعة تاريخية ، وأدبية، وشعرية، ونقدية. وتأتي كتب التاريخ من حيث أهميتها في المرتبة الأولى. وقد اعتمد عليها الباحث في تخريج وتوثيق كثير من النصوص الشعرية. ويأتي كتاب الروضتين في أخبار الدولتين على رأس هذه الكتب، وكتاب خريدة القصر وجريدة العصر، وكتاب معجم الأدباء ، ووفيات الأعيان وهذا علي سبيل المثال ، أما فيما يتعلق بالمصادر الحديثة فقد استفاد الباحث من بعض الكتابات المهمة التي أرخت تلك الفترة وعلي سبيل المثال الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، والأدب في بلاد الشام في عصور الزنكيين والأيوبيين والممالك ، وشعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام، والأدب في العصر الفاطمي ، وغيرها إضافة إلي دواوين عدد من الشعراء ، كديوان ابن الخياط، وابن القيسراني، وأسامة بن منقذ ، وابن سبط التعاويذي، والأبيوردي والأرجاني وغيرها .

ثالثاً: صعوبات البحث :

وقد كنت أعرف منذ البداية أن هذا العمل تكتنفه صعوبات عديدة، منها أن الدارسين المحدثين لم يتطرقوا إلى هذا الموضوع بشكل مفصل، بل اكتفوا بإشارات عابرة. وإذا أضفنا لما سبق أن البحث مقيد باستلهام هذه الاتجاهات من خلال الشعر، لوضح لنا صعوبة الأمر ، وأمرٌ آخر واجه الباحث هو جمع النصوص والأخبار من أيدي الشتات ، ثم إحياؤها درساً وتحليلاً ..

رابعاً: هيكلة البحث:

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه الي أربعة فصول مع مقدمة ، وتمهيد تحدثت فيها عن صورة العصر ، فجاء الفصل الأول بعنوان الاتجاه الديني ويحتوي علي المباحث التالية : المبحث الأول شعر الجهاد والحماسة الدينية ، والمبحث الثاني شعر التصوف والمبحث الثالث شعر المديح النبوي والمبحث الرابع شعر الزهد والمبحث الخامس شعر الحكم و الوعظ وجاء عنوان الفصل الثاني الاتجاه الاجتماعي وقد حوى أيضاً مباحث فجاء عنوان المبحث الأول شعر المديح والمبحث الثاني شعر الهجاء والمبحث الثالث شعر الرثاء والمبحث الرابع شعر الأخوانيات أما الفصل الثالث فجاء بعنوان الاتجاه الوجداني فجاء المبحث الأول بعنوان شعر الغزل والمبحث الثاني شعر الخمريات أما المبحث الثالث فجاء بعنوان شعر الشكوى والغربة ، وأفرد الباحث الفصل الرابع للاتجاه الشكلي فجاء عنوان المبحث الأول بعنوان اللغة والأسلوب والمبحث الثاني الموسيقي والأوزان أما المبحث الثالث الصورة الشعرية وأخيراً الخاتمة ثم فهرس الآيات والأحاديث والإِشعار ثم ثبت المصادر والمراجع ومحتويات البحث ، والله أسأل أن يوفقنا لما فيه الخير ، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجه الكريم ، إنه سميع مجيب .

مستخلص البحث

الغرض من هذا البحث، للنظر للأدب خلال القرن السادس الهجري في المشرق العربي، لأهمية هذا القرن في التاريخ الإسلامي، واشتماله على العديد من الأحداث منها سقطوط بيت المقدس، وتدمير بغداد، وقيام دويلات وفقدان السيطرة عليها في كل بلاد الشام ومصر، وسقوط ثلاثة منها.

استخدم الباحث كل من المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي التحليلي، من خلال تحليل نماذج من الشعر في تلك الفترة للخروج بدلالات ومضامين عنها.

توصل الباحث إلى العديد من النتائج من أهمها: تنوع وتعدد الاتجاهات الشعرية، في هذا القرن والتي شملت الجوانب الوجدانية، والصوفية، وتطور الألفاظ والمعاني والأشكال الشعرية، وبدأت تميل إلى الوضوح والبساطة وتجنب التعقيد.

أوصى الباحث بضرورة الاهتمام بالأدب في القرن السادس الهجري، ودراسة أنماط الشعر التي وجدت فيه، ودراسة الأشعار التي تنادي بوحدة الأمة الإسلامية ووقوفها في وجه الأعداء.

Abstract

The purpose of this research is to have a look at the literature of the sixth Lunar century in the Levant because it has a special importance in the history for witnessed great events, the most important of which are the fall of Jerusalen, the destruction of Baghdad, the threating of the Egyptaion controled entrances the constitution of the three consequence states in sham and Egypt.

The research uses both historical and analytical descriptive methods through analyzing the poetic patterns in a way which manifest their a esthetics.

The research came to many findings some of them are the diverse expanded poetic trends which include the net ward, emotional, social and spiritual sides, concerning the meanings, ideas and figure of speech poets tended to clarity, simplicity, and complication a voidance.

The searcher recommended the coming researchers to pay great attention to the literature of the six Lunar century, and to study that kind of poetry which calls for the unity of the nation against its enemies.

التمهيد
صورة العصر

من الثابت أن الأدب والحركة الأدبية ، في أي عصر من العصور ، تتأثر بشكل كبير بالأحوال المختلفة التي تسود العصر، من سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وثقافية. ويطلق بعض النقاد علي هذه الحياة بتفاصيلها دراسة ما حول الأدب .

وينطبق ذلك بصورة واضحة على أدب القرن السادس الهجري فالأحوال التي سادت هذا القرن أمدت الشعر بألوان من التغذية جعلته ذا مظهر خاص به. ومن أجل ذلك سنولي العصر قدراً موجزاً من الدراسة التي تعنينا للوقوف على طبيعة صلته بالحياة التي سادت فيه .

أولاً: الحياة السياسية:

يعد القرن السادس الهجري من قرون التحولات السياسية في الشرق الإسلامي فقد صاحب هذا القرن تغيرات جذرية ، تمثلت في هذه الهجمات التي قام بها الغرب على الشرق الإسلامي والتي عرفت تاريخياً بالحروب الصليبية، ومهما حاولنا أن نضع أيدينا علي أسباب ودوافع الحروب الصليبية، إلا أننا ننتهي إلى حقيقة مؤكدة هي أن رغبتهم في القضاء علي الإسلام، هو السبب الأكثر بروزاً بين هذه الدوافع .

إن الانتصارات التي حققها الصليبيون في الحروب الصليبية، تؤكد علي حالتي الضعف والتمزق السياسي اللتين عايشتها الأمة الإسلامية في تلك الفترة . فالخلافة العباسية في بغداد كانت تعيش نفقاً مظلماً، ومنعطفاً خطيراً. فهي لم تعد قادرة علي حماية نفسها، والخليفة العباسي لم تعد له هذه المكانة السياسية ، فقد تحول إلى أُلعوبة في يد القوى السياسية الأخرى التي ظهرت علي المسرح السياسي . أما في مصر فلم تكن الأوضاع بأفضل حالاً، بل العكس أقرب إلى

الصحة ، فالخلافة الفاطمية كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة بسبب الصراعات السياسية ، كل ذلك أدى إلى فوضى سياسية عمت الشرق الإسلامي. ووسط هذه الفوضى يفرز لنا التاريخ بعض القادة المخلصين، دعاة إلى الوحدة لمواجهة الخطر الصليبي وتوحيد الأمة الإسلامية ، ويأتي علي رأس هؤلاء القادة عماد الدين زنكي مؤسس الدولة الزنكية (٤٨٩ – ٥٧٧هـ) وابنه نور الدين محمد نور الدين، وصلاح الدين الأيوبي مؤسس الدولة الأيوبية[١].

وبعد أن تولى صلاح الدين الأيوبي الأمر حكماً، شرع في إبطال المذهب الشيعي، الذي كان سائداً في عصر الدولة الفاطمية، ونشر المذهب السني[٢].

وقد قام بتوحيد الأمة الإسلامية بإقامة دولة كبرى تضم إلي جانب مصر الشام والحجاز، والجزيرة العربية، واليمن دراءً للخطر الصليبي. وقد تم له ما أراد إذ حارب الإفرنج وانتصر عليهم انتصاراً كبيراً في حطين سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، واستعاد بيت المقدس[٣].

كل هذه الأوضاع السياسية ألقت بظلالها علي الحركة الأدبية والشعرية، فقد تأثر الأدب بروح تلك الفترة، وبرزت موضوعات وأغراض مواتية للتطورات السياسية .

---

(١) الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ، مصر و الشام ، أحمد بدوى ، ط دار النهضة مصر، د ت ، ص ٣٠ .

(٢) رحلة ابن جبير أبو الحسن محمد بن أحمد، ط١ ، بيروت ، ١٩٦٤م ، ص ١٦٥ .

(٣) عيون التواريخ ، ابن شاكر الكتبي ، تحقيق: فيصل السامرائي ، دار بغداد ، ١٩٨٠م ، ج ٢٠ ، ص ٢٥٨ .

ثانياً: الحياة الاقتصادية والاجتماعية:

كان للتحولات السياسية في القرن السادس الهجري أثرها الواضح علي الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، ويشير بعض الدارسين إلى الرخاء الذي كان سائداً في الشرق الإسلامي، سبب هذه الثروة الضخمة التي كانت بحوزة الناس في تلك الأيام ويرجع هذا كله إلي تقدم وازدهار التجارة الداخلية والخارجية ، إضافة إلي ذلك النهضة الزراعية والتفوق في المجال الصناعي. وحسبنا أن نرجع إلي رحلة ابن جبير وإلي خطط المقريزي لنقف أمام هذه الحقبة(١).

ورغم هذا النشاط الملحوظ في الحياة الاقتصادية، فقد أصابت الشرق الإسلامي هزّة اقتصادية تمثلت في المجاعات، وانتشار الكساد الاقتصادي، والأوبئة. ويرجع ذلك أولاً إلى الكوارث الطبيعية وعدم قدرة الحكومة لمواجهة تلك الظروف، واستخدام وسائل علمية ومصرفية لمواجهة هذه الظروف بصورة سيئة، ومنها ظروف سياسية لها علاقة بحالة الصراع الدائم بين المسلمين والصليبيين(٢)، والنهج الإقطاعي الذي سار عليه الزنكيون والأيوبيون، عمّق الهوة بين العامة وأرباب الإقطاع . إذ يستفاد من أخبار كثيرة أنّ عامة الشعب كانت تعاني من الانحلال وشظف العيش(٣).

أما علي المستوى الاجتماعي، فإن نظام الإقطاع الذي كان سائداً في تلك الفترة، أفرز لنا طبقتين، الطبقة الأولى طبقة الأمراء وأصحاب الثراء ، والثانية طبقة المعدمين والفقراء. وهذا التفاوت الطبقي أدخل المجتمع في مرحلة من عدم التوازن ، فساد الاضطراب ولجأ الناس إلي كثير من ألوان الكسب غير المشروع، وشاعت وسائل مختلفة للحصول علي الرزق، كالاستجداء

---

(١) انظر: الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ، بمصر والشام ، د. أحمد محمد بدوي ، مكتبة نهضة مصر، ب. ت. ص ٣٠ .

(٢) الكواكب الدرية في السيرة النورانية ،تقي الدين أبوبكر بن أحمد، تحقيق د. محمود زايد ، الكتاب الجديد ، بيروت١٩٧١م ، ص ١٧٠ .

(٣) الأدب في العصر الأيوبي ، محمد زغلول سلام ، منشأة دار المعارف ، ١٩٩٤م ، ص ٥٤ .

والتملق، وغيرها من الصور ، وقد إنعكس ذلك علي الحياة الاجتماعية، فظهرت آثاره السالبة علي السلوك الاجتماعي ومفاهيم الناس وأفكارهم .

وفي خضم هذه الحقيقة التاريخية، كان مجتمع المشرق يموج بعناصر وجنسيات مختلفة في طباعها وأخلاقها ، عرب وترك وفرس وروم وغيرهم، وكل جماعة لها تراثها الديني والفكري والاجتماعي، وكل هذه الأعراق والأجناس أدت إلي ظهور تشكيلة واسعة من الأوضاع العقدية والاجتماعية ، أثّرت في البناء الحضاري والنسيج الاجتماعي لتلك الحقبة[١].

إن هذا التنوع في المجتمع أظهر بعض العادات والظواهر ، منها ظاهرة الزهد في الدنيا، لقد أثرت هذه الظاهرة في جسم المجتمع تأثيراً كبيراً، وقد شجع الحكام هذه الظاهرة، عن رغبة حقيقية لمجرد مسايرة الشعور العام، لأن هذه الدعوة في صالحهم .

ثالثاً: الحياة العقلية والثقافية:

شهد القرن السادس الهجري حوادث سياسية وعسكرية متداخلة ، ولكن مما يسترعي الانتباه حقاً هذا التطور العلمي والإنتاج الفكري ، والدليل علي ذلك ثراء المكتبة العربية والإسلامية بإنتاجها الضخم في ذلك القرن. فقد تنوعت فنون المعرفة، وحمل لواءها أعلام من فقهاء، ونحاة ، ولغويين ، ومفسرين ، ورجال أدب، وعلماء في الفلسفة والطب والسياسية .

وقد ساعد علي ازدهار هذه الحركة انتشار دور العلم، وما كان للعلماء فيه من الوصول إلى أرفع المناصب ، وما كانوا يظفرون به عند الخلفاء والسلاطين من تشجيع وتقريب ، وما نالوه عند الشعب من إجلال وتقدير[٢].

---

(١) المختص في أخبار البشر ، أبو الفداء ، المطبعة الحسنية ، مصر ، ١٣٢٥ هـ ، ج ٣ ، ص١٢٥ .

(٢) الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، ص ٥ .

ومما ساعد أيضاً علي نشاط الحركة الثقافية والعلمية، ما تميز به حكام وسلاطين وأمراء ذلك العصر من ثقافة مميزة ، وحبهم للعلم وأهله وتقربهم للعلماء ، فكانوا يجلبون العلماء ويحتفون بكبرائهم ويغدقون عليهم المرتبات(١).

ومن مظاهر الحركة الثقافية، تأسيس المدارس، والتوسع في بناء المساجد، التي لم يقتصر دورها علي الجانب التعبدي ، بل أصحبت منارات للعلم والثقافة، تعقد فيها حلقات العلم ، وقد حفظ لنا التاريخ أسماء من قاموا بالتدريس في هذه المساجد ، من بينهم أعلام لامعة لا تزال بعض أثارهم حية إلي الآن، فمنهم البارع في القراءآت والتفسير والنحو كعبد الكريم بن الحسن بن سوار المتوفى سنة ٥٢٥ هـ، الأدبي النحوي الأنباري المتوفى سنة ٥٩٠هـ(٢).

وقد وفد كثير من علماء الأندلس النابغين إلي بلاد الشام ومصر، ونجدهم قد أحدثوا حركة علمية قوية .

أما من ناحية أدب تلك الفترة فهو ينتمي تاريخياً وسياسياً إلي العصر العباسي الثاني، هذا إذا ما أخذنا بفكرة التقسيم السياسي والتاريخي للأدب العربي، ومن المؤسف أن أدب هذه الحقبة، لم يتم له الحظ في الذيوع والدراسة كما أتيح لغيره من آداب العصور الأخرى، هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد بلغ الاهتمام بالأدب في تلك الحقبة مبلغاً عظيماً من قبل حكام تلك الفترة، هذا ما تؤكده الشواهد التاريخية ، فقد كانوا يحبون الأدب، ويجزون عليه، ويجلسون الشعراء في مجالس ينصتون فيها إلي شعرهم وهم يتأثرون بالشعر، ويؤثر فيهم، ويتراسلونه ويدخل في ثقافتهم، بل مضى كثير من الحكام والأمراء يقرض الشعر حتى صار له دواوين(٣).

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ابن أبي أصيبعة ، القاهرة ط ١ ، ١٩٨٢م ، ص ٢٠٤ .

(٢) الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ، ص ٢٧ .

(٣) الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ، ص ٢٣ .

وقد تميز أدب تلك الفترة بالتنوع والشمول، سواء أكان في مجال الفنون النثرية أو الشعرية ، فالفنون النثرية تعددت ألوانها وتنوعت لتشمل الرسائل السلطانية و الرسائل الإخوانية. أما في مجال الفنون الشعرية فقد تنوعت أغراضها واتجاهاتها وشملت كل الأغراض الشعرية التقليدية. أما في مجال التراث النقدي فقد عرفت تلك الفترة أعلاماً كباراً أثروا الحياة النقدية بآرائهم ومؤلفاتهم، ويصعب علينا أن نحصر كل هؤلاء الأعلام، وإن كنا نشير إلي أهمهم كأسامة بن منقذ صاحب كتاب البديع في نقد الشعر ، وضياء الدين بن الأثير صاحب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر[1].

وأخيراً فهذه ملامح موجزة عن صورة العصر، قصدنا بها إلقاء بعض الظلال علي روح العصر والمجتمع .

(١) انظر: كتاب اتجاهات النقد خلال القرنين السادس والسابع الهجريين . محمد عبد المطلب مصطفي، بيروت ط ١ ، ١٩٨٤م ، ص ١٥ .

الفصل الأول
الاتجـــاه الدينـــي

المبحث الأول : شعر الجهاد والحماسة الدينية

المبحث الثاني : شعر التصوف

المبحث الثالث : شعر المديح النبوي

المبحث الرابع : شعر الزهد

المبحث الخامس : شعر الحكم والوعظ

المبحث الأول
شعر الجهاد والحماســة

يعتبر شعر الجهاد و الحماسة الدينية، من أوسع الاتجاهات أو الألوان الشعرية، وأكثرها بروزاً في القرن السادس الهجري في المشرق ، لذلك نجد أنه لا يخلو ديوان شعري من هذا الغرض ، حتى أن بعض الشعراء اقتصر فنه علي هذا اللون ، فلا غرابة أن رأينا أن أغلب شعر ابن القيسراني[١] وابن منير الطرابلسي[٢] كان مقتصراً علي هذا الغرض[٣] وليس غريباً أن يحتل هذا المضمون الشعري هذه المكانة ، فقد تميز القرن السادس الهجري بأحداثه الكبرى ، وملاحمه الخالدة التي طبعته بطابعها الخاص ، وأثرت فيه تأثيراً كبيراً. فقد أدى الشعر دوره كاملاً في هذه الملاحم الخالدة ، إذ حمل الشعراء علي عواتقهم عبء الدعوة إلى الجهاد، ومقاومة المحتلين وتوحيد الجهود الإسلامية ، فمضوا يصورن المعارك الإسلامية ويمدحون القادة والأبطال ، ويهجون المتقاعسين عن الجهاد ، وخلدوا أيضاً عظماء المسلمين الذين استشهدوا في سبيل الله بقصائد رثائية غاية في الجودة .

وأمام هذا الزخم الجهادي والحماسي، تنوعت مضامين ومرامي الشعر واتسعت مجالاته ، فجاء علي أشكال عدة، منها علي سبيل المثال لا الحصر :

---

(١) ابن القيسراني محمد بن نصر بن صغير بن داغر المخزومي الخالدي، أبو عبد الله، شرف الدين ابن القيسراني. ٤٧٨ – ٥٤٨ هـ / شاعر مجيد، له (ديوان شعر –خ) صغير. أصله من حلب، مولده بعكة، ووفاته في دمشق. (وفيات الأعيان ، ج٢،ص ١٦).

(٢) ابن منير الطرابلسي هو أحمد بن منير بن أحمد أبو الحسين مهذب الدين. (٤٧٣ – ٥٤٨ هـ)، شاعر مشهور من أهل طرابلس الشام (الأعلام ،ج٥، ص٢٦٠).

(٣) الأدب في بلاد الشام (عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك) الدكتور: عمر موسى باشا، دار الفكر المعاصر بيروت ، ١٩٨٩م ، ص ٤٧٥ .

أولاً : التحريض والدعوة إلى الجهاد:

تولى الشعراء ملحمة التحريض علي الجهاد، واستثارة همم الملوك وعزائمهم ، وبث دعوة الجهاد والكفاح بين الناس، وذلك لتحرير الثغور المختلفة، وإنقاذ بيت المقدس من سلطان الفرنجة. وقد كان من أوائل الشعراء الذين دعوا إلي الجهاد ابن الخياط [١]، فقد سمع الشاعر بمجئ النصارى إلي بلاد المسلمين فثارت حميته قائلاً[٢]:

فَـدَتْكَ الصَّـواهلُ قُبّـاً وَجُـرْدا *** وَشُـمُّ الْقَبائِـلِ شِـيباً وَمُـرْدا
وَذَلَّـتْ لأَسْـيافِكَ الْبِـيضُ قُضْـباً *** وَدانَـتْ لأَرْماحِـكَ السُّـمْرُ مُلْـدا
وَقَـلَّ لِمَـنْ قـامَ فِـي ذا الزَّمـانِ *** مَقامَـكَ أنْ بـاتَ بِـالْخَلْقِ يُفْـدا
أَلَسْـتَ أَبَـرَّ الْبَرايـا يَـداً *** وَأَنْـدى مِـنَ الْمُـزْنِ كَفّـاً وَأَجْـدا

ثم يقول بعد أبيات عديدة ناصحاً وموجهاً ومبيناً، أن جيوش المشركين قد أقبلت على بلاد المسلمين ، مشبهاً لها بالسيل المنحدر، بل هم أعظم منه وأكبر وإنها كالجبال العاتية لا يصح التراخي معها[٣]:

وَإِنِّـي لَمُهْـد إِلَيْـكَ الْقَرِيـ *** ـضَ يُطْوى عَلَى النُّصْحِ وَالنُّصْحُ يُهْدا
إِلـى كَـمْ وَقَـدْ زَخَـرَ الْمُشْـرِكُون *** بِسَـيْلٍ يُهـالُ لَـهُ السَّيْـلُ مَـدّا
وَقَـدْ جـاشَ مِـنْ أَرْضِ إِفْرَنْجَـةٍ *** جُيـوُشٌ كَمِثْـلِ جِبـالٍ تَـرَدّا
تُراخُـونَ مَـنْ يَجْتَـرِي شِـدَّةً *** وَتُنْسُـونَ مـَنْ يَجْعَـلُ الْحَـرْبَ نَقْـدا
أَنوْمـاً عَلَـى مِثْـلِ هَـدِّ الصَّـفاةِ *** وَهَـزْلاً وَقَـدْ أَصْـبَحَ الأَمْـرُ جِـدَّا

---

(١) ابن الخياط (٤٥٠ – ٥١٧ هـ) هو أحمد بن محمد بن علي بن يحيى التغلبي أبو عبد الله. شاعر، من الكتاب أهل دمشق. (الأعلام ، ج ١ ، ٢١٤) .

(٢) ديوان ابن الخياط، تحقيق: خليل مردوم بك ، المطبعة الهاشمية دمشق ، ١٩٨٠ ، ص ١٨٢ .

(٣) ديوان ابن الخياط ، ص١٨٢.

وَكَيْــفَ تَنــامُونَ عَــنْ أَعْــيُنٍ *** وَتَرْتُـــمْ فَأَسْهَرْتُمُوهُـــنَّ حِقـــدْا
وَشَّــرُّ الضَّــغائِنِ مــا أَقْبَلَــتْ *** لَدَيْــهِ الضَّغــائِنُ بِالكُفْــرِ تُحْــدا

فنجد أن هذه الأبيات تصور الحالة النفسية التي أصابت الشاعر ، وهو يرى الأعداء يحتلون أرض الإسلام فيرسل تحريضه ناصحاً وموجهاً .

وأيضاً من الشعراء الذين وصفوا هذه الحالة الشاعر أبو المظفر الأبيوردي[١]

الذي وصف احتلال بلاد المسلمين حيث قال[٢][٣]: –

مَزَجنــا دِمــاءً بالــدُّموعِ السَّــواجِمِ *** فَلَــم يَبــقَ مِنّــا عَرضَــةٌ لِلمَــراجِمِ
وَشَــرُّ سِــلاحِ المَــرءِ دَمــعٌ يُفيضُــهُ *** إِذا الحَــربُ شُــبَّت نارُهــا بِالصَّــوارِمِ
فإِيهــاً بَنــي الإِســلامِ إِنَّ وَراءَكُــم *** وَقــائِعَ يُلحِقــنَ الــذُّرا بِالمَناسِــمِ
أَتَهويمَــةً فــي ظِــلِّ أَمــنٍ وَغِبطَــةٍ *** وَعَــيشٍ كَنَّــوارِ الخَميلَــةِ ناعِــمِ
وَكَيــفَ تَنــامُ العَينُ مِــلءَ جُفونِهــا *** عَلــى هَفَــواتٍ أَيقَظَــتْ كُــلَّ نــائِمِ
وَإِخــوانُكُم بِالشَّــامِ يُضــحي مَقــيلُهُم *** ظُهــورَ المَــذاكي أَو بُطــونَ القَشــاعِمِ
تَســومُهُمُ الــرُّومُ الهَــوانَ وَأَنــتُمُ *** تَجُــرُّونَ ذَيــلَ الخَفــضِ فِعــلَ المُســالِمِ
وَكَم مِن دِماءٍ قَد أُبيحتْ وَمِن دُمىً *** تــواري حَيــاءً حُســنَها بِالمَعاصِــمِ

وفي نهاية قصيدته يقول مستنهضاً همم المسلمين قائلاً[٤]: –

فَلَيــتَهُمُ إِذ لَــم يَــذودوا حَمِيَّــةً *** عَــنِ الــدِّينِ ضَــنُّوا غيْــرَةً بِالمَحــارِمِ

---

(١) الأبيوردي هو أبو المظفر محمد بن العباس أحمد بن محمد بن أبي العباس أحمد بن آسحاق بن أبي العباس الإمام. شاعر ولد في كوفن، ٤٥٧ – ٥٠٧ هـ ، (شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج٢، ص ١٨) .

(٢) ديوان الأبيوردي ، تحقيق عمر الأسعد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط٢، ١٩٨٧. ج٢، ص١٥٦.

(٣) المراجم جمع مرجم وهي الكلام القبيح .

(٤) ديوان الأبيوردي ، ص ٢٨٥.

وَإِن زَهِـدوا فــي الأَجـرِ إِذ حَمِــسَ *** الـوَغَى فَهَـلا أَتَـوْهُ رَغبَــةً فــي الغَنـائِمِ
لَـئِن أَذعَنَـت تِلـكَ الخَياشـيمُ لِلبُـرى *** فَــلا عَطَســوا إِلّا بِأَجــدعَ راغِــمِ

ومن الشعراء الذين كانوا يحثون الملوك والأمراء علي الجهاد الشاعر القاضي الفاضل إذ يقول[1][2]: –

جِهــادُكَ النَصــرُ لا لَــولا تُنَغِّصُــهُ *** وَسَـيفُكَ الظِـلُّ لا شَـمسٌ تُقَلِّصُــهُ
أَنصَـفتَ دَهـرَكَ فـي الأَيّـامِ تَشـمَلُها *** بِالمجـدِ مِنــكَ وَلا يَــومٌ تُخَصِّصُــهُ
فَــالزَغفُ فــي اللَــهِ تُبليــهِ وَتُخلِقُــهُ *** وَالسَـيفُ فــي اللَــهِ تُغليــهِ وَتُرخِصُــهُ
عَــزائِمٌ فــي سَـبيلِ اللَــهِ خالِصَــةٌ *** وَمـا تَخَلَّـصَ عَـزمٌ لَسـتَ تُخلِصُـهُ
حَفيظَــةٌ سَــلَبَتهُ الحِــسَّ غَيرتُــهُ *** فَظِــلُّ طَاعَتِــهِ بِالسَّــيفِ يَمحَصُــهُ

فيؤكد الشاعر أن جهاد ممدوحه عاقبته نصر ظافر لا ريب فيه و(لولا) الدالة علي الندم لا تنقص من شأن هذا الجهاد ولا ينقص ذكرها من عزيمة البطل المجاهد .

ولم يقتصر التحريض علي القتال علي بيت المقدس ، وما جاوره من الأماكن المقدسة ، وإنما شمل السواحل المختلفة ، كما كان الشعراء يطالبون بتحرير الثغور التي يهدد منها العدو الناس الآمنين، ويغدر بهم في كل فرصة تسنح له .

---

(١) القاضي الفاضل: هو عبد الرحيم بن علي بن محمد بن الحسن اللخمي. أديب وشاعر وكاتب، ولد في عسقلان (٥٢٩ – ٥٩٦ هـ). (الوافي بالوفيات ، ج ٢ ، ص٢٨٤) .

(٢) ديوان القاضي الفاضل، لأحمد محمد بدوى ، دار المعرفة، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٦١م ، ص ٢٤٧ .

وفي ذلك يقول فتيان الشاغوري[١] بعد فتح القائد صلاح الدين الأيوبي أنطاكية[٢]: –

لَمّـــا مَلَكـــتَ حُصـــونَ أَنطاكِيَّـــةٍ *** يَـئِسَ الصَـليبُ وَحِزبُـهُ مِـن مُظهِـرِ
أَردَيـــتَ كُـــلَّ مُثَلِّـــثٍ مُتَكَبِّـــرٍ *** بِمُوَحِّـــدٍ مُتَواضِـــعٍ فَمُكَبِّـــرِ
بَـرَزت إِلـى بُرزيـهِ عَزمَتُـكَ الَّتـي *** مَـدَّت يَـداً عَـن مَطلَـبٍ لَـم يَقصُـرِ
فَتَناوَلَتـــهُ بِأَيـــدِها مـــنِ بـــاذِخٍ *** فـي الأُفـقِ ذي مَثَـلٍ يَـروعُ مُسَـيَّرِ

وعلي هذا المنوال نجد أن الشاعر العماد الأصفهاني[٣] يمدح القائد نور الدين بقصيدة بعد انتصاره علي صاحب منبج ويحثه ويحرضه بعد ذلك علي تحرير بيت المقدس من أيدي الفرنجة حيث يقول[٤]:

بُشـرى الممالـكِ فـتحُ قلعـةِ منـبجٍ *** فلْـيَهْنِ هـذا النصـرَ كـلُّ متـوَّجِ
أُعطيـتَ هـذا الفـتح مفتاحـاً بـه *** فـي الملـك يَفـتحُ كـلَّ بـابٍ مُـرتج
وافـــى يبشِّـــرُ بـــالفتوح وراءَهُ *** فـانهضْ إليهـا بـالجيوشِ وعـرِّج
أبشـرْ فبيـت القـدس يتلـو منبجـاً *** ولَمنـــبجٌ لســـواهُ كـــالأنموذجِ

وبعد أن تم لعماد الدين فتح الرها وتطهيرها من احتلال الفرنجة ، التي كانت عبارة عن مقرهم المقدس بعد إنطاكية والقسطنطينة ، ودام حصارها

---

(١) (فتيان الشاغوري): هو فتيان بن علي الأسدي. مؤدب شاعر من أهل دمشق، نسبته إلى الشاغور من أحيائها، مولده في بانياس ووفاته في دمشق سنة (٥٣٣ – ٦١٥ هـ). (وفيات الأعيان ، ج٤، ص٤٠) .

(٢) الروضتين/ ابن شهاب الدين المقدسي المعروف بأبي شامة ، نشر دار الجيل، بيروت، دون ت ، ج ٢ ، ص ١٣٢ .

(٣) عماد الدين الأصبهاني (٥١٩ – ٥٩٧) محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد بن أله أبو عبد الله عماد الدين الأصبهاني. مؤرخ عالم بالأدب، من أكابر الكتاب، ولد في أصبهان، له كتب كثيرة منها (خريدة القصر – ط) وغيره، وله (ديوان شعر). (الأعلام ،ج٧، ص٢٦) .

(٤) الروضتين ، ج ١ ، ص ١٧٤ .

ثمانية وعشرين يوماً وملكها عنوة وقهراً وكان ذلك في عام ٥٣٩ هجرية[١]، فأنشده ابن القيسراني قصيدة يحرضه علي السير إلي بيت المقدس قائلاً[٢]: –

أَمـــا آن أَن يزهَـــق الباطِـــلُ *** وأَنْ يُنْجِـــز العِـــدَةَ الماطـــلُ
فـــإِنْ يـــكُ فـــتحُ الرُّهـــا لُجَّـــةً *** فســـاحلُها القُـــدْسُ والســـاحل
فهـل عَلِمَـتْ عِلْـمَ تلـك الـديا *** ر أَنّ المُقـــيمَ بهـــا راحـــل
أَرى القَـسَّ يأْمُـلُ فَـوْتَ الرِّمـاح *** ولا بـــدَّ أَنْ يُضْـــرَبَ الســـابل

أما الشاعر ابن النبيه المصرى[٣] نراه يحث ويحرض علي تجهيز الجيوش لمنازلة الأعداء بعد أن هاجموا الثغور الشامية، ويطلب من المسلمين ترك الإهمال والتكاسل بقوله[٤]:

يـا حـارس الـدين لمـا نـام حارسـه *** وناظمـاً شـمله مـن بعـد تبديـد
يظنك الناس في خفض وفي دعة *** جهـلاً وكـم مسـتريح الجسـم مكـدود
جهز جيوشك إن الثغر قد عبثت *** بـه الفـرنج فأضـحى غيـر منضـود
يـــا للرجـــال أنـــاديكم لنازلـــه *** تسـتزل المـاء مـن صـم الجلاميـد

وفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة هجرية هاجم القائد نور الدين حصن حارم " وهو للفرنج " فحاصره وخرب ربضه ونهب سواده ، ثم رحل عنه إلى حصن "أنب" فحاصره فاجتمعت الفرنج مع البرنس صاحب إنطاكية، وساروا

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي مطبعة دار المعارف العثمانية ط ١ ، ١٩٦٨م ، ج ١٠ ، ص ١١٢ .

(٢) الروضتين ، ج ١ ، ص ٤٩ .

(٣) كمال الدين ابن النبيه ٥٦٠ – ٦١٩ هـ هو علي بن محمد بن الحسن بن يوسف أبو الحسن كمال الدين. شاعر منشئ من أهل مصر، مدح الأيوبيين وتولى ديوان الإنشاء للملك الأشرف موسى، ورحل إلى نصيبين فسكنها وتوفي بها. له (ديوان شعر –ط) صغير انتقاه من مجموع شعره. (وفيات الأعيان ، ج٢، ص٧١) .

(٤) ديوان ابن النبيه، تحقيق: عمر الأسعد، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٦٩م ، ص ٣٦٤ .

إليه ليرحلوه عن أنب فلم يرحل ، بل لقيهم وتصادف الفريقان، واقتتلوا وصبروا ، وأظهر نور الدين من الشجاعة والصبر في الحرب علي حداثة سنه، وانجلت الحرب عن هزيمة الفرنج، وقتل المسلمون منهم خلقاً كثيراً وفيمن قتل البرنس صاحب أنطاكية، وفي هذا يقول ابن القيسراني : –

هذي العزائم لاما تدعي الغضب *** وذي المكارم لا قالت الكتب
وهذه الهمم اللائي متى خطبت *** تعثرت خلفها الأشعار والخطب

ثم قال في وصف المعركة : –

أغرت سيوفك بالأفرنج راجفة *** فؤاد رومية الكبرى لها يجب
ضربت كبشهم منها بقاصمة *** أودى بها الصلب وانحطت الصلب
قل للطغاة وإن صمت مسامعها *** قولاً لصم القنا في ذكره أرب
أغركم خدعة الآمال ظنكم *** كم أسلم الجهل ظناً غرة الكذب
غضبت للدين حتى لم يفتك رضى *** وكان دين الهدى مرضاته الغضب
طهرت أرض الأعادى من دمائهم *** طهارة كل سيف عندها جنب
حتى استطار شرار الزند قادحة *** فالحرب تضرم والآجال تحتطب
والخيل من تحت قتلاها تقر لها *** قوائم خانهن الركض والخبب
والنقع فوق صقال البيض منعقد *** كما استقل دخان تحته لهب

ويختم ابن القيسراني قصيدته بدعوة نورالدين إلي استرجاع بيت المقدس ، وتطهير المسجد الأقصى من النجاسات ، حيث يقول[1]:

فانهض إلي المسجد الأقصى بذى لجب *** يوليك أقصى المنى فالقدس مرتقب
وائذن لموجك في تطهير ساحله *** فإنما أنت بحر لجه لجب

(١) الروضتين ج ١ ص ٥٩ .

ثانياً : المعارك الإسلامية:

وبعد أن مجد الشعراء أبطال الحروب ، وحرضوهم علي القتال، دلفوا بعد ذلك إلي وصف المعارك الكبرى التي خاضها أولئك الأبطال، مشيدين بانتصاراتهم واستبسالهم، ومعددين ما في المعارك من قتال ضروس، واصفين قدرة القادة علي إدارتها .

ولعل أكثر المعارك التي نالت قدراً كبيراً من الاهتمام هي المعارك الفاصلة والعظيمة، مثل حطين، واستعادة بيت المقدس. وتحدثوا كذلك عن مختلف مشاهد القتال، وبعض الأدوات التي استعملت فيها ، كما وصفوا في بعض قصائدهم مناعة الحصون واستعصاءها علي الفاتحين ، ونرى صور ذلك عند الملك الصالح طلائع بن رزيك[١] وأسامة بن منقذ[٢] وزير نور الدين بالشام بقصائد طويلة كان الملك الصالح يكتب القصيدة ويبعثها إلي أسامة بن منقذ فيرد عليه أسامة بقصيدة مثلها ومن هذه القصائد [٣]: –

أبى اللّه إلا أن يكون لنا الأمر *** لتحيا بنا الدنيا ويفتخر العصر
أبى اللّه إلا أن يدين لنا الدهر *** ويخدمنا في ملكنا العز والنصر
علمنا بأن المال تفنى ألوفه *** ويبقى لنا من بعده الأجر والذكر

---

(١) طلائع بن رزيك (٤٩٥ – ٥٥٦ هـ) الملقب بالملك الصالح أَبي الغارات. وهو وزير عصامي يعد من الملوك، أَصله من الشيعة الإمامية في العراق، قدم مصر فقيراً، فترقى في الخدم حتّى ولي مدنية ابن خصيب ، له كتاب سماه (الاعتماد في الرد عَلى أهل العناد). (وفيات الأعيان ،ج١، ص٢٣٨) .

(٢) أسامة الشيزري (٤٨٨ – ٥٨٤ هـ) هو أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري أبو المظفر مؤيد الدولة. له تصانيف في الأدب والتاريخ منها: (لباب الآداب– ط)، و(البديع في نقد الشعر– ط) ، و(المنازل والديار– ط)، و(النوم والأحلام–خ) ، و(القلاع والحصون)، و(أخبار النساء)، و(العصا– ط) وله ديوان شعر مطبوع . (البداية والنهاية ،ج١٢، ص٣٣١) .

(٣) ديوان أسامة بن منقذ تحقيق أحمد بدوي و حامد عبد الحميد طبعة بالمطبعة الاميرية بمصر ونشرته وزارة المعارف العمومية بمصر سنة ١٩٥٣م ، ص ٢١٠ .

خلطنـا النـدى بالبـأس حتـى كأننـا *** سـحاب لديـه البـرق والرعـد والقطـر
ترانـا إذا رحنـا إلـى الحـرب مـرة *** قرينـاً ومـن أسـيافنا الـذئب والنسـر
كمـا أننـا فـي السـلم نبـذل جودنـا *** ويرتـع فـي إنعامنـا العبـد والحـر

وفي قصيدة أخرى لأسامة بن منقذ أرسلها إلي الملك الصالح طلائع بن زريك تحدث الشاعر عن معركة خاضها الجيش المصري في بلاد الشام ضد الصليبيين، وهناك معركة بدأت في البر انتصر فيها المسلمون وانتهت في البحر بنصر آخر ليس له مثيل ، وقد وصف الشاعر المعركة البحرية وصفاً حسناً جميلاً أبرز فيه جسارة المسلمين في قيادة المعارك البحرية ، ثم وصف الأسطول الإسلامي بالموج المتلاطم من كثرته. أما الفرسان المسلمون فهم بحق فرسان البحر يقودون سفنهم التي تشبه الطير في سرعتها بمهارة وجدارة حيث يقول أسامة بن منقذ في ذلك[1]: –

غـزوتَهمُ فـي أرضِـهم وبلادِهـمْ *** وجحفلُهـمُ فـي أرضـها مُتـزاحِمُ
فـأفنيتَهم قَـتْلاً وأسـراً بأسـرِهم *** فنـاجيهمُ مُستسـلِمٌ أو مُسـالِمُ
فلمّـا أبـادتهُم سـيوفُكَ وانجَلـت *** عـن الأرضِ مـنهمْ ظُلمـةٌ ومظـالِمُ
غـزوتَهُمُ فـي البحـرِ حتّـى كأنمـا الـ *** أسـاطيلُ فيـه موجُـهُ المـتلاطِمُ
بِفُرسـانِ بحـرٍ فـوقَ دُهْـمٍ كأنّهـا *** علـى المـاءِ طيـرٌ مـا لهُـنَّ قَـوادِمُ

ومن المعارك الخالدة موقعة حطين، فهي فاصلة في التاريخ الإسلامي، وقد أكثر الشعراء من التحدث عنها، والتغني والإشادة ببطلها صلاح الدين الأيوبي، ومن هؤلاء الشعراء العماد الأصفهاني إذ يقول[2]:–

يـا يـومَ حطـينَ والأَبطـالُ عابسـةٌ *** وبالعجاجـةِ وجـهُ الشـمسِ قـد عَبَسـا

(١) ديوان أسامة بن منقذ ، ص ٢٤٤.
(٢) الروضتين ج ٢ ، ص ٨٣ .

رأيتُ فيه عظيمَ الكفرِ محتقراً *** مُعفراً خده والأَنفُ قد تَعَسا
يا طهرَ سيفٍ برى رأْسَ البرِنْسِ فقد *** أَصابَ أَعظمَ من بالشركِ قد نجسا
وغاصَ إذْ طارَ ذاكَ الرأْسُ في دمهِ *** كأنه ضفدعٌ في الماءِ قد عطسا
عرى ظُباهُ من الأَغمادِ مهرقةً *** أَدماً من الشركِ رَداها بهِ وَكَسَا

وقد أشار العماد في هذه القصيدة إلي البرنس الكرك، وإلي حادثته المشهورة مع صلاح الدين، وهو من جملة من وقع في الأسر يوم حطين ، وكان السلطان قد استحضر الأسرى من ملوك الفرنجة وأمرائهم ، وأقعدهم في الدهليز ، واستحضر منهم البرنس بصورة خاصة ، إذ أنه قد غدر بقافلة المسلمين التي كانت متوجهة من مصر إلي بلاد الشام، وقال لأصحابها متهكماً: (قولوا لمحمدكم يخلصكم) فابتدره السلطان قائلاً : ها أنا انتصر لمحمد ﷺ " ثم عرض عليه الإسلام تكفيراً لما أذنب، فأبى فضربه السلطان بيده وأجهز عليه[1].

ثم نقف مع شاعر آخر وهو ابن الساعاتي[2]، وقد دخل مدينة طبرية بعد سقوطها بيد صلاح الدين ، وأنشده قصيدة قال فيها[3]: –

جلت عزماتك الفتح المبينا *** فقد قرت عيون المؤمنينا
رددت أخيذة الإسلام لما *** غدا صرف القضاء بها ضمينا
وهان بك الصليب وكان قدماً *** يعز علي العوالي أن يهونا

(١) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، لجمال الدين محمد بن سالم بن واصل، تحقيق: دكتور جمال الدين الشيال، نشر دار القلم، بيروت، ١٩٦٠ ، ص ١٩٥ .

(٢) ابن الساعاتي: هو علي بن محمد بن رستم بن هَردوز، أبو الحسن، بهاء الدين بن الساعاتي. شاعر مشهور، خراساني الأصل، ولد ونشأ في دمشق. و توفي بالقاهرة (٥٥٣ – ٦٠٤ هـ). له: (مقطعات النيل– خ)، (ديوان شعر– ط) في مجلدين. (بيغة الوعاء ، ص٣٥٠) .

(٣) ديوان بن الساعاتي بهاء الدين بن حسن بن رستم الخرصاني تحقيق أنيس المقدسي المطبعة الامريكانية بيروت دون ط ، ص ٤٠٧ .

ومـــا طبريـــة إلا هـــدي *** ترفـع عـن أكـف اللامسـينا
قضيت فريضة الإسلام منها *** وصـــدقت الأمـــاني والظنونـــا
تهـز معـاطف القـدس ابتهاجـاً *** وترضـى عنـك مكـة والحجونـا
أعدت بها الليالي وهي بيض *** وقـد كانـت بهـا الأيـام جونـا
فـلا عـدم الشـام وسـاكنوه *** ظبـأ تشـفي بهـا الـداء الـدفينا
فـألْمم بالسـواحل فهـي صـور *** إليـك وألحـق بهـا المتونـا
فقلـب القـدس مسـرور ولـولا *** سـطاك لكـان مكتئبـاً حزينـا

فقد نوه الشاعر بهذا الفتح المبين ، وأشاد بالبطل الكبير صاحب النصر الأغر ، ثم وقف عند طبرية يتغنى بما حققه ممدوحه في جهاده الأكبر، وود لو أنطق الله الجهاد ، وعبر عن نداء مدينة بيت القدس ، وفي هذا التشخيص وما فيه براعة ومهارة فنية تثير الحياة في نفس السامع. وقد أشار أيضاً في هذه القصيدة إلي صليب الصلبوت وهو الصليب الأكبر الذي يقدسونه ، ويعتقدون أن المسيح عليه السلام صلب عليه وقد وقع في حوزة المسلمين بعد معركة حطين الخالدة(١).

وقد أذنت موقعة حطين الخالدة بتحرير بيت المقدس، بعد أن بقي نيفاً وتسعين سنة بيد الفرنجة، وكان ذلك سنة ٥٨٣ هـ، وهي السنة الغراء التي سجل فيها القائد صلاح الدين أروع انتصارات المسلمين في هذا العصر . وقد أكثر الشعراء من تنظيم القصائد القدسية التي تخلد هذا الحدث العظيم حتى أن بعضهم قصر معظم شعره علي التغني بفتح بيت المقدس، ومن أبرز الشعراء الذين وصفوا هذه الملاحم الخالدة هو العماد الأصفهاني، ومن قصائده(٢):

رأَيتُ صلاحَ الدينِ أَفضلَ مَنْ غَدا *** وأشرفَ مَنْ أَضحى وأكرمَ من أَمسى

(١) عمر موسى باشا الأدب في بلاد الشام ص ٤٩٥ .
(٢) الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢ ، ص ١٠٢ .

وقيـلَ لنـا فـي الأرضِ سـبعةُ أَبْحُـرٍ *** ولســنا نــرى إلا أناملَــهُ الخَمْســا
سَــجيتُهُ الحُســنى وشــيمتُهُ الرضــا *** وبطشــتُهُ الكُبــرى وعزمتُــهُ القَعْســا
فــلا عــدمتْ أَيامنــا منــه مشــرقاً *** ينيــرُ بمــا يــولي لياليناــ الدمْســا
جنــودُكَ أَمــلاكُ الســماءِ وظــنهمُ *** عداتُكَ جن الأرضِ في الفتكِ لا الإنسا
فـلا يستحقُّ القدسَ غيرُكَ فـي الورى *** فأَنــتَ الــذي مــن دونهــم فــتحَ القُدســا

فالشاعر أثنى علي البطل صلاح الدين الأيوبي كل الثناء، إذ هو أهل لأكثر من ذلك، بعد العمل الجبار الذي خلده مدى الدهر ، ويرسم للبطل الظافر الخطة التي يجب أن ينتهجها بعد فتح بيت المقدس ، فلا يقعده هذا الظفر عن متابعة الفتح ، ولا يعبث به الغرور ونشوة الظفر، وطلب إليه أن ينقذ بلاد الشرق كلها من فساد حكامها الأغراب، ومن الشعراء الذين خلدوا ملحمة بيت المقدس الشاعر ابن الساعاتي [1]: –

أعيــا وقــد عــاينتم الآيــة العظمــى *** لأيــة حــال تــذخر النثــر والنظمــا
وقد ساغ فتح القدس في كل منطق *** وشــاع إلــي أن أسـمع الأسـل الصـما
فليـت فتــي الخطــاب شــاهد فتحهــا *** فيشـهد أن السيف من يوسف أصـمى
ومــا كــان إلا الــداء أعيــا دواؤه *** وغيـر الحسـام العضـب لا يعـرف الحسـما
وأصـبح ثغـر الـدين جـذلان باسـماً *** وألســنة الأغمــاد توســعه لثمــا
سلوا الساحل المخشي عن سطواته *** فمــا كــان إلا ســاحلاً صــادف اليمــا
تجــاوزت مــا أعيــا الجبــال منالــه *** فهـل يقظـة كانـت مسـاعيك أو حلمـا

(١) الروضتين، ج ٢ ، ص ١٠٦ .

فأعرب الشاعر عن فرحته الكبرى ولم يكتف بذلك ، وإنما سما إلي آفاق الحكمة الخالدة ، وذكر للفرنجة أن شمس الحق لابد أن تشرق وتعم البرية كلها ، وأن آية العدل تستنسخ كل جور وظلم .

المبحث الثاني
شعـــر التصـــــوف

التصوف[١] ظاهرة إنسانية قديمة تهدف إلى تصفية القلب من غير الله تعالى، وإخلاص العبودية له، والتجرد عما سواه والسمو بالروح إلي عالم التقديس .

وقد عرفه ابن خلدون بقوله " هذا العلم من علوم الشريعة الحادثة في مله، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف علي العبادة والانقطاع إلي الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا[٢]، وقد مر التصوف الإسلامي بمراحل متعددة ، وتواردت عليه ظروف مختلفة، واتخذ تبعاً لكل مرحلة، ووفقاً لما مر به من ظروف، مفاهيم متعددة، كذلك كثرت تعريفاته وكل تعريف منها يشير إلي بعض جوانبه دون البعض الآخر ، ولكن يظل هناك أساس واحد للتصوف لا خلاف عليه، هو أنه أخلاقيات مستمدة من الإسلام ولعل هذا ما أشار إليه ابن القيم في مدارج السالكين قائلاً " واجتمعت كلمة الناطقين في هذا العلم علي أن التصوف خلق ، فالتصوف إذن في أساسه خلق وبهذا الاعتبار روح الإسلام كلها مردودة إلى أساس أخلاقي"[٣].

إذن قوام التصوف سلوك يقوم علي ضبط النفس وكبح جماحها ومجاهدة ميولها وحرمانها عن متاع الدنيا ومباهجها. وغايته تصفية النفس وتطهيرها من أدران الجسد.

---

(١) قيل أن التصوف مشتق من الصفاء أو أهل الصفة أو الصوفة، وهو رجل خدم الله تعالي في بيته الحرام ، أو سوفيا اليونانية وتعني اليونانية تعني الحكمة (التصوف بين الحق و الخلق ، ص ١٢).

(٢) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، طبعة دار الهلال ، بيروت ١٩٨٣م ، ص ٢٨٥ .

(٣) مدخل إلى التصوف الإسلامي التفتازاني دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٧٦ ، ص ٢٤ .

وقد نشأ التصوف في مرحلته الأولي في أحضان الكتاب والسنة في صورة الزهد، وهي الفترة الواقعة في القرنيين الأول والثاني الهجريين ، فقد كان هناك أفراد من المسلمين قد استرعى انتباههم، بعض المعاني الرقيقة في القرآن الكريم ذات الطابع الخلقي العميق، وجدوا فيها حقائق خفية أعمق، فأقبلوا علي العبادة بأدعية وقربات، وكانت طريقة زهدية في الحياة ، تتصل بالمآكل والعيش والسكن، وقد أرادوا العمل من أجل الآخرة، فآثروا لأنفسهم هذا النوع من الحياة والسلوك ، ونضرب مثلاً بالحسن البصري[١] المتوفى سنة ١١٠ هـ ورابعة[٢] العدوية المتوفاة سنة ١٨٥ هـ[٣] .

ومنذ القرن الثالث الهجري نجد أن الصوفية قد عنوا بالكلام في دقائق أحوال النفس والسلوك ، وغلب عليهم الطابع الأخلاقي في علمهم وعملهم، فصار التصوف علي أيديهم علماً للأخلاق الدينية ، وكانت مباحثهم الأخلاقية تدفعهم إلي التعمق في دراسة النفس الإنسانية ودقائق أحوال سلوكها ، وكانت تقودهم أحياناً إلى الكلام في المعرفة الذوقية وأدائها ومنهجها ، و إلي الكلام عن الذات الإلهية من حيث صلتها بالإنسان وصلة الإنسان بها[٤] ونجد بعض أعلام التصوف في القرن الثالث والرابع، ثم جاء في القرن الخامس الإمام الغزالي .

---

(١) الحسن البصري: الحسن يسار البصري أبو سعيد تابعي(٢١-١١٠هـ) ، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان المساك ، (الأعلام للزركلي ،ج٢، ص ٢٢٦) .

(٢) رابعة العدوية: رابعة بنت إسماعيل العدوية أم الخيرات البصرية الصالحة المشهورة لها أخبار في العبادة والنسك ، لها شعر من كلامها أكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم ، (الأعلام ،ج٣، ص١٠) .

(٣) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، دار الحديث، القاهرة، ج ٤ ص ٣١٠ .

(٤) مدخل إلي التصوف ص ٢٤ .

ومنذ القرن السادس الهجري أخذ نفوذ التصوف السني في العالم الإسلامي يزداد بتأثير شخصية الإمام الغزالي ، وفي القرن السادس الهجري أيضاً ظهرت مجموعة أخرى من شيوخ التصوف، الذين مزجوا تصوفهم بالفلسفة، فجاءت نظرياتهم في التصوف فلسفية، وبظهور هذا التيار أصبح في التصوف الإسلامي تياران :

١ / تيار سني يمثله رجال التصوف في القرن الثالث والرابع .

٢ / تيار فلسفي يمثله متفلسفة الصوفية الذين مزجوا تصوفهم بالفلسفة[١].

وقد أثار متفلسفة الصوفية فقهاء المسلمين، واشتدت الحملة عليهم لما ذهبوا إليه من القول بالوحدة الوجودية .

وقد بلغ التصوف في القرن السادس و السابع الهجري ذروته فكراً وفناً، وظهر من أعلامه في الشعر ابن الفارض[٢] ومحي الدين بن عربي[٣] وقد ظهرت في تلك الفترة نظريات التصوف الفلسفية كوحدة الوجود ، والاتحاد والحلول، ونظرية الإشراق، والحقيقة المحمدية. وقد خلف لنا شعراء التصوف في تلك الفترة تراثاً ضخماً، يتمثل فيه الجانب الوجداني من التجربة الصوفية، ويمكن القول إن القصيدة في القرن السادس الهجري وما بعده من القرون، قد

---

(١) المرجع السابق ص ٢٣ .

(٢) ابن الفارض (٥٧٦ – ٦٣٢ هـ) هو عُمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، الملقب شرف الدين بن الفارض. شاعر متصوف، يلقب بسلطان العاشقين، في شعره فلسفة تتصل بما يسمى (وحدة الوجود). (وفيات الأعيان ،ج١، ص٣٨٣) .

(٣) محي الدين بن عربي : هو أبوبكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائي من عظماء ومفكري الإسلام ، له كتب عديدة من الفتوحات المكية (٥٦٠–٦٣٨هـ) (الأعلام ، للزركلي ، ج ٣ ، ص ١١٠) .

بلغت مبلغاً عظيماً من حيث اتضاح المعالم واستقرار البناء، وأصبحت تستغل بنفسها من خلال طرحها لخصوصيتها الفنية والموضوعية[١].

وبعد هذا يمكننا أن نحدد بعض اتجاهات الشعر الصوفي التي ظهرت في القرن السادس الهجري ومن أهمها :

الحب الإلهي :

الحب الإلهي حب روحي ، وهو غاية الإنسان وسر سعادته، حيث أنه يسمو بالذوق الإنساني ، لأنه حب فوق المطامع والشهوات الدنيوية، وهو خالص للذات العلية ، هدفه التلذذ بمطالعة الجمال الإلهي ، وتبعاً لهذا كان الحب الإلهي محور التصوف الأساس، وهو الوصول إلي معرفة الله سبحانه وتعالى[٢] .

والحب الإلهي في الشعر العربي هو في الحقيقية تطور للحب البشري، فقد ظهر أول ما ظهر مع بدايات القرن الثاني ، ووجدنا صورة هذا الحب تتجلي في الشعر الصوفي عند ذي النون المصري، ولكن بعيداً عن الإطار الفلسفي ، وفي القرن الرابع الهجري اصطبغ شعر الحب الإلهي بصفة فلسفية ، وإن لم تكن بعيدة ولا عميقة التفكير ، وفي القرن الخامس وجدنا شعر الحب الإلهي عند المتصوفة يتجه إلى النبي ﷺ والتابعين وصالح المؤمنين، ونأخذ مثال لذلك ديوان البرعي.

أما في القرن السادس الهجري فقد عاد الحب الإلهي بثوب فلسفي ، وكان علي رأسه السهروردي[٣] المقتول ، وابن الكيزاني[٤]، وابن الفارض..

---

(١) الرسالة القشيرية القشيري مصر ١٣٤٦ هـ ، ص ٣١ .

(٢) حقائق عن التصوف ، عبد القادر عيسي ، حلب ١٩٦٤ ، ط ١ ، ص ٢١٠ .

(٣) السهروردي المقتول ٥٤٩ – ٥٨٧ هـ / هو أبو الفتوح يحيى بن حبش الحكيم. شهاب الدين السهروردي. حيث نسبة لسهرورد بلدة قريبة من زنجان. (صاحب حكمة الإشراق) الذي شرحه قطب الدين الشيرازي، و(هياكل النور)، و(التنقيحات والتلويحات) وغير ذلك. (الكامل لأبن الأسير ،ج١١، ص ١٦١) .

(٤) ابن الكيزاني – ٥٦٢ هـ محمد بن إبراهيم بن ثابت بن فرج الكناني المعروف بابن الكيزاني. واعظ شاعر مصري تصوف ونسبت إليه الكيزانية من طوائف المتصوفة بمصر .وكان معتزلياً ومن مقالته أفعال العباد قديمة. له (ديوان شعر) أكثره في الزهد وتوفي بالقاهرة. (وفيات الأعيان ، ج٢، ص١٨).

ومن خلال دراستنا لشعر الحب الإلهي في القرن السادس الهجري وجدنا أنه يقوم علي أسلوبين، هما أسلوب العبارة والتصريح، بحيث يدرك القارئ معه بسهوله ويسر هذا الحب الإلهي ، وأسلوب رمزي عمد فيه الشعراء إلى الإشارة والتلميح، مستمدين ألفاظهم وعباراتهم من الموروث الشعري المتداول في الغزل والخمر .

يقول ابن الكيزاني في ذلك[١] :

تلذُّ لي في هَوَى ليلى معاتبتي *** لأَنَّ في ذكرها بَرْداً على كَبدي
وأَشتهي سَقَمي أَن لا يفارقني *** لأَنها أَودعَتهُ باطنَ الجَسد
وليس في النوم لي ماعشتُ من أَرَبٍ *** لأَنها أَوقَفتْ جَفني على السُّهُدِ
ولو تمادت على الهِجران راضيةً *** بالهجر لم أَشكُ ما أَلقى إِلى أَحدِ
فإِن أَمت في هواها فَهيَ مالكتي *** وما لعبدٍ على مولاه من قَوَدِ
اللومُ أَشبه بي منها وإِن ظلمت *** أنا الذي سقتُ حَتفي في الهوى بيدي

يشكو حالة الصد والهجران ، ويرمز عن الذات العلية بليلى، ويتمادى في العتاب معلناً سقمه وسهاده .

ويقول أيضاً في قصيدة أخرى[٢]:

أتزعم ليلى أنني لا أحبها *** وأني لما ألقاه غير حمول
فلا وقوفي بين ألوية الهوى *** وعصيان قلبي للهوى وعذولي
لو انتظمتني بين أسهم الهجر كلها *** لكنت على الأيام غير ملول
ولست أبالي إذ تعلقت حبها *** أفاضت دموعي أم أضر نحولي
وما عبثي بالنوم إلا تعللٌ عسى *** الطيف منها أن يكون رسولي

---

(١) الوافي بالوفيات تأليف صلاح الدين خليل بن أبي الصفدي الطبعة الأولي سنة ١٣٣١ هـ ج ١ ، ص ٣٤٧

(٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لجمال الدين بن أبي المحاسن يوسف بن تغربردي ، مطبعة وزارة الثقافة والارشاد مصر ، دون ت ص ٣٦٧.

إنه يذكر وقوفه بمعاهد الهوى، وعصيانه للعذول والعوذال، وجبره علي الهجران الأليم، وما يعاني فيه البكاء والنحيب والسقم، ويأمل في طيف يزوره في الحلم ليلاً، وقد اتخذ ابن الكيزاني ذلك رمزاً عن معاني حبه وهيامه في الذات العلية ، وهو هيام لا نهائي غير محدود وهو بحس وبما لا يشبه الحس ، هيام كله لوعه وحيرة.

والحب الإلهي نزعة تصيب صاحبها بحيرة، وقد تنزع به الموت ، وهذا بعيد عن شدة العلاقة بين المحب والحبيب يقول ابن الفارض في ذلك[1]:-

زِدْنـــي بفَـرْطِ الحُـبّ فيـك تَحَيّـرا *** وارْحَـمْ حشـىً بلَظَـى هـواكَ تسـعّرا
وإذا ســـألُتكَ أن أراكَ حقيقـــةً *** فاسـمَحْ ولا تجعـلْ جـوابي لـن تَـرى
يـا قلـبُ أنـتَ وعـدَتني فـي حُـبّهمْ *** صَـبراً فحـاذرْ أن تَضِـيقَ وتَضـجرا
إنَّ الغـرامَ هـوَ الحيـاة ُ فمُـتْ بِـهِ *** صَـبّاً فحقّـك أن تَمـوتَ وتُعـذرا
قُـل لِلّـذِينَ تقـدَّموا قَبلـي ومَـن *** بَعـدي ومَـن أضـحى لأشـجاني يَـرَى

وتعبر هذه الأبيات عن شدة المحبة ، وكيف أنها تطالب المحب برؤية المحبوب ومعانية، وأن الغرام والحب الصوفي هو العلاقة بين الطارئ والأزلي، والوسيلة بين التواضع والتكبر، وموت القلب في حب الله، هو الحياة الحقيقية .

ويلجأ ابن الفارض إلى الرمز تعبيراً عن حبه الإلهي، فما المحبوبة التي يخاطبها سوى العزة فيقول[2]:

هو الحُبّ فاسلم بالحشا ما الهَوى *** سهلَ فما اختارَهُ مُضْنى به وله عقْلُ
وعِـشْ خاليـاً فالحُـبّ راحتُـه عَنـاً *** وأَوّلُـــهُ سُـــقْمٌ وآخـــرُهُ قَتْـــلُ
ولكـنْ لـديّ المـوتُ فيـه صَـبابةً *** حيـاةٌ لمَـن أهـوى علـيّ بهـا الفضـل

(١) ديوان ابن الفارض، شرحه وقدمه مهدي بن ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ١٢٧.
(٢) المرجع السابق ص ١٦٢ .

نصـحْتُك عِلمـاً بـالهَوَى والـذي أرى *** مخـالَفَتي فـاختر لنفسـكَ مـا يحلـو
فإن شئتَ أن تحيا سعيداً فمُتْ بِهِ *** شـــهيداً وإلاّ فـــالغرامُ لـــهُ أهْـــل

الحب في نظر الشاعر شئ عظيم ، ولكن الذي يعنيه الشاعر هنا هو الحب في الذات العلية، فاظفر بنفسك قبل أن يذهب بها هواك، لأن من علم شيئاً وأختاره كان قليل العقل، وطلب من أراد أن يحى سعيداً أن يموت بداء الحب شهيداً، وإلا فاترك الغرام لأهل الغرام .

يقول المرتضي الشهرزوري[1][2]:

لمعـت نـارهم وقـد عسـعس الـ *** ـليل ومـل الحـادي وحـار الـدليل
فتأملتهـا وفكـري مـن البـين *** عليـل ولحـظ عينـي كليـل
وفـؤادي ذاك الفـؤاد المعنـى *** وغرامـي ذاك الغـرام الـدخيل
ثـم قابلتهـا وقلـت لصـحبي *** هـذه النـار نـار ليلـي فميلـوا
فرمـوا نحوهـا لحاظـاً صـحيحا *** ت فعـادت خواسـئاً وهـي حـول

إنه لا يزال سارياً طوال الليالي يبحث عن نار الذات الإلهية، ويرى ناراً فجأة ، فينادى صحبه رأيت نار ليلي فميلوا ، وكلما جد في السير إليها ودنا منها علت وارتفعت، إلي أن امتدت بينه وبينها طلول محول ، ويحاول الدنو من الطلول، وتحول بينه وبينها دموعه وزفراته الحارة ، ولا يجد في الديار سوى العشاق .

---

(١) الشهرزوري (٤٦٥ – ٥١١ هـ) هو عبد الله بن القاسم بن المظفر بن علي الشهرزوري، أبو محمد، المنعوت بالمرتضى. فاضل، له شعر رائق، أقام مدة ببغداد، ورحل إلى الموصل فولي فيها القضاء إلى أن توفي. من شعره القصيدة التي مطلعها: لمعت نارهم وقد عسعس الليل ومل الحادي وحار الدليل ، (وفيات الأعيان ،ج٢، ص٢٥٣) .

(٢) نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، أحمد بن محمد المغصري التلمساني ، دار صادر بيروت، تحقيق د. أحسان عباس، ١٩٦٨م.،ج٢، ص٢٧٠.

ثانياً: وحدة الوجود :

انتقل تصوف وحدة الوجود من الأندلس والمغرب إلي المشرق، علي يد ابن عربي وابن سبعين[١] اللذين استقر بهما المطاف في الشرق، حيث نشرا تعاليم هذا النوع من التصوف[٢] وقد انتشرت فلسفة وحدة الوجود في كتب ابن عربي، كالفتوحات المكية، وفصوص الحكم. وتصوف وحدة الوجود هو التصوف المبني علي القول، بأن ثمة وجوداً واحداً فقط هو وجود الله سبحانه وتعالى ، أما الكثير المشاهد في العالم فهو وهم علي التحقيق تحكم به العقول القاصرة . فالوجود إذن واحد لا كثرة فيه . ووجود الممكنات في رأي ابن عربي هو عين وجود الله سبحانه وتعالى، وليس تعدد الموجدات وكثرتها إلا وجود الحواس الظاهرة، والعقل الإنساني القاصر هو الذي يعجز عن إدراك الوحدة الذاتية من أشياء، فالحقيقة الوجودية واحدة في جوهرها وذاتها متكثرة بصفاتها وأسمائها[٣]

وفي سياق هذه التصورات لوحدة الوجود، يأتي ابن الفارض الذي تشرب هذه الفكرة بروح الصوفي، وعبر عنها تعبيراً شعرياً بمصطلح وحدة الشهود ، يقول ابن الفارض :

ما بَيْنَ مُعْتَرَكِ الأحداقِ والمُهَجِ *** أنا القَتِيلُ بلا إثمٍ ولا حَرَجِ
ودّعتُ قبل الهوى روحي لما نَظَرْتَ *** عيناىَ مِنْ حُسْنِ ذاك المنظرِ البَهجِ
للَّهِ أجفانُ عَينٍ فيكَ ساهِرةٍ *** شوقاً إليكَ وقلبٌ بالغَرامِ شَجِ

إلي أن يقول : –

تراهُ إن غابَ عنّي كُلُّ جارحةٍ *** في كلّ مَعنى لطيفٍ رائقٍ بَهجِ

---

(١) ابن سبعين : هو عبدالحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر الأشبيلي من زهاد الفلاسفة ومن القائلين بوحدة الوجود (٦١٣-٦٦٩هـ) (الأعلام للزركلي ،ج٣، ص٢٨٠) .

(٢) مدخل إلي التصوف ص ٢٤٣ .

(٣) مدخل للتصوف الإسلامي ، ص٢٤٧.

فـي نغْمَـةِ العـودِ والنّـايِ الـرّخيم إذا *** تَألّقــا بــينَ ألحــانٍ مــن الهَــزَجِ
وفـي مَسَـارحِ غِـزْلاَنِ الخمائـلِ فـي *** بَـرْدِ الأصـائلِ والإصـباحِ فـي البلَجِ[1]

فالشاعر يصرح في الأبيات ، باحتجاب الأسماء والصفات خلق مظاهر المحبوبات، فما أحب في الحقيقة سوى الله ، وإن لم يدرك ذلك ، فإن جميع المخلوقات منصات تجلي الحق .

ثالثاً: نظرية الإشراق :

تقوم نظريـة الإشـراق أو الفلسـفة الإشـراقية، علـي أن الله تعـالى نـور الأنوار، ومصدر جميع الكائنات، فمن نوره خرجت أنوار أخرى، فهي عماد العالم المادي والروحي، والعقول المفارقة ليست إلا وحدات من هذه الأنوار، تحرك الأفلاك وتشرف علي نظامها[2]

ومن شعراء القرن السادس الهجري الذين أسهبوا في تناول هذه النظرية الفلسفية في أشعارهم، فتيان الدين السهروردي، وكان يلقب بالمقتول، وقد ظهرت هذه الفلسفة الصوفية في شعره حتى بات يعرف بها في شعر التصوف الفلسفي ، وهذه الفلسفة تقوم علي الفناء في ذات الله . يقول السهروردي[3]:

أَبــداً تَحــنُّ إِلَــيكُمُ الأَرواحُ *** وَوِصــالُكُم رَيحانُهــا وَالــراحُ
وَقُلــوبُ أَهــلِ وِدادكــم تَشــتاقُكُم *** وَإِلــى لَــذيذ لقــائكم تَرتــاحُ
وَا رَحمــةً للعاشِــقينَ تَكلّفــوا *** ســرّ المَحبّــةِ وَالهَــوى فَضّــاحُ
بِالسـرِّ إِن بـاحوا تُبـاحُ دِمـاؤُهم *** وَكَــذا دِمــاءُ العاشِــقينَ تُبــاحُ
وَإِذا هُــم كَتَمــوا تَحَــدّث عَــنهُم *** عِنــدَ الوشــاةِ المَــدمعُ السَــفّاحُ

---

(١) ديوان بن الفارض ص ١٠١ .

(٢) في الفلسفة الاسلامية ، دكتور ابراهيم مدكور ، مكتبة البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٤٧م ، ص٥٩.

(٣) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ، تحقيق د . احسان عباس ، دار صادر ١٩٦٨، ج ٢ ، ص ٢٧٢.

أَحبابنـــا مـــاذا الَّـــذي أَفســـدتمُ *** بِجفـــائكم غَيـــر الفَســـادِ صَـــلاحُ

فالشاعر محب عاشق ولهان يتحمل في سبيل الحب، ما لا يتحمله إنسان، والعاشقون لا يتراجعون حتي يبلغوا أمانيهم العذبة وأمنياتهم هي اللقاء، والفناء في الذات العلية ، وهو بعد هذا الشوق والوجد والهجر الطويل، تتحقق له أمنية اللقاء، إنه مع الحبيب وجهاً لوجه ، فقد تملكه الطرب.

ونظر السهروردي إلي النفس الإنسانية ، فأراد أن يكتشف مجاهلها ، ويستجلي غموضها وإبهامها ، فتصورها تواقه إلي مغناها القديم الذي هبطت فيه ، منه ، تلفتت نحو الديار فيشوقها طلل الجسد الفاني ، فتسأله فلا يسمع إلا الصدى يجيبها أن لا لقاء فكأن مصاحبتها للجسد برق تألق ثم ينطوي فكأنه لم يكن(١).

خلعـت هياكلَهـا بِجَرعـاءِ الحمـى *** كَرهـــاً وقـــد أزفـــت لأن تَتعلَّقـــا
لكنهـا ذكـرَت عهـودَ صـفاتِها *** وصـــبت لمغناهـــا القـــديم تَشـــوُّقا
وتلفتـــت نحـــو الـــديار فشـــاقَها *** عهـدٌ قـديمٌ كـان مثـواه البقـا(٢)

ولما حضرت الوفاة الشاعر السهروردي، قال بعض الأبيات يبين فيها فلسفة الموت، علي ضوء نظرية الإشراق التي يؤمن بها فقال في ذلك(٣):

قُـــل لِأصـــحابٍ رأَونـــي مَيتـــا *** فَبَكـــــوني إِذ رأونـــــي حزنـــــا
لا تَظُنّونـــــي بـــــأَنّي مَيّـــتٌ *** لَـــيسَ ذا المَيـــت وَاللَـــه أَنـــا
أَنـــا عصـــفورٌ وَهَـــذا قَفَصـــي *** طِـــرت مِنـــهُ فَتَخلـــى رَهنـــا
وَأَنـــا اليـــومَ أُنـــاجي مَـــلأ *** وَأَرى اللَـــــه عَيانـــــاً بِهنـــــا

(١) مصدر سابق ج ٥ ص ٣١٤ .
(٢) وفيات الأعيان ، ص١١٤.
(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ٦٤٥ .

فَـاِخلَعوا الأَنفُـس عَـن أَجسـادِها *** لِتـــرونَ الحَـــقّ حَقّـــاً بَيّنـــا
لا تَـرعكُم سَـكرة المَـوتِ فَمـا *** هِـــيَ إِلّا اِنتِقـــالٌ مِـــن هُنـــا
عُنصـــرُ الأَرواحِ فينـــا واحـــدٌ *** وَكَـــذا الأَجســـامُ جِســـم عَمَّنـــا

رابعاً: الحقيقية المحمدية :

يعود أصل هذه الفكرة، إلي الفهم الخاص، الذي استخلصه ابن عربي من الحديث النبوي الذي جاء فيه " كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد "[١].

فلا غرابة في نظر التصوف الفلسفي أن الحقيقية المحمدية تمثل الكينونة الجوهرية، الممتدة للأنبياء والرسل بالشرائع والحقائق الإلهية، من لدن آدم عليه السلام وحتي خاتم الأنبياء . والرسول ﷺ القائل " أنا سيد ولد آدم ولا فخر "[٢] وبظهور الرسول محمد ﷺ بكيانه المادي ، تنتهي دورة الإمداد، من الحقيقة المحمدية من جهة الخاصة بالأنبياء السابقين ، وتبدأ مرحلة إمدادية أخرى من جهة الظاهر لتعم الخلق أجمعين .

والإنسان الكامل نسخة صغرى عن العالم ، وجامع لحقائقه ، ومن هنا استحق مرتبة الخلافة لقيادة باقي الكائنات[٣].

وقد اصطلح الصوفيون علي إطلاق لفظة " قطب " ، إذ الأقطاب علي درجات وأنواع[٤].

ونرى ابن الفارض قد أفاض في صياغة الحقيقة المحمدية شعراً، وبأسلوب فني يرقى بالشعر الصوفي من جفاف التجرد إلي حيوية التصوير واتساع الخيال .

---

(١) ورد هذا الحديث عن أبي هريرة أنه قال للنبي ﷺ متى كنت أو كتبت نبياً ؟ قال: كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد . انظر: كشف الخفاء ومزيل الألباس : إسماعيل العجلوني، تعليق وتصحيح أحمد القلاس مؤسسة الرسالة ، ط ٤ ، ١٩٨٥م ، ج ٢ ، ص ١٦٩ .

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح ،ج٤، ص١٧٨٢

(٣) الفتوحات المكية ، ابن عربي، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٠م ، ج ١ ص ١٤٣ .

(٤) راجع: القطب، القوس، الفرد، من كلام الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ، تأليف محمود محمد أحمد ، ص ٢٣ .

فقد جسد ابن الفارض في التائية الكبرى المسماة "بنظم السلوك" كل ما تقدم وربما يزيد حيث يقول[1]:

وروحـــيَ لـــلأرواحِ روحٌ وكُـــلّ مـــا *** تُرى حَسَناً في الكونِ من فَيض طينتي
فـذَرْ لـيَ مـا قبـلَ الظُّهـورِ عَرَفتُـهُ *** خصوصاً وبـي لَم تَدْرِ في الذرّ رُفقتي

إلي أن يقول :

ولا قائـــلٌ إلاّ بلَفظـــي مُحَـــدِّثٌ *** ولا نـــــاظِرٌ إلاّ بنـــــاظِرِ مُقْلَتـــــي
ولا مُنْصِـــتٌ إلاّ بِسَـــمْعِيَ ســـامعٌ *** ولا بـــــاطِشٌ إلاّ بـــــأزْلي وشِـــــدّتي
ولا نـاطِقٌ غَيـري ولا نـاظِرٌ ولا سـميع *** ســـــوائي مـــــن جميـــــعِ الخليقـــــة

وهنـا تظهـر مظـاهر الوجـود بأسـرها ، ويفـيض الكـل عـن الحقيقيـة المحمدية. وطبيعي أن تطالعنا هذه الرؤية الإحاطية للأشياء علي لسان القطب، أو الإنسان الكامل المتوحد بالحقيقة المحمدية .

(١) ديوان ابن الفارض ، ص ٧٤

المبحث الثالث
شعر المديـح النبــوي

يلتقي الدين والأدب في هدفهما، وهو تقويم النفس الإنسانية، والمجتمع الإنساني وإشباع الروح الإنسانية إلي الخير والجمال. وقد خدم الأدب العقيدة فسجل دعوتها ، وبث شعائرها بين الناس وشرح مضامينها ، ومن هنا جاء شعر المديح النبوي فناً أصيلاً من فنون الشعر الديني له مكانته عند المسلمين.

وقد اقترن المديح النبوي بشعر التصوف منذ حسان بن ثابت الأنصاري وكعب بن زهير، وأخذت هذه القصائد المادحة تتكاثر منذ القرن الرابع الهجري، علي ألسنة أهل السُنة، مجسدين في الرسول ﷺ المثل للمسلم الكامل في نسكه وجهاده ، وفي سبيل نشر دعوته ورسالته النبوية[١].

أما في القرن السادس الهجري فقد تطور فن المديح النبوي ، وأصبح أحد الأغراض الشعرية ، وكانت هنالك عوامل ساعدت وأدت إلى نضج فن المديح النبوي، منها اضطراب الحياة السياسية ، وسوء الحياة الاجتماعية ، وخيوم الخطر علي بلاد المسلمين من قبل الأعداء الطامعين في الشرق والغرب[٢]. أدت كل هذه الأمور إلى التوكل و الاستسلام الكلي لما تأتي به الأحداث .

ومن هنا جاء فن المديح النبوي متعدد الاتجاهات والمضامين ولن تكون صورة شعر المديح النبوي واضحة، إلا من خلال إبراز هذه الاتجاهات من دراستنا للنصوص الشعرية .

---

(١) عصر الدول والامارات ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط ٣ ، د ت ، ص ٣٥١ .

(٢) الأدب في بلاد الشام ، ص ٤٤٦ .

أولاً: المديح العام والتقليدي :

شق هذا الاتجاه طريقه بقوة وسط عاصفة التشيع والتصوف ، فقد سلك شعراء هذا الاتجاه طريقة من سبقوهم من هذا الفن الشعري، مستخدمين الأشكال والأساليب والمعاني أنفسها. فقد أولى شعراء هذا الاتجاه مقام النبوة عناية كبيرة في أشعارهم ، فمدحوا الرسول ﷺ بأخلاقه وسيرته ومعجزاته ، ولم يتركوا موضعاً يتعلق به، وبفتوحات الإسلام إلا طرقوه .

وكانت قصائدهم تقوم علي معارضة قصائد سبقت في المديح النبوي من عصور الأدب السابقة ، ومثال لذلك الشاعر ابن الساعاتي يعارض لامية كعب بن زهير المشهورة[1]:

بانَت سُعادُ فَقَلبي اليَومَ مَتبولُ *** مُتَيَّمٌ إِثرَها لَم يُجزَ مَكبولُ

يقول ابن الساعاتي في ذلك[2]:

وكيف أخمل في دنيا وآخرة *** ومنطقي ورسول الله مأمول
هو البشير النذير العدل شاهده *** وللشهادة تجريح وتعديل
لولاه لم تك شمس لا ولا قمر *** ولا الفرات وجاراها ولا النيل
ولم يجب آدم في حال دعوته *** نعم ولم يك قابيل وهابيل
فسيد الرسل حقاً لا خفاء به *** وشافع في جميع الناس مقبول

في هذه القصيد التي استهلها ابن الساعاتي بوصف الديار علي عادة القدماء ، وذكر النسيب، وبعد ذلك خلص إلي النعوت النبوية ، فلولاه لم تكن شمس ولا قمر ولا الفرات ولا النيل ، فهو سيد الرسل بلا شك وسيد ولد آدم.

---

(١) ديوان كعب بن زهير، المكتبة العربية القاهرة ، ط ١ ، ١٩٦٥م ، ص ١١٥ .

(٢) ديوان ابن الساعاتي ج ١ ص ٤٨ ، ٤٩ .

وقد تناول شعراء المديح النبوي أيضاً المكانة العالية للرسول ﷺ وكل ما يتعلق بشخصيته ، فقد تنافس الشعراء في إظهار محبتهم للرسول ﷺ ، حيث يقول فتيان الشاغوري[1]:

إِلَيكَ المَطايا أَعنَقَت يا مُحَمَّدُ *** إِلى خَيرِ مَن يُسعى إِلَيهِ وَيُحفَدُ
إِلى الذُروَةِ العَلياءِ مِن سِرِّ هاشِمِ *** عَلَيهِم سَلامي كُلَّ وَقتٍ يُرَدَّدُ
تَرَدَّدَ أَنفاسي الَّتي لا أَمَلُّها *** وَلا أَنتَهي مِنها وَلا أَتَبَلَّدُ
كَأَنَّ دُموعي لاشتِياقي لَآلِئٌ *** فَمِن بَينِ أَصدافِ الجُفونِ تُبَدَّدُ

وقد حرص شعراء القرن السادس الهجري علي طلب الشفاعة والتوسل بالرسول ﷺ وكذلك المغفرة من الله سبحانه وتعالى جزاء مدحهم للرسول الكريم. إذ يقول الشرف الأنصاري في ذلك[2][3]:

تَشَفَّعْ بِهِ فَهْوَ نِعْمَ الشَّفيعُ *** وسَلْهُ الْمُنى فَهْوَ بَحْرُ السَّخاءِ
وقُلْ عِنْدَكَ الْقِنُّ عَبْدُ الْعَزيزِ *** رَهينَ الْبِلى وقَرينَ الْبَلاءِ
أَماتَ الْعَمى قَلْبَهُ فاغتَدى *** ذَليلَ الْمقُامِ عَزيزَ الْعَزاءِ

فيتوسل الشاعر ويطلب الشفاعة للتخلص من الذنوب، والحصول علي الراحة النفسية .

---

(١) ديوان فتيان الشاغوري ، تحقيق أحمد الجبوري ، مطبوعات مجمع اللغة العربية – دمشق ، ص ١٠٨ .

(٢) الصاحب شرف الدين ٥٨٦ – ٦٦٢ هـ هو عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصاري الأوسي، شرف الدين المعروف بابن قاضي حماة. شاعر، فقيه، ولد في دمشق وسكن حماة، وتوفي بها. وله ديوان شعر ضخم، سمي (ديوان الصاحب شرف الدين الأنصاري . ط)، نشره المجمع العلمي العربي بدمشق. وقد وافته المنية في سنة ٦٦٢هـ ودفن بظاهر حماة. الأعلام للزركلي ،ج٤، ص٢٥.

(٣) ديوان الشرف الأنصاري ، مكتبة والي الدين بالقاهرة ، د ت ، ص ٣٣٥ .

أما الشاعر فتيان الشاغوري فيقول في مدحه مؤملاً شفاعته[1]:

أُوَمِّــلُ مِــن خَيــرِ الأَنَــامِ شَــفاعَةً *** بِهــا فــي نَعــيمٍ بِالجنــانِ أُخَلَّــدُ
فَأَنــتَ رَســولُ اللَــهِ وَهــيَ شــهادَةٌ *** أُقِــرُّ بِهــا حَتّــى المعــادَ وَأَشــهَدُ
وَدِدتُ بِــأَنّي زُرتُ قَبــرَكَ راجِــلاً *** وَقَبَّلــتُ تُربــاً أَنــتَ فيهــا مُوَسَّــدُ

ثانياً: التشييع وشعر المديح :

لقد تأثر شعر المديح النبوي بظاهرة التشييع، التي كانت سائدة في القرن السادس الهجري، وشعراء هذا الاتجاه الشيعي بالغوا في مدح آل البيت والخلفاء الفاطميين، وأشركوهم في صفات وخصائص الرسول ﷺ وشهد القرن السادس الهجري اضطراباً عقدياً واضحاً بين الشيعة وأهل السنة ، وقد تأثر الشعر بها، حيث يقول ظافر الحداد في ذلك[2][3]:

ومــدحُك فــي كتــابِ الله نَــصٌّ *** وحَسْــبُك منــه كــافٍ أَيُّ كــاف

لذلك نرى أن المظهر الشيعي في ذلك الوقت قد اتخذ مظهرين احدهما معتدل وآخر منحرف .

والمظهر المعتدل يبدو واضحاً في المدح الذي يقتصر علي مدح آل البيت، ويتضمن ذكر بعض عقائد وأفكار الشيعة، مثل العصمة والوصاية

---

(١) ديوان الشرف الأنصاري ، ص ١٠٩.

(٢) ظافر الحداد ٥٢٩ هـ هو ظافر بن القاسم بن منصور الجذامي أبو نصر الحداد. شاعر، من أهل الإسكندرية، كان حداداً. له (ديوان شعر – ط)، ومنه في الفاتيكان (١٧٧١ عربي) نسخة جميلة متقنة وفي خزانة الرباط (٩٨٠د) مخطوطة ثانية مرتبة على الحروف. توفي بمصر.(وفيات الأعيان ،ج١، ص٢٤١،).

(٣) ديوان ظافر الحداد ، تحقيق حسين نصار ، مطبعة حسين نصار ، ١٩٦٩م ، ص ٢١٩ .

وأحقية الإمام سيدنا علي كرم الله وجهه بالخلافة، وتعداد فضائله وبعض صفاته وشمائله والثناء علي ذريته الطاهرة ، يقول طلائع بن زريك في ذلك[1]:

محمد خاتم الرسل الذي سبقت *** به بشارة قسَّ وابن ذي يزن
وأنذر النطقاء الصادقون بما *** يكون من أمره والطهر لم يكن
الكامل الوصف في حلم وفي كرم *** والطاهر الأصل من ران ومن درن
ظل الإله ومفتاح النجاة وينبو *** ع الحياة وغيث العارض الهتن
فأجعله ذخرك في الدارين معتصماً *** له وبالمرتضى الهادي أبي الحسن

فالنبي هو أول المخلوقات ، وهو ينبوع الحياة ، والشاعر في هذه الأبيات يطلب التشفع بالنبي، وبعلي ابن أبي طالب كرم الله وجهه و تظهر بوضوح في هذه الأبيات[2]:

ألا إنني أمسكت أغصان دوحة *** أتت بأفانين الثمار الأطايب
لقد لاح لي برق اليقين ولم يكن *** ليخدعني برق الأماني الكواذب
ومما تتساوى الأرض في المجد *** والسما وكل علا ترتيبه في المراتب
بآل رسول اللّه ناجيت خالقي *** بصدق فأنجو من ينوب النوائب
وبوأني منه أماناً موسَّعاً *** وقد كنت أخشى أن تسد مذاهبي

حتى يقول بأحقية علي وأبنائه في الخلافة وأنها صرفت عنهم :

أخذتم على القربى خلافة أحمد *** وصيرتموها بعده في الأجانب
وأين على الإنصاف تيم بن مرة *** لو أخترتم الإنصاف من آل طالب
ولست أبالي أن أفارق كاذباً *** إذا كنت في حوز امرء غير كاذب

---

(١) ديوان طلائع بن زريك ، جمع وتحقيق أحمد بدوي ، مكتبة نهضة مصر ، ط ١ ، دون ت ، ص ١٤٦ .

(٢) ديوان طلائع بن زريك، ص ٥٣ .

فخـذ لبنـي رزيـك المظفـر مدحـة *** إذا أنشـــدت ازرت بـــدَّر الترائـــب
يعـارض مـن شـعر المقلـد قولـه *** دراك المعـالي فـي شـفار القواضـب

وكان يعمد شعراء الشيعة إلي معارضة بعض الشعراء السابقين، مثل الكميت، ودعبل بن علي الخزاعي. ومن ذلك نرى قصيدة طلائع التي يعارض قصيدة دعبل التائية[١]:

مَـدارِسُ آيـاتٍ خَلَـت مِـن تِـلاوَةٍ *** وَمَنـــزِلُ وَحـــيٍ مُقفِـــرُ العَرَصـــاتِ

فيقول طلائع[٢]:

لايـــم دع لـــومي علـــى صـــبواتي *** فمـــا فـــات يمحـــوه الـــذي هـــو آتِ
ومـا جزعـي مـن سـيئات تقـدمت *** ذهابـــــاً إذا أتبعتهـــــا حســـــناتي
ألا إننـــي أقلعـــت عـــن كـــل شـــبهة *** وجانبـــت غرقـــى أبحـــر الشـــبهات
شـغلت عـن الـدنيا بحبـي لمعشـر *** بهـم يصـفح الـرحمن عـن هفـواتي

ودائماً ما نرى شعراء الشيعة يرددون رموزاً وإشارات، كالحديث عن غدير خم، والوصية يوم هذا الغدير حين ما المح الرسول ﷺ على خلافة علي من بعده عند رجوعه من حجة الوداع، حيث عقد البيعة له وقال " من كنت مولاه، وهذا علي مولاه اللهم والى من والاه وعادي من عاده[٣]، يقول طلائع بن زريك في ذلك[٤]:

ويـوم خـمَّ وقـد قـال النبـي لـه *** بـين الحضـور وشـالت عضـده يـده

---

(١) ديوان دعبل الخزاعي، شرح مجيد طراد ، دار الجيل، بيروت، ط ١ ، ١٩٩٨م ، ص ١٥ .
(٢) ديوان طلائع بن رزيك ، ص ٦٦
(٣) الصراع بين الشيعة والتشيع ، د. موسي الموسوي ١٩٧٨م، ص١٠
(٤) ديوان طلائع ، ص ٧٠.

مـن كنـت مـولى لـه هـذا يكـون لـه *** مولـــى أتـــاني بـــه أمـــر يؤكـــده
مـــن كـــان يخـــذله فاللّـــه يخـــذله *** أو كـــان يعضـــده فاللّـــه يعضـــده
قـالوا سـمعنا وفـي أكبـادهم حـرق *** وكـــل مســـتمع للقـــول يجحـــده

المبحث الرابع
شعر الزهـــد

قال صاحب اللسان الزهد والزهاد في الدنيا ، ولا يقال إلا في الدين خاصة، والزهد ضد الرغبة والحرص علي الدنيا ، يقال زهد في الشئ وفلان يتزهد أي يتعبد ، فالمراد بالزهد لغة الرغبة عن الشئ [١].

وفي الاصطلاح ترك المباح المحبوب المقدور عليه لأجل الله تبارك وتعالى، فتارك المحظورات لا يسمى زاهداً .

وقد نقلت كتب الدين، أقوالاً كثيرة عن المراد بالزهد ومدلوله الإسلامي، كما فهمه الصحابة والتابعون ، وهذه التعاريف في مجملها تدور حول معني الاتجاه إلى الله، وعدم الاشتغال بالدنيا، والانقطاع عنها جملةً وتفصيلاً. وتتردد في القرآن الكريم دائماً الدعوة إلى الزهد في الدنيا والحياة ومتاعها الزائل وهي دعوة تحمل في مضامينها الحث علي التقوى والعمل الصالح ، ولا يعني الزهد في الإسلام الانقطاع تماماً عن الدنيا كالرهبانية، وإنما هو أخذ حظ يقيم الأود[٢]. وهو زهد فيه قوة ودعوة إلي العمل والكسب. يقول المولي عز وجل :

(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِين) [٣]

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، مادة ز. هـ. د.

(٢) تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي ، شوقي ضيف ، دار المعارف القاهرة ، ط٢٠ ، د ت ، ص ٣٧٠ .

(٣) سورة القصص / الآية : ٧٧ .

والزهد كما قال د . صالح بيلو " هو صورة من صور جهاد النفس الإمارة بالسوء وانصراف عن ملذاتها ومتعتها، وإقبال علي الله بالعبادة والعمل الصالح"[١].

إذن فالزهد اتجاه سلوكي مضمونه الانقطاع عن الدنيا والاتجاه إلي الله عن طريق العبادات المعروفة في الدين".

وقد نشأ الزهد نشأة إسلامية خالصة، متوسماً تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية، التي تحض علي الورع والإعراض عن ملذات الدنيا ومجاهدة النفس، ومع نهاية القرن الثاني الهجري نمت بذور تلك الموجه واتسعت، لتشمل جميع الأمصار الإسلامية وقد حظيت هذه الموجه باهتمام الأدباء والشعراء، إلى أن بلغت أوجها في العصر العباسي علي يد شاعر الزهد ابن أبي العتاهية[٢].

وقد أقبل شعراء القرن السادس الهجري علي نظم الأشعار التي تتعلق بمعاني الزهد ، فقد وجدوا فيه فناً وغرضاً شعرياً يجارون من خلاله القدماء، ويبثون مقدرتهم الشعرية في هذا اللون الفني ، بينما اتجه آخرون إلي الزهد تكفيراً عن ذنوبهم ، وندماً علي تفريطهم في حق الله ، والبعض الآخر وجد فيه ملاذاً من الواقع المؤلم السياسي والاجتماعي ، وبعضهم زهد إيماناً وتقرباً إلى الله ، خوفاً من عقابه ورغبته في جنته .

ومن خلال دراستنا للنماذج الشعرية يمكننا أن نقف أمام أهم الموضوعات التي تناولها شعراء القرن السادس الهجري في الزهد .

---

(١) الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصداها في الأدب ، الدكتور صالح أدم بيلو ، المديرة العامة للمطبوعات، المملكة العربية السعودية – مكة ط "١" ١٤٠٨ هـ ، ص ٣٠٥ .

(٢) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، الدكتور: محمد مصطفي هدارة، نشر دار المعرفة الجامعية ، ص ٣٤٤ .

أولاً: التحذير من الدنيا:

ارتبطت صورة الدنيا عند شعراء القرن السادس الهجري في المشرق، بالقرآن الكريم، قال تعالى: (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) [1].

وأكثر شعراء القرن السادس الهجري من ذم الدنيا ، فكان وصفهم لها أنها خداعة ، لا يؤمن مكرها ولا يكاد المرء يطمئن لها ، حتى تكشف عن قناعها وتصيبه المصائب والنكبات . يقول أسامة بن منقذ[2]:

احْـــذَرْ مـــن الـــدّنيَا ولاَ *** تَغْتَـــرَّ بـــالعُمرِ القَصـــيْرِ
وانظُـــرْ إلـــى آثَـــارِ مَـــنْ *** صَـــرَعَتْهُ مِنَّـــا بـــالغُرُورِ
عَمَـــرُوا وشـــادوا مـــا تـــرا *** هُ مِـــنَ المنـــازِلِ والقصـــورِ
وتحوّلُـــوا مـــن بعـــد سُكْـــ *** ـــنَاها إلـــى سَـــكْنَ القبـــورِ

فالشاعر يحذر من الغرور بالدنيا، لأن نهايته معروفة، وللإنسان أن يعتبر من تجارب الآخرين، وإلى أين إنتهوا.

والدنيا متقلبة لا تستقر علي حال ، فكم فتكت بمن ظن أنه خالد فيها، وكم بدلت صاحب ثراء إلي فقر معدم. يقول أسامة في ذلك[3]:

أمَـــا رأوْا تقلُّـــبَ الـــدنيا بِنَـــا *** وفتكهَـــا بِمَـــنْ إليهَـــا أخْلَـــدَا
كم نَسَفَتْ أيدِي الخطوب جَبَلاً *** وصـــيَّرَتْ لُجّـــةَ بَحْـــر ٍثَمَـــدَا
وكـم أعَـادَتْ ذَا ثَـرَاءٍ مُعْـدَماً *** وذا قَبِيـــلٍ وعَدِيـــدٍ مُفْـــرَدَا

---

(١) سورة الأنعام الآية : ٣٢

(٢) ديوان اسامة بن منقذ ، ص ٢٠٨ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٧٨ .

ونرى الدنيا في نظر ابن سناء الملك[١] هي بمثابة حلم سرعان ما يزول، والموت هو الذي يوقظ الإنسان من الحلم، وهي حالة لم تسكن الإنسان الذي يستغل نفسه بغرور الدنيا، ويهدي ويتحدث عن وحشة القبر، وإنه الدار الباقية ويسعى إلى توسعته بالأعمال الصالحة إذ يقول[٢]:

إليكِ عنيَ يا دُنْيَا إليك فَلي *** في وصْل مِثْلِكِ شَانُ المبغِضِ الشَّاني
في وَحْشَةِ القَبْر والدُّودِ المقيمِ به *** شُغْلٌ لِنَفْسِيَ عن دَارِي وبُسْتَاني
أَقول دَارِي وجِيراني مُغَالَطةً *** والقبرُ دَارِيَ والأَمْوَاتُ جِيرَاني

وله مقطوعة أخرى يتحدث عن كرهه الدنيا، ورغبته في الانصراف عنها لخسه الشركاء فيها قائلاً[٣]:

أَصْبَحْتُ للدُّنْيا الدَّنِيَّة *** كارهاً لا أَشتهيها
وعَقَقْتُ منها طائِعاً *** أُمِّي فما أَنا من بَنِيها
ووهبْتُها مِني لبَئِع نَفْسِه كَيْ يَشْتَرِيها

أما الشاعر ظافر الحداد، فيعطينا صورة واضحة عن الدنيا، ويصفها بأنها مثل السم في العسل. فيقول[٤]:

كنْ من الدنيا على وَجَلِ *** وتَوَقَّعْ بَغْتةَ الأَجَل

---

(١) ابن سناء الملك (٥٤٥ – ٦٠٨ هـ) هو هبة الله بن جعفر بن سناء الملك، أبي عبد الله محمد بن هبة الله السعدي، أبو القاسم القاضي السعيد. شاعر من النبلاء ، مصري المولد والوفاة ، كان وافر الفضل ، رحب النادي جيد الشعر بديع الإنشاء . كتب في ديوان الإنشاء بمصر مدة ، ولاه الملك الكامل ديوان الجيش سنة ٦٠٦ هـ.له (دار الطراز – ط) في عمل الموشحات ، (وفصوص الفصل – خ) جمع فيه طائفة من إنشاء كتاب عصره . شذرات الذهب ،ج٤، ص٧٣

(٢) ديوان ابن سناء الملك ، تحقيق محمد ابراهيم نصر ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ١١٣ .

(٣) ديوان بن سناء الملك ، ص ٥٥٦.

(٤) ديوان ظافر الحداد ، ص٢٤٨.

فعقـــــول النـــــاس لاهيَـــــةٌ *** فـــي الهـــوى والكســـب والأمـــل
يَجْـــــرع الإنســـــانُ لـــــذتَها *** وهْـــي مثـــلُ الســـمِّ فـــي العســـل
أنـــت مـــن دنيـــاك فـــي شُـــغُلٍ *** والمَنايـــا فيـــك فـــي شُـــغُل

ويؤكـد سـبط التعاويـذي[1] علـي ذم الـدنيا لأنهـا محفوفـة المخـاطر والمصائب، وهي دائمة الفتك بأصحابها، وكل شئ فيها زائل، حتى ما يجمعه الإنسان من مال، فهو في النهاية إلي غيره من الوراث ... حيث يقول في ذلك[2]:

خُـــذ مِـــن شَـــبابِكَ وَانتَهِـــز *** أَيّـــامَ صِـــحَّتِكَ القُـــرَص
تَشـــري المَـــآثِمِ مُغلِيـــاً *** وَتَبيـــعُ دينَـــكَ مُـــرتَخَص
أَوَمـــا تَـــرى ظِـــلَّ الشَبيـــ *** ـــبَةِ عَـــن عِـــذارِكَ قَـــد قَلَـــص
أَعـــرِض عَـــنِ الـــدُنيا المَشـــو *** بَـــةِ بِالنَوائِـــبِ وَالغَصَـــص

والدنيا في نظر ابن الخياط ما هي إلا محطة مؤقتة، فيقول في ذلك[3]:

وَمَـــا هـــذِهِ الـــدُّنْيَا بِـــدَارِ إِقَامَـــةٍ *** فَيَحْـــزَنَ فِيهَـــا الْقَـــاطِنُ الْمُتَرَحِّـــلُ
هِـــيَ الـــدَّارُ إِلاَّ أَنَّهـــا كَمَفـــازَةٍ *** أَنَـــاخَ بِهـــا رَكْـــبٌ وَرَكْـــبٌ تَحَمَّلُـــوا

(١) سِبطِ اِبنِ التَعاويذي (٥١٩ – ٥٨٣ هـ) هو محمد بن عبيد الله بن عبد الله، أبو الفتح، المعروف بابن التعاويذي أو سبط ابن التعاويذي. شاعر العراق في عصره، من أهل بغداد مولداً ووفاةً، ولي فيها الكتابة في ديوان المقاطعات، وعمي سنة ٥٧٩ هـ له ديوان ط (الاعلام ج ٣ ، ص٥٥) .

(٢) ديوان ابن سبط التعاويذي ، لابي الفتح محم بن عبد الله ، نسخ وتصحيح مرجليوث دار صادر بيروت ، ١٩٦٧م ، ص ٢٤٨

(٣) ديوان ابن الخياط ، ص ٢٩.

ثانياً: فلسفة الحياة و الموت:

شغلت فكرة الموت ومصير الإنسان، أذهان العلماء والقضاء والزهاد في مختلف العصور ، بل تحولت إلي فكرة فلسفية عند الفلاسفة والمفكرين والشعراء ، وقد وجدت هذه الفكرة في الشعر العربي. أما عند شعراء القرن السادس الهجري. فإن فكره الموت ومصير الإنسان، قد وجدت مكانها في أِشعارهم، خاصة في زمن كان الموت أحد أهم مظاهر الحياة .

فقد أكثر الشعراء من ذكر الموت، لأنه نهاية رحلة الإنسان في هذه الحياة ، ولعل المعاني الإسلامية، هي أكثر المعاني بروزاً في شعر الزهد ، يقول أسامة بن منقذ[١]:

فَليسَ بَعد الموتِ دارٌ سِوى *** جنَّةِ عَدْنٍ أو لَظىً تَضرَمُ
والموعِدُ الحشرُ ونُجزَى عن الـ *** أعمالِ والغبنُ لمن يَندَمُ
ويُنْصَفُ المظلوم من خَصمِهِ *** ويستوي السُّلطانُ والمُعدَمُ
ويشخَصُ الخلقُ إلى حاكِمٍ *** يحكُم فيهم بالّذي يَعلَمُ

وفي قصيدة أخرى يقول[٢]:

مَثُوبَةُ الفَاقِدِ عَن فقدِهِ *** بِصَبْره أنْفَعُ من وَجْدِهِ
يَبْكِيهِ من حُزنٍ عليه فهلْ *** يطمعُ في التّخليدِ مِن بعدِهِ
ما حيلةُ النّاسِ وهلْ مِن يدٍ *** لهمْ بدفعِ الموتِ أو صَدِّهِ
وُرُودُهُ لا بدَّ منه فلِمْ *** تُنْكِرُ ما لا بدَّ مِن وِرْدِهِ

فيتحدث الشاعر عن الموت ، ذاكراً أنه حق لا بد منه ، وأن الإنسان يصبر علي فقد قريبه ، ويحتسب ذلك عند الله تعالى ، لأن الصبر يعقبه الأجر ، أما البكاء فلا يعيد الميت إلي الحياة. وذكر الشاعر أن الموت يصيب الجميع

---

(١) ديوان أسامة بن منقذ، ص٣٣٩

(٢) مصدر سابق، ٢٧٩.

دون تفرقه بين غني و فقير، أو صغير أو كبير، ويتناول الشاعر بعد ذلك الأموات، فيذكر أنه لو أتيح لهم الكلام مع الأحياء، لقالوا لهم إن التقى خير زاد المرء إلي ربه. ثم ينصح أسامة الناس بالعودة إلي الله والصبر علي طاعته ، لينالوا الفوز والصلاح في الآخرة. ويوم الحساب يقف الإنسان بين يدي الله محرراً من أي شئ إلا من عمله، فلا شفيع إلا الله، لا يتبعه صديق أو قريب ... يقول ابن سبط التعاويذي[1]:

وَالنـــاسُ قَـــد قامَـــت قِيـــامَتُهُم وَلا *** أَنســـــابَ بَيـــــنَهُمُ وَلا أَســـــبابُ
وَالمَـــرءُ يُســـلِمُهُ أَبـــوهُ وَعِرسُـــهُ *** وَيَخونُـــــهُ القُرَبـــــاءُ وَالأَصـــــحابُ
لا شـــــافِعٌ تُغنـــــي شَـــــفاعَتُهُ وَلا *** جـــانٍ لَـــهُ مِمّـــا جَنـــاهُ مَتـــابُ

وللموت فلسفته عند طلائع بن زريك إذ يقول[2]:

انظـــر لهـــذي الـــدار كـــم *** قـــد حـــل ســـاحتها وزيـــر
ولكـــم تبختـــر آمنـــاً *** بـــين الصـــفوف بهـــا أميـــر
ذهبـــوا فـــلا واللّـــه مـــا بقـــ *** ـــي الصـــغير ولا الكبيـــر

ثانياً: التوكل علي الله :

هو ثمرة من ثمار الإيمان ، وقد تفرد الزهاد والصالحون بالعمل الحقيقي بهذه الفكرة ، فنجد شعراء القرن السادس الهجري تناولوا هذه الفكرة في أشعارهم ، فالشاعر أسامة بن منقذ يطلب من الإنسان أن يفوض أمره إلي الله سبحانه وتعالى فيقول[3]:

فَـــوِّض الأمـــرَ راضِـــيا *** جَـــفَّ بالكـــائِنِ القَلَـــمْ

(١) ديوان ابن سبط التعاويذي ، ص ٥٥
(٢) ديوان طلائع بن زريك ، ص ٤١.
(٣) ديوان أسامة بن منقذ ، ص ٣٤٠.

لَـــيس فـــي الـــرِّزقِ حيلـــةٌ *** إنّمـــــا الـــــرِّزقُ بالقِسَـــــمْ
دلَّ رزقُ الضـــــعيفِ وهْـــــ *** ـــوَ كَلَحـــمٍ علـــى وضَـــمْ

والتوكل علي الله يحدده ابن الكيزاني في قواعد سلوكية واضحة، توصل الإنسان لله عز وجل إذ يقول:

قِـــف علـــى البـــاب طالبـــا *** ودع الدمـــــــع ساكبـــــا
وتوســـــلْ بـــــه إليـــــه *** مـــــن الذنـــــب تائبـــــا
تلـــق مـــن حســـن فضـــله *** عنـــــــد ذاك العجائبـــــا
خـــــف منـــــه أن يـــــرا *** ك علـــــى الذنـــــبِ راكبـــا
فهـــو يُجـــزِى علـــى اليسيـــ *** ـــــرِ ويعطـــــي الرغائبـــا
زينـــــة العبـــــدِ بـــــالتقى *** فاجعـــل الصـــدق صـــاحبا[1]

(١) الوافي بالوفيات ص ٣٣٧ .

المبحث الخامس
شعر الحكم والوعظ

الحكمة : لهذه الكلمة أصل حسي، ومنه انتقلت إلي معناها المجرد الذي عرفت به. أما المعني الحسي فمأخوذ من كلمة " الحكمة بفتح الحاء والكاف، وهي الحديدة في اللجام تحيط بحنكي الفرس، لتحد من سرعته وشدة مراسه "[١].

وقد أشار إلى هذا المعني ابن فارس بقوله: الحاء والكاف أصل واحد وهو المنع، والحكمة هذا قياسها لأنها تمنع من الجهل[٢]

ومن هنا جاء المعني العقلي المجرد، فقد جاء في التعريفات أن الحكمة كل كلام وافق الحكمة فهو حكمة، وقيل الحكمة هي الكلام المعقول المصون عن الحشو[٣] والحكمة كما يقول د . صالح آدم بيلو: "هي وجهة نظر معينة تتكون بطول تفكر الإنسان وتأمله وأعمال عقله تجاه الأشياء"[٤]

والحكمة غير الزهد فعلي الرغم من التقائهما من ناحية أو أكثر، إلا أنهما يفترقان افتراقاً واضحاً. فالزهد مذهب في الحياة له قواعده ورسومه الخاصة، وله الفهم وفرائضه المعينة. أما الحكمة فهي إن لم تكن تجربة ذاتيه – مذهب في الشعر لا في الحياة، ينظم فيه صاحبه بتأثير نظره فلسفية للكون، وحقائق الأشياء فيه بحكم ثقافته أو تكوينه الفكري ولا يطلب منه شئ وراء ذلك. فليس هناك قواعد ولا رسوم معينة للشعراء الحكماء وليست هناك فرائض عليهم أداؤها ، ولا أي تقليد آخر مثلما يفترض في الزهد. لهذا لا تستغرب إن وجدنا

---

(١) القاموس المحيط، الفيروزابادي، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٩٨٦م ، مادة ح. ك. م.

(٢) معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل بيروت ، د ت ، ج ٢ ، ص ٩١ .

(٣) التعريفات، الجرجاني، منشورات: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ، ص ٩٦ .

(٤) الثقافات الأجنبية وصداءها في الأدب ص ٣٠٥ .

من الشعراء، الذين يملأون شعرهم، بالحكمة والأمثال والآداب والمواعظ، زنديقاً أو فاسقاً أو ما أشبهه، لأن هذا لا ينفي ذلك .

وقد تطور شعر الحكمة عما كان عليه في الجاهلية، ومن أول مظاهر هذا التطور أن شعر الحكمة لم يصبح قطرات متناثرة كما كان عليه في القرن الأول، ولكنه أصبح موضوعاً لقصائد خاصة به، يقصد إليها الشاعر قصداً. ومنذ القرن الثاني للهجرة أصبحت الحكمة من الموضوعات الثابتة في الشعر[١].

ولقد بلغت الحكمة في القرن السادس الهجري قدراً كبيراً من النضج، ونرى ذلك واضحاً من خلال النماذج التي أوردناها في طيات هذا البحث . يقول أسامة بن منقذ الذي نجد شعر الحكمة عنده يعبر عن آرائه في الحياة والكون والناس[٢]:

لا تُنكِرَنْ مُرَّ العتاب فَتحتَه *** شهدٌ جَنَتْه يدُ الوِدادِ النّاصِحِ
وتَطَلَّبَ المحبوبَ في مكروهِه *** فالدُّرُّ يُطلَبُ في الأُجاجِ المالِح
اصبِر على ما تَخْتَشي أو تَرتَجي *** تَظْفَرْ بحُسنِ سَكينةٍ ونَجاحِ
أَوَ ما تَرى السّارين لمّا صابَروا *** ظُلَمَ السُّرى أفضَوْا إلى الإصْباحِ

ففي هذه الأبيات يبدو إصرار الشاعر علي الحصول علي الأمل واضحاً، حيث يأتي الإصباح مؤكداً علي هذا الإصرار، فبعد عتمة الليل يبدو الأمل مشرقاً مع الصباح .

وفي إحدى قصائده نراه يدعو إلي الصبر والتمسك به، فالدهر يرهقه عسراً، لكن مع هذا العسر يتبعه اليسر، حيث يقول[٣]:

---

(١) اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري ، ص ٤٧٥ .
(٢) ديوان اسامة بن منقذ ص ٢٨٢
(٣) المرجع السابق ص ٢٦٨ .

إن فاجَأَتْـــــكَ اللّيـــــالي *** بمـــــا يســـــوءُ فَصَـــــبْرَا
فالـــــدهرُ يُرهِـــــقُ عُســـــراً *** ويُتبِـــــعُ العُســـــرَ يُســـــرا
لـــــو دامَ مـــــا ســـــاءَ مِنْـــــهُ *** لـــــدامَ مـــــا كـــــانَ سَـــــرَّا

وله قصيدة أخرى يقول فيها[1]:

الْـــــق الخُطـــــوبَ إذا طَرَقْـــــ *** ـــــنَ بقلـــــبِ مُحتســـــبٍ صَبـــــورِ
فَسينقَضـــــي زمـــــنُ الهُمُـــــو *** مِ كَمـــــا أُنقَضـــــى زَمـــــنُ السُّـــــرورِ
فَمِـــــنَ المُحـــــالِ دوامُ حـــــا *** ـــــلٍ فـــــي مَـــــدى العمـــــرِ القَصيـــــرِ

فالدنيا لا تدوم علي حال، فهي في تقلب دائم بين حزن وسرور ، فلذلك ألف الخطوب بقلب محتسب صبور .

يقول القاسم الواسطي[2] في شعر الحكمة[3]:

جد الصبا في أباطيل الهوي لعب *** وراحة اللهو في حكم النهي تعب
وأقرب النـاس فـي مجـد يوثلـه *** مـن أبعدتـه مرامـي العـزم والطلـب
لا يرهـب المـرء مالـم تبـد سـطوته *** لـولا السـنان اسـتوى الخطـى والقصـب

فالجد في الهوى لعب ، والراحة في اللهو تعب ، وأقرب الناس للمجد من إبتعد في طلبه وعزم علي الوصول إليه، فالمراد لا يخيف إلا بسطوته، والسعي نحو العليا مكرمة ، والإنسان إن لم يرث الملك والمجد، يستطيع أن

---

(١) المرجع السابق ص ٢٨٦ .

(٢) هو القاسم بن القاسم بن عمر بن منصور الواسطي الأديب النحوي اللغوى ، ولد بمدينة واسط في العراق عام خمسين وخمسمائة للهجرة (بغية الوعاء ، ص ٣٨٠) .

(٣) معجم الأدباء ياقوت الحموي ، مطبوعات دار المامون ، مصر ، ١٩٣٦م ج ١٦ ص ٣١٠ .

يصل إليهما. والناس فريقان ، مرزوق ومحترم و مغصوب ومغتصب ، وذو النفس الطاهرة لا يرضى إلا بأعلى المراتب .

ويرى راجح الحلي[١] الموت لا يدفع ويدافع إنما هو قائم مقضي كما يري الدهر عنيفاً متقلباً[٢]:

فلو كان غير الموت دافعتُ عنه *** بطعن يرد السمهريَّ مُقَصَّدا
وغادرت جفن الأفق بالسمر أوطفاً *** وخد المواضي بالنجيع مُوَرَّدا
ولكنه دهر إذا ما نعيمه *** تحول بؤساً هدَّ ما كان شيّدا

ومن الجدير بالمرء أن تقوده المقدمات إلي النتائج ، فبياض الأفق يعني قرب انتهاء الليل وازدهار النبت يعني قرب يبسه. لذلك يرى ابن العديم[٣] الشيب يعني قرب الموت إذ يقول[٤]:

أليس بياض الأفق في الليل مؤذناً *** بآخر عمر الليل إذ هو أسفرا
كذاك سواد النبت يقرب يبسه *** إذا ما بدا وسط الرياض منورا

---

(١) هو أبو الوفاء شرف الدين راجح بن أبي القاسم إسماعيل الأسدي الحلي شاعر وأديب مطبوع ، ولد في الحلة عام ٥٧٠ هـ . كان فاضلاً جيد النظم عذب الألفاظ حسن المعاني . (أعيان الشيعة ٣١ / ٧٥) .

(٢) مفرج الكروب ج ٣ ص ١٩٨ .

(٣) (٥٨٨ – ٦٦٠ هـ) عمر بن أحمد بن هبة اللّه بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم.مؤرخ، العديم.مؤرخ، محدث، من الكتاب، له شعر حسن، ولد بحلب، ورحل إلى دمشق وفلسطين والحجاز والعراق، وتوفي بالقاهرة. من كتبه (بغية الطلب في تاريخ حلب– خ) كبير جداً، اختصره في كتاب آخر سماه (زبدة الحلب في تاريخ حلب)، و(سوق الفاضل– خ) منه مجلدين في مكتبة عارف حكمت بالمدينة، و(الدراري في الذراري– ط)، و(وصف الطيب– خ) رسالة، و(الأخبار المستفادة في ذكر بني جرادة)، و(دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري– ط) ما وجد منه، و(التذكرة– خ) أجزاء منها.

(٤) معجم الأدباء ج ٥ ص ٥٦ .

ونراه في قصيدة أخرى لا يخشى الفقر ، فالله سبحانه وتعالى تكفل برزق العباد حيث يقول[١]:

فقلت لها إن الذي خلق الورى *** تكفل لي بالرزق منا وأنعما
وما ضرني أن كنت رب فضائل *** وعلم عزيز النفس حراً معظماً
إذا عدمت كفاي مالاً وثروةً *** وقد صنت نفسي أن أذل وأحرما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي *** لأخدم من لاقيت لكن لأخدما

ويرى ابن قطاع الصقلي[٢] أن الدنيا غرورها لا يدوم وأن نعيمها زائل[٣]:

تنبه أيها الرجل النئوم *** فقد تجمعت بعارضك النجوم
وقد أبدى ضياء الصبح عما *** أجن ظلامه الليل البهيم
فلا تغرك يا مغرور دنيا *** غرور لا يدوم لها نعيم
ولا تخبط بمعوج غموض *** فقد وضح الطريق المستقيم

ويقول ظافر الحداد محذراً من الدنيا [٤]:

كن من الدنيا علي وجل *** وتوقع بغته الأجل

يقول الشاعر عش في هذه الحياة، ولكن توقع سرعة الأجل، الذي يأتي للإنسان وهو لا يدري به.

---

(١) أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، محمد راغب الطباخ ، المطبعة العلمية ، ١٣٤٣ هـ ، ج ٢، ص ٥٥٦ .

(٢) هو أبو القاسم علي بن جعفر بن علي السعدي، ولد بصقلية، ووفد إلى مصر، كان أحد أئمة الأد واللغة. وله تصانيف نافعة، منها كتاب الأفعال. (وفيات الأعيان ،ج٢، ص٣٣٢).

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة.

(٤) ديوان ظافر الحداد ص ٢٤٨ .

ونراه في قصيدة أخرى يحذر من غوائل الدنيا وصحبة الأشرار، ويرى أن الشر كأنما طبع نفوس الآنام ، ولكن علي الإنسان أن يزيل هذا الشر من النفس، بالزجر والعقل والواعي ، وإذا كان لا بد من قرب هؤلاء فليكن علي حذر حيث يقول[١]:

أرى الشـرَّ طبـعَ نفـوسِ الأنـامْ *** يُصـــرِّفها بـــين عـــابٍ وذامْ
ولكنّهـــا زُجـــرِت بالعقـــول *** كزَجْـر الجمـوحِ بجـذب اللجـام
وقـد يَبْـدُر الخيـرُ مـن فِعْلهـا *** كمـا عَرضـتْ نَبْـوةٌ للحُسـام

ويدعو الطغرائي[٢] إلي القناعة بميسور العيش و العيش في جماعة واطاعة الآباء والصبر علي تصاريف الزمان ، و المصافاة والشكر والتعاون بقوله[٣]:

كونُـوا جميعَـاً يـا بَنِـيَّ إذا اعتَـرى *** خَطْـبٌ ولا تتفرقُـوا آحـادَا
تـأبَى القِـداحُ إذا اجـتمعْنَ تكسُّـراً *** وإذا افتـرقْنَ تكسَّـرتْ أفـرادَا

ونرى ابن منير الطرابلسي يدعو إلي الارتحال في طلب المجد والغنى، ويعيب علي الكريم أن يبقى في مكان يجد فيه الفقر والذل ، ويقرر أن ذهاب النفس ليس هو الموت، إنما حياة الذل هي الموت الحقيقي إذ يقول[١]:

---

(١) المرجع السابق ص ٢٩٩ .

(٢) ٤٥٥ – ٥١٣ هـ هوالحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد أبو إسماعيل مؤيد الدين الأصبهاني الطغرائي. ونسبة الطغرائي إلى كتابة الطغراء. شاعر ، من الوزراء الكتاب، كان ينعت بالأستاذ، ولد بأصبهان، اتصل بالسلطان مسعود بن محمد السلجوقي (صاحب الموصل) فولاه وزارته. له (ديوان شعر – ط)، وأشهر شعره (لامية العجم) ومطلعها . "أصالة الرأي صانتني من الخطل". وله كتب منها (الإرشاد للأولاد – خ)، مختصرة في الإكسير. (وفيات الأعيان ،ج١، ص ٢٦٢).

(٣) ديوان الطغراي ، دار الكتب المصرية القاهرة ، د ت ، ص ٧٤ .

وإذا الكـريمُ رأى الخُمُـولَ نَزِيلَـهُ *** فـــي بَلـــدةٍ فـــالحَزْمُ أن يتـــرحَّلا
كَالبدرِ لَمّا أَنْ تَضاءَلَ جَدَّ في *** طَلَـــبِ الكَمـــالِ فَحـــازَهُ متَـــنقّلا
سفَهَاً لحلْمِكَ إِنْ رَضِيتَ بمشْرَبٍ *** رَنِــقٍ ورزقُ اللَّــه قَـد مَــلأَ المَــلا

يقول ابن القلانس[٢] في أبيات نهي فيها عن القنوط و اليأس ، لأن الشدائد مهما اشتدت فسوف تهون مع الأيام، وعلي الإنسان أن يؤمن بالقضاء والقدر، فإن ما قدره الله كائن لا محال :

أيــاك تقــنط عنــد كــل شديــدة *** فشـــدائد الأيـــام ســـوف تهـــون
وانظـر أوائـل كـل أمـر حـادث *** أيــدا فمــا هــو كــائن ســيكون[٣]

ويقرر الحصفكي[٤] أن الذل للدنيا والتهالك عليها ليس من طبع الحر ، لأن هذه الدنيا مهما أعطت الانسان لا تستحق هذا التكالب فكيف وأنها متاع زائل حيث يقول[٥]:

واللهِ لــو كانــت الــدنيا بأجْمعهــا *** تُبْقــي علينــا ويــأتي رِزقُهــا رَغَــدَا
مـا كـان مِـن حـقِّ حُـرٍّ أن يَـذِلَّ لهـا *** فكيــف وهــيَ مَتــاعٌ يَضْــمَحِلُّ غــدا

---

(١) شذرات الذهب ج٤، ص ٤ – ١٤٦.

(٢) هو حمزة بن أسد بن علي أبو يعلي التميمي، المعروف بابن قلانسي، ألف ذيل تاريخ دمشق، وتوفي بدمشق سنة ٥٥٥ هـ .(وفيات الوفيات ،ج١، ص ١٤٧) .

(٣) النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٣٢ .

(٤) هو يحي بن سلامة الحسن الحصفكي ولد بتنظه وهي قرية بدار بكر كان إماماً في كثير من الفنون توفي سنة ٣٥٣ هـ . (الأعلام ،ج٨، ص١٤٨) .

(٥) النجوم الزاهرة ص ٣٢٨ .

وهذا ما نراه من سياحتنا خلال شعر الموعظة والحكمة، عند شعراء القرن السادس الهجري، وهي تدل على إيمان عميق بالله سبحانه وتعالى، وهي تجارب ومواقف عبرت عن هذا الفن، بأسلوب سلس جميل.

الفصل الثاني

المبحث الأول : شعر المديح

المبحث الثاني : شعر الهجاء

المبحث الثالث : شعر الرثاء

المبحث الرابع : شعر الاخوانيات

الاتجاه الاجتماعي

المبحث الأول
شعر المديـــــح

المدح نقيض الهجاء، والمدح هو حسن الثناء، يقال مدحه مدحة واحدة والمدحة اسم المدح و الجميع مداح[١].

وهو يدل علي وصف المحاسن بكلام جميل ، ومدحه أحسن عليه الثناء[٢].

أما في الاصطلاح الأدبي ، فإن المدح ذلك الغرض الشعري الذي يختص بهذا النوع من الثناء والإطراء الذي يتوجه به الشاعر إلي ممدوح معين[٣].

إذن فالمدح فن الثناء والإكبار والاحترام، قام بين فنون الأدب العربي مقام السجل الشعري لجوانب من حياتنا التاريخية ، إذ رسم نواحي عديدة من أعمال الملوك، وسياسة الوزراء، وشجاعة القواد، وثقافة العلماء، فأوضح بذلك الخفايا وكشف عن بعض الزوايا. وقد استعرضنا ما كان للعرب في هذا الباب، فرأيناه كثيراً ضخماً منذ الجاهلية حتى اليوم فهو يشكل ديواناً وجزءاً خطيراً من أدبنا العربي، ويحتل موقعاً مهماً لأنه يعني بما يعني به بوصف الرجال، وامتداح مزاياهم، والتحبب إليهم، والتقرب إلي مقامهم، بأحسن أسلوب وأبرع صورة[٤].

---

(١) معجم تهذيب اللغة لابن منصور الهروي الازهري ، تحقيق رشيد عبد الرحمن العبيدي ، المطبعة المصرية القاهرة ١٩٧٠ ، باب المدح .

(٢) معجم مقاييس اللغة ، ج ٥ ، ص ٣٠٨ .

(٣) المصطلح النقدي في نقد الشعر ، إدريس الناغوري ، طرابلس المنشأة العامة ، ط ٢ ، ١٩٨٤م ، ص ٥ .

(٤) المديح ، سامي الدهان ، دار المعارف ، د ت ، ص ٥ .

وقد عدد ابن طباطبا العلوي[1] هذه الفضائل التي وجد العرب تتمدح بها في الشعر فقال " وأما ما وجدته في أخلاقها ، ومدحت به سواها، وذمت ما كان علي غير حالة فيه، فخلال مشهوره كثيرة منها في الخلق الجمالي ، والبسطة ، ومنها في الخلق السخاء، والشجاعة والحلم والحزم والعزم والوفاء والعفاف[2].

ولم تتغير هذه النظرة في الشعر العربي، إزاء هذه القيم بطبيعة الحال نتيجة لتغير الزمان والمكان ، لأنها قيم إيجابية ، وانطلاقاً من هذه المبادئ الاجتماعية، جعل شعراء القرن السادس الهجري في المشرق، هذه الفضائل محور مداحهم، وداروا في فلكها، وقل أن خرجوا عنها. إذ أخذوا يتمثلون في ممدوحهم كل القيم المثالية ويسبغون عليهم كل الصفات الجميلة خلقاً وعقلاً ، فكان المديح وسيلتهم إلي معاشهم لينالوا به العطاء الجزل ويبلغوا به أعلي المراتب لدى الخلفاء والسلاطين والأمراء[3]. وهناك ملاحظة أخرى أن شعراء القرن السادس الهجري في تناولهم للقصيدة المادحة كانوا فئتين ، فئة متكسبة وهي كانت تلزم الخلفاء و الوزراء والملوك حتى يحظوا بجزيل الهبات، وفئة غير متكسبة ، ابتعدت عن روح التكلف والاستجداء ، واتجه شعراؤها بهذا الغرض إلي غايات أسمى، وأهداف أكبر، فقد كان المديح عندهم تسجيلاً لسمات البطولة، وأداة لخدمة الجهاد، وتخليداً للمعارك وتسجيلاً للقضايا التي تتصل بحياة الأبطال والقادة، والنماذج الشعرية تغطي مساحة كبيرة من هذه الأغراض آنفة الذكر .

---

(١) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم بن طباطبا المولود باصبهان يرجع نسبه إلي علي ابن ابي طالب له عدة مؤلفات منها (عيار الشعر ، تهذيب الطبع ، وغيرها) المتوفي سنة ٤٢٢ هـ . (معجم البلدان ج ١٧ ، ص ١٤٣) .

(٢) عيار الشعر ، لمحمد بن طباطبا العلوي دراسة وتحقيق محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، الاسكندرية ، ص ٥٠ .

(٣) الأدب في بلاد الشام (عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك) / ص ٤٧١ .

يقول ابن سناء الملك، في مدح القاضي الفاضل، الذي ألحقه بديوان الإنشاد في ذلك الوقت، وأشار إلي النعم التي غمره بها . وقد بالغ في امتداحه حتى خرجت عن المألوف حين جعل الدهر مفتقراً إليه ، يمد كفه مستجدياً بينما يمد الفاضل لحظه محتقراً إياه ، وقلمه في يده قدر الله يخط به مصائر الناس، فينفع هذا و يضر هذا إذ يقول[1]:

دخلتُ جنَّةَ عَدْنٍ في الحياةِ بهِ *** فلست أَقرأُ إلا آخِرَ الزُّمر
وقُلتُ قولوا لأَيَّامٍ مغَيّرةٍ *** غُرِّي المهدِّدَ يا أَيَّامُ بالغِيرِ
وصِرتُ أَلْهو وليلُ الأَمنِ يَشْملني *** طوراً مع السُّمْرِ أَو طوراً معَ السَّمر
قبّلتُ ثغرَ الأَماني إِذْ ظَفِرت به *** والثَّغْر يحسنُ بعد الْفَتْحِ والظَّفرِ

كما مدحه بالرياسة الأصلية فيه، وبطلاقة الوجه، والنوال الطليق، وبالتعمق في الجود حتى لا يستقر المال في كفيه فيقول[2]:

وَرِثَ السِّيادَة كابراً عن كابرٍ *** فالعِرْقُ في أُفْق العَلاءِ عَريقُ
معنَى الرِّئَاسةِ فيه بِكرٌ لا كَمن *** معنَى الرِّئَاسَةِ عنده مطروقُ
الحُكمُ فصلٌ والكلامُ مفصَّل *** والوجهُ طلْقٌ والنَّوالُ طليقُ
متعمِّقٌ في الجود لولا جودُه *** ما كان يُشكر في الوَرى التَّعميقُ
لا يستقرُّ المالُ فوقَ بَنَانِه *** حتّى كأَنَّ بنانَه مخروقُ

ونراه في مدحة أخرى، يغالي في مدحه للقاضي الفاضل، فجعله قد استعبد الخلق ، والملوك تفد إلي بابه ورأيه سديد، إلي غير ذلك من الصفات التي تعود أن يخلعها عليه ومن ذلك قوله[3]:

---

(١) ديوان بن سناء الملك ،ج٢، ، ص ١٥٥ .
(٢) ديوان ابن سناء الملك ،ج٢، ص ٨ .
(٣) ديوان ابن سناء الملك ،ج٢، ص ١١٧ .

أَصـــبحتُ لا مَنْصِـــباً ولا أَمَـــلاً *** فيـــــه ولا نِعْمـــــةً ولا حَسَـــــدا
لا مُســعداً لِــي علــى الزَّمــانِ ولا *** سَـــعْداً ولا عَاضِـــداً ولا عَضُـــداً
كَسَـــدْتُ فيـــه ولـــيس ذَا عَجَبـــاً *** مِنْـــه فَمِثْلـــي فـــي مِثْلِـــه كَسَـــدا

ومن القصائد المادحة أيضاً قصيدة ابن سناء الملك في صلاح الدين الأيوبي ، ونعته بصفات الكرم والجود، إذ يقول[1]:

فِـدىً لابـن أَيـوبَ الملـوكُ لأَنهـم *** إذا بَخِلـو أَعْطَـى وإن أَفْقَـرُوا أَغْنـى
تـرى كلَّ مـن يعطـي المئينَ عُفاتَـه *** فِـدَى مَلـكٍ يُعطـى الأَقـاليم والمُـدْنا
ولـم يكْفِـه أَن أَخجْـلَ البيضَ بالـدِّما *** إِلـى أَنْ أَرانَـا جـودَه أَخْجَـل المُزْنـا
فسـائلُه أَثْنـى وقاصـدُه اهتـدى *** ونائلُـه أَحْيَـا وصـارمُه أَقْنـى

ومن الشعراء المداح أيضاً عمارة اليمني حيث يقول[2][3]:

أيـا أذن الأيـام إن قلـت فاسـمعي *** لنفثـه مصـدور وأنـه موجـع
وعـي كـل صـوتٍ تسـمعين نـداءه *** فـلا خيـر فـي أذن تنـادي فـلا تعـي
تقاصـر بـي خطـو الزمـان وباعـه *** فقصـر عـن ذرعـى وقصـر أذرعـي
وأخرجنـي مـن موضـع كنـت أهلـه *** وأنزلنـي بـالجور فـي غيـر موضـعي
بسـيف ابـن مهـديٍّ وأبنـاء فاتـكٍ *** أقض من الأوطان جنبي ومضجعي

---

(١) المصدر السابق ص ٦٦ .

(٢) عمارة اليمني – ٥٦٩ هـ عمارة بن علي بن زيدان الحكمي المذحجي اليمني، أبو محمد، نجم الدين. مؤرخ ثقة، وشاعر فقيه أديب، من أهل اليمن، ولد في تهامة ورحل إلى زبيد سنة ٥٣١هـ، له تصانيف، منها (أخبار اليمن– ط)، و(أخبار الوزراء المصريين– ط)، و(المفيد في أخبار زبيد)، و(ديوان شعر– خ) كبير. (تاريخ بغداد ،ج١٢، ص ٢٨٢) .

(٣) خريدة القصر وجريدة أهل العصر للعماد الاصفهاني ، تحقيق قسم شعراء الشام، تحقيق دكتور شكري فيصل ، المطبعة الهاشمية دمشق ١٩٥٥ م ، ص ١٠١ .

تيممت مصراً أطلب الجاه والغنى *** فنلتهما في ظل عيشٍ ممتع
وزرت ملوك النيل أرتاد نيلهم *** فأحمد مرتادي وأخصب مرتعي

ويعدد عمارة اليمني في هذه المدحة، ملوك النيل الذين نال عطاياهم ، والذين كانت له معهم صداقات، ومن بينهم الملك العادلي وضرغام .

وكان المداح يشبهون ممدوحيهم بالنيرين الشمس والقمر والبرق، ويقول ابن قسيم الحموي في ذلك[١][٢]:

ومسصتغر في الله كل عظيمة *** ولو أنه منها علي الموت مشرف
كان الملوك الغر حول سريره *** نجوم علي شمس الظهيرة عكف
فإن تلقه تلق ابن هيجاء دهره *** يريك عنان الدهر كيف يصرف
سخي جري لوذعي كأنه *** إذا ما بدا، غيث وليث ومرهف

ويقول القاضي الفاضل في مدحه للملك العادل :

أَهذي كَفُّهُ أَم غَوثُ غَيثٍ *** وَلا بَلَغَ السَحابُ وَلا كَرامَه
وَهَذا بِشرُهُ أَم لَمعُ بَرقٍ *** وَمَن لِلبَرقِ فين بِالإِقامَه
وَهَذا الجَيشُ أَم صَرفُ اللَيالي *** وَلا سَبَقَت حَوادِثُها زَحامَه
وَهَذا الدَهرُ أَم عَبدٌ لَدَيهِ *** يُصَرِّفُ عَن عَزيمَتِهِ زِمامَه[٣]

(١) هو شرف الدين أبو المجد مسلم بن الخضر بن مسلم بن قسيم الحموى من أوائل شعراء القرن السادس الهجري بحماة وهو أحد أشهر ثلاث في عصره . ٥٠٠ – ٥٤٢ . (الأعلام ،ج٧، ص٢٢٢) .

(٢) خريدة القصر ، ص ٤٥٨ .

(٣) خزانة الأدب وغاية الإرب ، ابن حجه الحموي ، دار مكتبة الهلال ، ط ٢ ١٩٩١م ، ص ١٥٥.

ويظل جهاد الصليبيين، الموضوع الأهم في مدائح شعراء القرن السادس الهجري في المشرق، ومن هذه المدائح قصيدة المهذب بن الزبير التي يقول فيها[١][٢]:

يا كاسِرَ الأصنامِ قُم فانهض بنا *** حتى تصيرَ مُكَسِّرَ الصُّلبانِ
فالشَّامُ مُلكُكَ قد ورثتَ تُراثَهُ *** عن قومِك الماضين من غَسَّانِ
فإذا شككتَ بأنّها أوطانُهم *** قِدماً فسَل عن حارث الجَولانِ

فقد طرق ابن الزبير المعاني المعهودة، من صفات الكرم والشجاعة، ثم أضاف معاني أخرى متعلقة بوراثة طلائع للملك بالشام، ثم يشيد بنسب طلائع بآل غسان .

ومن الشعراء المداح أسامه بن منقذ، الذي يشيد بالقادة لمحاربتهم للفرنج ، ومواجهة قادة الصليبيين وفرسانهم، ومن تلك القصائد التي مدح بها الملك الصالح .

مُغامِرٌ ترهبُ الآجالُ سطوتَه *** وتَفرَق الأسدُ منه في حِمَى الأجَمِ
يستقبلُ الحربَ بسّاماً وقد كشَرتْ *** بها المنيَّةُ عن أنيابها الأُرُمِ
يلقَى الأُلوفَ ويَحبُوها ففي يَدِه *** من العَطا والسّطا بحرَا ندىً ودَمِ
ما غرَّكُم بصَدوقِ الظَّنِّ يُخبرُهُ الرْ *** رَأْيُ الصحيحُ بما في الصدْرِ من سَقَمِ
يرى الضّغائِنَ في قلبِ الحسودِ له *** تدبُّ مثلَ دبيبِ النَّارِ في الفَحَمِ[٣]

---

(١) المهذب بن الزبير ٥٦١ هـ هو الحسن بن عليّ بن إبراهيم بن الزبير الغساني الأسواني، أبو محمد، الملقب بالمهذب. شاعر من أهل أسوان (بصعيد مصر) وفاته بالقاهرة، وهو أخو الرشيد الغساني (أحمد بن عليّ) واشتغل في علوم القرآن، فصنف (تفسيراً في خمسين جزءاً)، وله (ديوان شعر) وفيات الأعيان ،ج١، ص٥١.

(٢) خريدة القصر ، ج ١ ، ص ٢٠٨ .

(٣) ديوان اسامة بن منقذ ، ص ١٩٦.

ويعدد أسامة في هذه الأبيات محاسن وصفات طلائع بن زريك، فيصفه بالشجاعة يستقبل الحروب باسماً ، ويلقى الألوف وفي يده العطايا، ويعدد أيضاً ما أسدى إليه صديقه من الأيادي، وكان أتمها عنده وسناها، حفاظه علي أسرته بعد فراره، وحمايته وأمواله أن يبطش بها أعداؤه .

ولقد صاحب المديح أحياناً ، وصف الطبيعة ومن ذلك نرى راجح الحلي يقول[1]:

ولأجله اكتست الأباطح والربى *** وشياً من الروض الأريض مزخرفا
وسرى النسيم إلى الغصون معرضاً *** فيها لورق حمامه أن تهتفا
فكأنها كانت علي بعد المدى *** تبدي إليك تشوقاً وتشوفا

ومن صفات المدح الجديدة التي أوردها أسامه صفة بذل الأموال الطائلة للإنفاق علي تجهيزات القتال ، وفي الصرف علي المجاهدين ، وقد كانت قبله محفوظة في الخزائن لا يسمح لها بالخروج .

وبذلت أموال الخزائن بعد ما *** هرمت وراء خواتم الخزان
من جمع كل مجاهد ومجالد *** ومبارز ومنازل الأقران
من كل من يرد الحروب بأبيض *** عضب ويصوره بأحمر قان
ويخوض نيران الوغي وكأنه *** ظمآن خاض موارد الغدران[2]

ويقول ابن منير الطرابلسي في مدح عماد الدين[3]:

فَدَتْكَ الملوكُ وأيّامُهَا *** ودام لنقضِكَ إبْرامُهَا

---

(١) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج ٣ ، ص ١٨٥ .
(٢) خريدة القصر قسم شعراء الشام ج ١ ، ص ٥٣٠ .
(٣) الروضتين ج ١ ، ص ٣٥ .

وزَلَّـــــتْ لعَيْنـــــكِ أَقـــــدامُهَا *** وزال لبطشـــــــــك إِقـــــــدامُهَا
ولـــو لـــم تُسَـــلَّم إليـــك القلـــوبُ *** هواهـــــا لمـــــا صـــــحّ إســـــلامُهَا
أيـــا محيـــيَ العـــدل لمّـــا نَعـــاهُ *** أَيـــــــامَى البَرايـــــــا وَأَيتامهَـــــــا

فقد مدح الشاعر عماد الدين بما فيه من الصفات التي تتفق مع الجهاد، وما يطلبه من صفات أخلاقية معينة ، فالعدل في الرعية من أهم الصفات التي ينبغي أن يتمتع بها القائد المسلم ، وعماد ليس عادلاً فقط ، وإنما هو محي العدل بعد أن كان ميتاً .

وله مدحة أخري لنور الدين قال فيها[١]:

نـــور الـــدين خبـــا نـــوره *** ومـــذ شـــاع عـــدلك فيـــه اتقـــد
رآك الصـــليب صـــليب القنـــاة *** أميـــن العثـــار متـــين العمـــد
تهـــم فتسلبـــه مـــا اقتنـــى *** وتـــدئي فتثكلـــه مـــا احتشـــد
زبنتهـــم أمـــس عـــن صـــرخد *** ففضـــوا كـــأن نعامـــاً شـــرد

ونرى في هذا النص، أن الشاعر لم يمدح نور الدين مدحاً مجرداً، أو مقترناً بالفضائل الحسية والنفسية المعروفة في شعر المديح ، ولكن مديحه لنور الدين كان موضوعياً مرتبطاً بفكرة الجهاد ، وبالدور الذي كان لنور الدين في الحرب ضد الصليبيين فهو يقول له : لقد خبا نور الإسلام لقعود أبنائه عن نصرته والدفاع عنه، ولكنه عاد إلي سابق قوته بفضل جهادك ، وأن الصليبيين رأوا فيك مسلماً قوياً، فأنت لا تهتز ولا تلين ولا تتعثر في طريقك[٢].

---

(١) المصدر السابق ص ٢١ .

(٢) شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام ، تألف الدكتور محمد بن علي الهرفي ، مؤسسة الرسالة ، ط ٣ – ١٩٨٠ م ، ص ١٥٧ .

وكان بعض الشعراء يضفون علي الممدوح صفة الصالحين والأتقياء، ويشبهونهم بالخلفاء الراشدين، وفي ذلك يقول ابن القيسراني في مدح نور الدين[١]:

لله عزمك أي سيف وغى *** طبعت مضاربه علي القهر
مازفت الحرب العوان به *** إلا انجلى عن معقل بكر
وهل وجه نور الدين غير سني *** صدع الدجى عن خجله البدر
ملك مهابته طليعته *** أبداً أمام جيوشه تسرى
كم فل كيدهم بصاعقة *** شغلت قلوبهم عن الفكر
تركت حصونهم سجونهم *** فالقوم قبل الأسر في الأسر

لقد أضفي الشاعر علي نور الدين صفات الصالحين الأتقياء، وشبهه بعمر بن الخطاب، وعمر بن عبد العزيز، في حسن السيرة والعدل بين الناس، والزهد في متاع الحياة ، ولم ينس الشاعر أن يصف ممدوحه بالكرم والوجود وبذل المال ، والنخوة والشهامة والانتصار للحق .

ويقول سبط التعاويذي في مدح صلاح الدين الأيوبي بجودة الرأي، وحسن الخلق والسهر علي مصالح العباد، والشجاعة والإقدام[٢]:

مَلِكٌ إذا عَلِقَت يَدٌ بِذِمامِهِ *** عَلِقَت بِحَبلٍ في الوَفاءِ مَتينِ
قادَ الجِيادَ مَعاقِلاً وَإِن اِكتَفى *** بِمَعاقِلٍ مِن رَأيِهِ وَحُصونِ
وَأَعَدَّ لِلأَعداءِ كُلَّ مُهَنَّدٍ *** وَمُثَقَّفٍ وَمُضاعَفٍ مَوضونِ
سَهِرَت جُفونُ عِداهُ خيفَةَ ماجِدٍ *** خُلِقَت صَوارِمُهُ بِغَيرِ جُفونِ
لَو أَنَّ لِلَّيثِ الهِزَبرِ سُطاهُ لَم *** يَلجَأ إِلى غابٍ لَهُ وَعَرينِ

---

(١) الروضتين ج ١ ، ص ١٩ .

(٢) ديوان سبط التعاويذي ، ص ٣٥.

ومن مدائح ابن سناء الملك في القاضي الفاضل[1]:

أَنـت الَّـذِي سَـفَلَ الأَنَـامُ وقـد عَـلا *** أَنـت الَّـذِي نَقـص الأَنـامُ وقـد رَجَـح

أَنـت الَّـذِي لـم يَقْـدَحُوا فـي جُـوده *** أَنَّـى وَجـودُ يَـديْك أَوْرَى إِذْ قَـدح

طـوَّقْتَهم مثـلَ الحمَـام بأَنْعُـمٍ *** فهـمُ بمـدحِكَ كالحَمـامِ إِذَا صَـدَح

فسـوى مَـديحِك مِـنهمُ لَـمْ يُستَمَـع *** وسـوى نوالِـك فـيهمُ لَـمْ يُستَمَـحْ

كـان الشـاعر يغلـو فـي مدائحـه كثيـراً، ويبـالغ حتـى يخـرج عـن الحـد المـألوف ، فقد جعل ممدوحـه أفضـل للأنـام كلهـم، حيـث عـلا وسفلوا، ورجـح ونقصوا .

(١) ديوان ابن سناء الملك ،ج٢، ص ٥٨ .

المبحث الثانـــي
شعـــــر الهجـــاء

هو من أهم الأغراض الشعرية القديمة في الأدب العربي ، نشأ مع المديح علي الرغم من إنه علي نقيضه، يسلب المهجو الصفات التي يمكن أن يمدح بها ، وقد استمر هذا الفن تتناقله الأجيال، ويتطور بتطور العصور والأذواق، حتى وصل إلي هذا القرن، حيث انتشر علي أيدي شعراء عرفوا بالهجاء .

واصطلح الناس علي أن الهجاء فن الشتم والسباب ، وهو نقيض المدح كما كان يقول قدامة، فالهجاء أدب غنائي يصور عاطفة الغضب أو الاحتقار والاستقرار، وإن كان موضوع العاطفة هو الفرد والجماعة أو الأخلاق ، فالهجاء لا يصطنعه[١] الهجاء نقيض الفخر أيضاً ، وذلك لأن الفخر بعيد عن النفس التي ترى من الوجود وجوه الحسن والأمل ، فإن الهجاء يعبر عن وجوه القبح واليأس[٢] فالهجاء هو نقد للحياة، فهو يأخذ مادته من الواقع، ولا يستمدها من الخيال أو التفكير، ولذلك كانت صفاته الواقعية البعيدة عن الإسراف في الصناعة، تقوم علي تجارب الحياة، ودقة الملاحظة بما يجرى فيها من أحداث[٣].

ويرى الثعالبي: (أن الهجاء أبلغه ما جرى مجرى التغزل والتهافت، وما اعترض بين التعريض والتصريح ، وما قربت معانيه وسهل حفظه ، وسرعة

---

(١) الهجاء والهجاءون في الجاهلية ، د . محمد محمد حسين ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ط ٣ ، ص ٥ .

(٢) فن الهجاء وتطوره عند العرب ، إيليا الحاوي ، دار الثقافة بيروت ص ٦٢ .

(٣) الهجاء والهجاءون ص ٣٧ .

علوقه بالقلب ولصوقه بالنفس . فأما القذف و الإفحاش فسباب محض، وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن وتصحيح النظم)[١].

أما عن اتجاه الهجاء في القرن السادس الهجري في المشرق، فنجد أن هذا الفن مع تناوله هجاء الأفراد وذمهم ، فقد تولدت مضامين جديدة، فظهر ما يعرف بالهجاء السياسي، حيث تعرض الشعراء لمعالجة الكثير من المظاهر الاجتماعية والسياسية والفكرية ، لذلك سوف يتناول الباحث في هذا الاتجاه هذه المضامين التي تولدت بفعل الأحداث، ويورد لها بعض النماذج، بالإضافة إلي الهجاء التقليدي .

أولاً : الهجاء التقليدي :

نجد في الهجاء التقليدي، أن الشعراء اقتصروا علي الاستخفاف، والتقريع والخلق السئ والفعل القبيح ، وتتبع المثالب والمعائب، فأبرزوها وسلكوا في إبرازها مسالك عدة[٢].

ومن ذلك نري ابن الذَّروي[٣] هجو شاعراً معاصراً أحدب فيقول[٤]:

لا تظنن حدبة الظهر عيباً *** فهي للحسن من صفات الهلال
وكذاك القسي محدودبات *** وهي أنكى من الظبا والعوالي
وإذا ما علا السنام ففيه *** لقروم الجمال أي جمال
وأري الانحناء في منسر الكا *** سر يلفي ومخلب الرئبال
قد تحليت بإنحناء فأنت الـ *** راكع المستمر في كل حال

---

(١) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، الثعاليبي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة، القاهرة ، ١٩٥٦م، ج ٤ ، ص ٦ .

(٢) الحركة الشعرية زمن الأيوبيين في حلب الشهباء، للدكتور أحمد فوزي الهيب، مكتب المعلا، الكويت ، ط ١، سنة ١٤٠٧ هـ ، ص ١٠٥ .

(٣) علي بن يحيى الذروي أصله من اليمن ونشأ بمصر ، من شعراء الدولتين الفاطمية الأيوبية يعتبر من الشعراء المجلدين، توفي سنة ٥٧٧، (الأعلام للزركلي ، ج ١ ، ص ٨٧) .

(٤) الروضتين ج ٢ ، ص ٢٧ .

وتعجلت حمل وزرك في الظهـ *** ر فأمنا في موقف الأهوال
كون الله حدبة فيك إن شئت *** من الفضل أومن الإفصال
فأتت ربوة علي طود حلم *** منك أو موجة ببحر نوال
ما رأتها النساء إلا تمنت *** لو غدت حلية لكل الرجال
وإذا لم يكن من الهجر بد *** فعسى أن تزورني في الخيال

فهو هجاء مؤلم أشد الإيلام ، إذ يعرض فيه حدبة ابن أبي حصينة علي أنها ميسم جمال، وصفة من الحسن في الهلال، ويأخذ في بيان حسنها وفضائلها ، فالقسي أشد فتكاً من ألسنة السيوف والرماح ، وهي مصدر جمال كالسنام للجمال ، وما كان الانحناء عيباً في منقار النسور، ومخلب الأسد الهصور ، ويتصوره راكعاً مدى حياته. ويعود فينفي عنه تقواه وصلاته، ويقول إن حدبته وزر كبير مجسد تعجل حمله في دنياه ، ويعود إلى السخرية والتهكم فيقول إنها ربوة تعلو طود حمله أو موجه تعلو مياهه ، ويبلغ من السخرية به مبلغاً بعيداً، حين يزعم له أن النساء تعدها حلية، وتتمني أن يتحلى بها كل الرجال(١).

أما الشاعر ابن منير في هجائه لبخيلٍ، نراه يتحدث عن رغيف الذرة الذي يصطنعه قائلاً(٢):

رَغيفُهُ مِن ذَرَّةٍ *** يَصنَعُه أو أَصْغَرا
مُبَيَّتاً مُلَفَّفاً *** مُبَرِيَقاً مُبَيْكَرا
لَو جازَ في عَينِ الّذي *** يَأكلُهُ لَما دَرَى
أو بَلَعَ الصَّائمُ ألـ *** ـفاً مثلَهُ ما أَفْطَرا
كأَنَّما خَبّازُهُ *** به تَحَدَّى البَشَرا

(١) عصر الدول والامارات مصر ، شوقي ضيف ، ص ٣١٧ .
(٢) خريدة القصر قسم شعراء الشام ، ص ٩٠ .

فَهـــــاتِ قُـــــل أَعَرَضـــــاً *** تَجِـــــــــــدْهُ أَمْ جَوْهَـــــــــرا

فالشاعر يهجو هذا البخيل، بأن رغيفه حجمه أصغر من ذرة ، لو أكل منه الصائم ألفاً ما أفطره ، فهي صورة رائعة فيها هجاء لاذع .

وفي قصيدة أخرى يهجو فيها ملك النحاة بقوله[١]:

أَيـــا مَلِـــكَ النَّحْـــوِ والحـــاءُ مِـــنْ *** تَهَجِّيـــهِ مـــن تَحـــت قـــد أ عْجَمُوهـــا
أتانـــا قياسُـــكَ هـــذا الـــذي *** يُعَجِّـــمُ أشيـــاءَ قـــد أ ُعْرَبُوهَـــا
ولمّـــا تصـــنَّعت فـــي العاصَـــوي *** غـــدا وجْـــهُ جَهْلِـــكَ فيـــه وُجُوهَـــا
وقـــالوا قَفـــا الشيـــخ إنّ المُلُـــو *** كَ إذا دَخَلُـــوا قريـــةً أَفْسَـــدُوهَا

فنرى الشاعر يهجو ملك النحاة في عصره فجعله جاهلاً ، لا يفقه شيئاً في النحو ، وليت الأمر وقف به عند هذا الحد، بل جاوز ذلك فجعله يفسد النحو ولا يصحه.

ويعد هذا الهجاء الشخصي الذي توجه به الشعراء إلي من يهجونهم فسلبوهم وألحقوا بهم الصفات الذميمة ، وتوجهوا بسهام هجائهم إلي المجتمع الذي بدأت فيه ملامح الفساد تنتشر ، فتعرض الشعراء إلي هذه المظاهر بالنقد والهجاء. يقول قاسم الواسطي، هو يرى تفشي الجهل عند بعض الناس، فتموت نفوسهم ويذل عزيزهم وتبخل أيديهم ، وتقطب وجوههم ، وتقعد بهم همتهم عن المجد، حتى استحال عليهم الصعود، لأنهم مشغولين عنه بنزولهم المستمر[٢] حيث يقول[٣]:

أرى بغضـــي علـــي الجهـــلاء داء *** يمـــوت ببغضـــه القلـــب العليـــل

---

(١) المصدر السابق ، ص٧٢

(٢) الحركة الشعرية زمن الأيوبيين ص ١٠٨ .

(٣) معجم الأدباء ، ص ٢٠٦ .

فهم موتي النفوس بغير دفن *** وأحياء عزيزهم ذليل
يغطون السماء بكل كف *** لها في الطول تقصير طويل
ويبدون الطلاقة من وجوه *** كما يبدو لك الحجر الصقيل
إذا قاموا لمجد أقعدتهم *** مسالك ما لهم فيها سبيل

ويتابع قاسم الواسطي هجاءه الاجتماعي، فيهجو الوجوه الصباح ذوات الأنفس القباح، التي نجح أصحابها في صيانة أموالهم، ولكنهم أصيبوا في عرضهم المباح [1].

لا خير في أوجه صباح *** تسفر عن أنفس قباح
كالجرح يبني علي فساد *** بظاهر ظاهر الصاح
فقل لمن ماله مصون *** أصبت في عرضك المباح

أما الشاعر السهروردي فيصور فساد الزمان وتبدل أخلاق الناس، فلم يعد هناك خلق يردع الناس عن فعل الشر، حتى بات لا يثق بأحد ، حتى لو كان كلامه صدقاً فيقول في ذلك[2]:

تَوَلَّت بِهجَةُ الدُّنيا *** فَكُلُّ جَديدها خَلَقُ
وَخانَ النّاسَ كُلَّهُم *** فَما أَدري بِمَن أَثِقُ
رَأَيتُ مَعالِمَ الخَيرا *** تِ سَدَّت دونَها الطُّرقُ
فَلا حَسَبٌ وَلا نَسَب *** وَلا دين وَلا خلقُ
فَلَست مُصَدّق الأَقوا *** مِ في شَيءٍ وَلَو صَدَقوا

أما الشاعر المهذب بن الزبير يشير إلي آفة خطيرة ، هي فقد الإنسان الإيمان الروحي والأمن النفسي، وذلك لتهافت الناس علي الحياة ، وتنافسهم

(١) معجم الأدباء ، ص ٢١٠.

(٢) السهروردي حياته وشعره ، سامي الكيالي ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٦م ، ص ٧٨ .

علـي الكسـب بـأي ثمـن دون وازع دينـي ، فـلا إحسـان ولا ثقـة بـين النـاس إذ يقول[1]:

كم كنتُ أسمعُ أن الدهرَ ذو غِيَرٍ *** فـاليومَ بـالخُبرِ أَسـتغني عـن الخَبَـرِ
تشابَهَ الناسُ فـي خَلقٍ وفـي خُلُقٍ *** تشابُهَ الناسِ والأصنام ِفـي الصُّورِ
ولـم أبِـت قَطُّ مـن خَلقٍ علـى ثقـةٍ *** إلاَّ وأصبحتُ من عقلي على غَرَرِ
لا تخـــدَعَنِّى بمـــرئيٍّ ومُستَمَـــعٍ *** فمـا أُصَـدِّقُ لا سـمعى ولا بَصـري
وكيـف آمَـنُ غيـرِي عنـد نائبـةٍ *** يومـاً إذا كنـتُ مـن نفسـى علـى حَذَرِ

ثانياً: الهجاء السياسي :

نجد أن الأسباب التي استدعت القول في الهجاء السياسي، جور بعض الحكام من السلاطين والأمراء والوزراء والعمال ، وقد ذكرت المصادر صوراً مختلفة لتعدي هؤلاء الحكام علي الرعية ، ومنها الفساد الإداري الذي أخذ يستشرى. أما عن الأساليب التي اتبعها الشعراء في هجائهم السياسي، فهي التندر والهزل، راسمين للمهجو صوراً ساخرةً ، ومنهم من استحال الهجاء لديه سباباً بداخله غير قليل من الكلمات الجارحة .

ومن ذلك يقول ابن عنين[2] في هجاء السطان صلاح الدين، ووزيره القاضي الفاضل[3]:

قَـد أَصـبَحَ الـرِزقُ مـا لَـهُ سَـبَبٌ *** فـــي النـــاسِ إلّا البِغـــاءُ وَالكَـــذِبُ
سُلطـــــاننا أَعـــــرَجٌ وَكاتِبُـــــهُ *** ذو عَمَـــــشٍ وَالـــــوَزيرُ مُنحَـــــدِبُ

---

(١) ديوان المهذب بن الزبير ، تحقيق محمد بن حميد سالم ، ط١ ١٤٠٩ هـ ، ص ١٣٠ .

(٢) ابن عنين ٥٤٩ – ٦٣٠ هـ هو محمد بن نصر الله بن مكارم بن الحسن بن عنين أبو المحاسن شرف الدين الزرعي الحوراني الدمشقي الأنصاري.أعظم شعراء عصره، مولده ووفاته بدمشق، كان هجاءً، قل من سلم من شره في دمشق، حتى السلطان صلاح الدين، ذهب إلى العراق والجزيرة وأذربيجان وخراسان، واليمن ومصر. (وفيات الأعيان ، ج٢، ص ١٦١) .

(٣) ديوان بن عنين ص ٢١٠ .

وَصاحِــبُ الأَمــرِ خلقُــهُ شَــرِسٌ *** وَعــارِضُ الجَــيشِ داؤُهُ عَجَــبُ

وله أبيات أخرى يهجو فيها دولة الملك العادل[١]:

إِنَّ سُــلطانَنا الَّــذي نَرتَجيــهِ *** واسِــعُ المــالِ ضَــيِّقُ الإِنفــاقِ
هُــوَ سَــيفٌ كَمــا يُقــالُ وَلكِــن *** قــاطِعٌ لِلرُّســومِ وَالأَرزاقِ

لم تقتصر مظاهر الانحراف في أجهزة الدولة علي الجانب السياسي فقط، بل تسربت إلي الجهاز القضائي ، وقد انبرى شعراء القرن السادس الهجري في كشف هؤلاء القضاة، الذين تشربت نفوسهم بالطمع وحب الدنيا. حيث صور الشاعر أبو المجد المعري[٢][٣]:

تــولى الحكــم بــين النــاس قــوم *** بهــم نــزل الــبلاء مــن السمــاء
كــأنهم الذئــاب إذا تعــاوت *** سواغبهــا علــي آثــار شــاء
يقــول القائلــون إذا رأوهــم *** لقــد جــار القضــاء علــي القضــاء

وكان القاضي الأعز أبو الفتح محمد بن عبد الله التميمي[٤] قاضي صور ، يجعل علي رأسه عمامه عليها رسوم مختلفة ، فاتخذ ابن منير الطرابلسي من ذلك مادة للتندر به والسخرية منه ، مصوراً ضآلة عقله وولعه بالمدح وكيف أن الناس كانوا ينصبون عليه بالمدح الكاذب ليحظوا عنده ،

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣٩ .

(٢) هو محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بأبي المجد المعري . توفي سنة ٥٢٣ هـ . (عيون التواريخ) ص ٢٠٤ .

(٣) اخريدة القصر قسم شعراء الشام ج ٢ ، ص ١٢ .

(٤) هو القاضي الأعز أبو الفتح محمد بن عبد الله التميمي قاضي صور توفي عام ٥٣٢ هـ . (تاريخ دمشق لابن قلانسي دار حسان دمشق ١٩٨٣ م . ص ٤١٨) .

ويخلص ابن منير من ذلك إلي تصوير بطلان أحكام هذا القاضي وعدم صلاحيته لمنصب القضاة . فيقول[1]:

مكّن الله درّتي من أعالي *** سفل يدعون فيه الإمامةْ
كل فسل إذا رآه تردى *** خاضعاً راكعاً ذليلاً أمامه
قائلاً يا عذير حاتم الطا *** ئي في ما يولي وكعب بن مامه
كل هذا نصب علي الخرب البيـ *** ـت ليفنوا خلقانه وطعامه
وهو إذ ذاك لا يريد سوى تيـ *** ـه عليهم وسطوة وعرامه

لم يكتف شعراء القرن السادس الهجري بالحديث عن القضاة، بل تعدوا ذلك إلى الذين تضخمت ثرواتهم، بسبب الأساليب التي كانوا يتبعونها في جذب الأموال إليهم، واختلاس أرزاق العباد . وقد استغرق الحديث عن هذه الظاهرة أشعاراً كثيرة ، من ذلك قصيدة أرسلها ابن منير الطرابلسي، إلي رئيس حلب عفيف الدين بن المستوفي بعد أن اتصل به أنه نفي وأن الحشرية[*] دخلوا داره لحصر ماله وقد صب ابن منير جام غضبه، ونقم عليهم نقمة شديدة، منكراً بأسلوب حاد، أن تكون له ثروة ، ذاكراً أسماء بعض رجال عصره[2]. قائلاً [3]:

أَينَ وَجهُ الكَسْبِ الَّذي أَنا فيهِ *** مِن وُجوهُ التُّجَّار والأعيانِ
أَنا ذو المالِ يا بَني البَظْرِ لا خا *** لي ولا ضَيعَتي ولا نِسياني
لا ولا رزمتي تحلّ ولا زمْ *** تيَ مستبضعاً ولا كناني
اِقتَنوا ما اِقتَنَيت بِالشِّعْر في الشِّعْـ *** ـرِ تَذُوقوا مرارةَ الحرمانِ
يا بُعولَ القِحاب غَرَّكُمُ كف *** فِيَ كفّي عنكم وَحَبسي لِساني

---

(١) خريدة القصر ، قسم شعراء الشام ، ص ٢٦٧

(*) هم الذين يباشرون تحصيل مال من يموت وليس له ولد ، (صبح الأعشي ، ج٣، ص٤٦)

(٢) جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام ، مسلم بن محمود الشيرزي ، دار المخطوطات العربية القاهرة ، د ت ، ص ٨٢ .

(٣) ديوان بن منير ص ٥١ .

لقد كان ابن عنين من أكثر الشعراء إلحاحاً علي تصوير هذه الظاهرة، فهو لا يفتأ ينتهز أية مناسبة ليبصر الناس بالذين تمتد أيديهم إلي أموال العامة، فنراه يغمز متولي دار الزكاة في دمشق ، ويثير الشكوك حول المنزل الذي بناه، حيث يقول[1]:

وَسائِقُ الصِبيانِ أَضحى اِبنُهُ *** يَسرقُ مِن دارِ الزَكاةِ الذَهَب
لا تَسأَلوهُ وَاِسأَلوا دارَهُ *** فَإِنَّها تُخبِرُ عَمّا نَهَب

ونراه يبسط لسانه في ناظر الأيتام في دمشق، ويتهمه في أمانته ويصوره ساخراً سرقته أموال اليتامى، وحتى تحقق الأبيات أكبر قدر من التأثير الهجائي، فقد صاغها في شكل خبر، يستغنى فيه الناس عن أمر ناظر الأيتام، الذي قابله بالاستخفاف، حين ذهب إليه يطلب منه الأمانة التي أودعها عنده، فيقول[2]:

يا مَعشَرَ الناسِ حالي بَينَكُم عَجَبٌ *** وَلَيسَ لي بَينَكُم يا قَومُ أَنصارُ
هَذا اِبنُ كامِل قَد أَودَعتُهُ ذَهباً *** صُيّابَةً ما لَها في العَينِ مِقدارُ
وَجِئتُ أَطلُبُها مِنهُ وَقَد عرَضَت *** في السوقِ مِنّي لُباناتٍ وَأَوطارُ
فَقامَ يَنفُضُ كميهِ وَيَنظُرُ في *** صُندوقِهِ وَيُنادي جَرَّها الفارُ
فَقُلتُ لا شَبَّ قَرنُ الفارِ كَم أَكَلوا *** مالَ اليَتامى وَكَم جَرُّوا وَكَم جاروا

(١) ديوان بن عنين ص ٢٣٧ .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٨ .

وحين يأسى فتيان الشاغوري، لموجات الغلاء التي توالت علي بلاد الشام، يلتفت الي أولئك الذين احتجنوا الأموال، وسكبوها في دورهم، بينما تعاني الرعية من الجوع والقتل، فيقول[١]:

هُم أَطلَقوا طِرفَ الغَلاءِ فَجاءَنا *** عَن طِرفِ رُخصٍ بِالفَلاةِ مُقَيَّدِ

ما بَينَ جَدبٍ نَحنُ فيهِ وَرُخصِهِم *** إِلّا كَغَلوَةِ سَهم رام جَيِّد

وهناك نوع آخر من أنواع الهجاء تناول فيه الشعراء أعداء الأمة ، فنرى الشاعر القفطي[٢] يهجو ملك الأرمن " ابن لاون " بالغدر والاغترار، والبكاء الدائم من كثرة الأحزان والخسائر، عندما هاجم أنطاكية[٣] حيث يقول[٤]:

لئن حل فيها ثعلب الغدر "لاون" *** فسحقاً له قد جاءه الأسد الورد

وكان قد أغتر اللعين بلينكم *** وأعظم نار حيث لا لهب يبدو

جنى النحل مغتراً وفي النحل آية *** طوراً له سم وطوراً له شهد

تمدك أجناد الملوك تقرباً *** وجند السخين جزر ولا مد

وعندما تناول شعراء هذا القرن أعداء الأمة، بذكر صفاتهم السيئة في قصائدهم الشعرية، كانوا يهدفون من وراء ذلك إلي تحذير المسلمين منهم ، أو التقليل من شأنهم ، وهوانهم في أعين المسلمين، وقد أبرزوا في حديثهم عنهم كثيراً من الصفات التي اشتهروا بها، كالخداع والنفاق ، والجبن والهلع، والفرار

---

(١) ديوان فتيان الشاغوري ص ١٣١ .

(٢) هو علي بن يوسف القفطي القاضي الأكرم أحد الكتاب المشهورين في النظم والنثر ، ولد سنة ثمان وستين وخمسمائة للهجرة في مدينة قفط . فوات الوفيات ، ج٢، ص٩٧.

(٣) الحركة الشعرية زمن الأيوبيين ص ١٠٩ .

(٤) معجم الأدباء ج ١٥ ، ص ١٨٥ .

من المعركة ، وكان هجاؤهم مراً شديداً قاسياً. ومن ذلك ما رواه الشاعر الحموي في قصيدة يهجو فيها الروم بقوله[1]:

وما جاء كلب الروم إلا ليحتوى *** حماة وهل يسطو علي الأسد الكلب
أراد بها أن يملك الشام عنوة *** وقد غلبت عنه الضراغمة الغلب
وما ذم فيها العيش حتى صدمنه *** فمال جناح الجيش وانكسر القلب
فولي وأطراف الرماح كأنها *** نجوم عليه بالمنية تنصب

فقد شبه الشاعر قائد الروم بالكلب، وتساءل هل يقدر الكلب علي هزيمة الأسد؟ وهو استفهام إنكاري، يحمل في طباعه قدراً كبيراً من الهجاء والسخرية اللاذعة .

فنجد أن الخوف والهلع والفرار من المعارك كان من أبرز الصفات التي أطلقها شعراء المسلمين عند هجائهم ويقول ابن منير الطرابلسي في ذلك[2]:

وما يومُ كلبِ الرُّومِ إلّا أخو الّذي *** أَزحتَ بهِ ما في الجَناجنِ مِن نبلِ
أَتاكَ بِمِثلِ الرّومِ حَشداً وإنّهُ *** لَيَفْضُلُ أضعافاً كثيراً عن الرملِ
فَقاتَلتَهُ بِاللَّه ثمَّ بِعَزمةٍ *** تصُكُّ قلوبَ العاشقين بما تسلي
تَوهَّمَ أنَّ الشامَ مَرعىً وما دَرَى *** بِأَنّكَ أَمضى مِنهُ في الشزرِ وَالسجلِ

ومن الصفات التي هجاء بها الشعراء المسلمون أعدائهم الخديعة والخيانة، وقد أبرزها ابن القسيراني في قوله[3]:

وأرى صياح القمص كان خديعة *** فطغى وجار وليس ثم وجار
خان الصنيعة غير محقوق بها *** والخير يهدم ما بنى الختار
ذئب إذا ما غبت أقدم عاتياً *** إقدام من لم يدن منه قرار

(١) الروضتين ج ١ ، ص ٣٣ .
(٢) الروضتين ص ٣٤ .
(٣) المرجع السابق ص ٦٨ .

ثالثاً: هجاء المتقاعسين :

تحدث المؤرخون المسلمون، عن وجود طائفة من أمراء المسلمين، في فترة الحروب الصليبية، لم تشارك في الجهاد ، وكانت تمالي الإفرنج علي المسلمين، يدفعها إلى ذلك رغبة جامحة في الحكم ، والاحتفاظ به مهما كان الثمن المدفوع في سبيل ذلك . ولم ينس الشعراء المسلمون هؤلاء الأمراء، فهجوهم هجاء شديداً ، وفضحوا أعمالهم أمام شعوبهم ، وطلبوا منهم الكف عما هم فيه ، والعودة إلي حظيرة الإسلام . وكان (معين الدين أنر) حاكم دمشق من هذا الصنف الذي تحدثنا عنه ، فهجاه أسامة بن منقذ بقصيدة قال فيها[1]:

ما زلتَ في كلِّ حالٍ مُحسناً *** وَرِعَا ترى الإساءةَ في وجهِ العُلا طَبَعا

لكنَّ فِعلَك فيهم جاءَ مُبتَدَعا ألقَيتَهم *** في يدِ الإفرنج مُتَّبِعا رضا عِداً

يُسخِطُ الرحمنَ فِعلُهُمُ أَخفى *** الهوى عَنك بعد الكشفِ أمرَهُمُ

حتّى لأنكرتَ يا مَخدوعُ مكرَهُمُ *** وسوفَ تَعرِفُ بعد الفَوتِ غَدرهُمُ

وفي سنة ست وأربعين وخمسمائة، حاصر نور الدين دمشق، وذلك عندما بلغه أن أهلها عاضدوا الإفرنج ونصروهم، وأرسل رسالة إلي والي دمشق يقول " أنا ما أوثر إلا صلاح أمر المسلمين، وجهاد المشركين ، وخلاص من في أيديهم من الأسارى فإن ظهرتم معي في عسكر دمشق، وتعاضدنا علي الجهاد فذلك المراد . فلم يعد إليه الرسل بالجواب الذي يرضاه، فأقام علي حصار دمشق، ووقعت المناوشة بين الفريقين من غير زحف ولا شد في محاربة، تحرجاً في قتل المسلمين وقال لا حاجة إلي قتل المسلمين بأيدي بعضهم بعضاً وأنا أوفرهم ليكون بذل نفوسهم في مجاهدة المشركين[2].

---

(١) ديوان أسامة بن منقذ ص ١٤٨ .

(٢) الروضتين ج ١ ص ٨٠ ، ٨١ .

ولما طال الحصار وقع الصلح بينه وبين والي دمشق علي شروط قبلها الطرفان ، وفي أثناء الحصار كتب إليه ابن منير الطرابلسي قصيدة حثه فيها علي قتال أهل دمشق والاستيلاء علي مدينتهم قال فيها[1]:

يـا نـورَ ديـنِ اللَّـهِ وَابـنَ عِمـادِهِ *** والكـوثَرَ ابـنِ الكَـوثَرِ اِبـنِ الكَـوثرِ
صَـفِّر بِحَـدِّ السـيفِ دارَ أَشـائِبٍ *** عَقلـوا جيـادَكَ عَـن بنـاتِ الأصـفَرِ
هُـم شَـيّدوا صَـرْحَ النّفـاقِ وَأَوقَـدوا *** نـاراً تَحُـشّ بِهـم غَـداً فـي المَحشَـرِ
أَذكَـوا بِجِلَّـقَ حرّهـا وَاِستَشـعَرَت *** لَفَحاتُهـا بَيـنَ الصَّـفا وَالمِشعَـرِ
شَـرَّدْتَهُم مِـن خَلفِهِـم مُسـتَنجِداً *** مـا ظاهَـرَ الكُفَّـار مـَن لَـم يَكفُـرِ
لاتَعْفُ بَل شقّ الهُدى نَفسَ الَّذي اِد *** درَع الضَّـلالَ علـى أَغـرَّ مشـهّرِ

ففي هذه الأبيات، يحرض الشاعر نور الدين علي قتل أهل دمشق، لأنهم وقفوا في وجهه ، وعاونوا أعداءه الصليبيين عليه، وقد كانت موالاتهم للفرنج عاتقاً كبيراً. ثم يذكر الشاعر أن أهل دمشق شيدوا علي النفاق، بفعلهم السيئ، وأنهم أوقدوا لأنفسهم بهذا العمل المنحرف ناراً توقدهم يوم الحشر، ويدعو الشاعر نور الدين ويحرضه بشدة علي تشريدهم وقتلهم، لأنهم بمظاهرتهم للكفار أصبحوا بحكم الكافرين، الذين يستحقون القتل والتشريد[2].

(١) المرجع السابق ج ١ ص ٨٧ .
(٢) الروضتين ، ج ١ ، ص ٧٩ .

المبحث الثالث
شعـــــــر الرثــاء

الرثاء : هو مصدر رثيت ، ومعنى رثى فلاناً إذا أبكيته ، وتقول رثى فلان لفلان إذا رق له ، لأن الميت تخشع له القلوب وترق له النفس . والفرق بين الرثاء و التأبين أن الرثاء تحديد محاسن الميت، والأسف عليه والرقة له، وخشوع النفس ، والتأبين هو مدح الرجل بعد وفاته[١]. ويعد الرثاء من الموضوعات البارزة في الشعر العربي منذ القدم ، وقد ارتبط بوجود الإنسان علي هذه الحياة ، فيوم أن وجدت الحياة، وجد معها الموت، وطالما بكى الإنسان، وصاح علي من ذهب من القربى والأحباب، فالموت من الظواهر التي هزت الشعراء، وحركت عواطفهم، فبكوا واستبكوا وناحوا علي الحبيب المفارق، والخل السابق .

وينقسم الرثاء إلي ثلاثة أنواع: ندب و تأبين و وعزاء. فالندب: هو النواح والبكاء علي الميت بالعبارات الشجية، والألفاظ الباكية الحزينة، والتأبين: هو الثناء علي الميت وتعداد مآثره وفضائله. والعزاء: هو الصبر علي فاجعة الموت، والتفكير في حقيقته، وحقيقة الحياة الزائلة[٢].

أما إذا أردنا أن نتناول فن الرثاء في القرن السادس الهجري في المشرق، فنجد أن الشعراء لم يقفوا عند رثاء الأفراد ، بل اتسعت دائرة هذا الغرض الشعري، لتشمل رثاء المدن والديار والقلاع والدول .

---

(١) جواهر الكنز، لابن الأثير الحلبي، تحقيق محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ت ، ص ٥٣١ .

(٢) الرثاء، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر ، ١٩٥٥م ، ص ٥ .

أولاً: رثاء الأقارب:

تتجلى في هذا النوع من الرثاء العاطفة ورهافة الحس ، وفي هذا يقول الطغراي في رثاء زوجته[1]:

ولم أنسَها والموتُ يقبِضُ كفَّها *** ويبسُطُها والعينُ ترنُو وتُطْرِقُ
وقد دمِعَتْ أجفانُها وكأنها *** جَنَى نرجسٍ فيه النَّدى يترقْرَقُ
وحلَّ من المحذورِ ما كنتُ أتَّقِي *** وحُمَّ من المقدورِ ما كنتُ أفْرَقُ
وقيل فِراقٌ لا تلاقِيَ بعدَهُ *** ولا زادَ إلّا حسرةٌ وتَحرُّقُ
ولو أنَّ نفساً قبلَ محتومِ يومِها *** قضَتْ حسراتٍ كادتِ النفسُ تزهَقُ

فالشاعر يبكي ويحزن أشد الحزن ، ويفعل ما يلومه العصر أن يفعله من جزع وبكاء ولطم للخدود وتمزيق الثياب ، وتظل صورتها وهي تصارع الموت قائمة في نفسه بتفصيلاتها ومشاهدها ، ويسلبه الناس ، فلا يشكو ، ولا يجد العزاء إلا بقبرها، يزوره ويبكي عنده، ويقبله ويلصقه بصدره، فينسى الدنيا ويجد نفسه في حفره ميته. ومن رثاء الأقارب، نرى ابن سناء الملك يقول في رثاء أمه [2]:

ولْيَبن ما عقدتُماه من الصبـ *** ـرِ بأَن تَحْلُلا وِكَاءَ البُكَاءِ
وأَهِينَا الدُّمُوعَ سَكْباً وهطْلاً *** وهَبا أَنهن مِثْلُ الهَباءِ
وامْنحا النَّوْمَ كلَّ صبٍّ ينادي *** من يُعيرُ الكَرَى ولَوْ بالكِرَاءِ
ليست العينُ منكما لي بِعَيْنٍ *** أَو تعاني حَمْلاً لبَعْضِ عنَائي

---

(١) الطغرائي حياته وشعره ولاميته ، علي جواد طاهر ، منشورات مكتبة النهضة بغداد ، ط ١ ، ١٩٦٣م ، ص ٤٩ .

(٢) ديوان اين سناء الملك ،ج٢، ص ٤٩١ .

قـد رمـاني الزَّمـانُ منـه بخطـبٍ *** أُفْحِمَــتْ عنـــه أَلْسُـــنُ الخُطَبـــاءِ

فينقـل إلينـا الشـاعر لوعـة الرثـاء وفرقـة الأحبـاب ففـي هـذه الأبيـات يستجيب لخطب الزمان الذي رماه به ، وأناخ عليه الهموم والأحزان ، ثم يذكر فضل أمه في عالم النساء ومنزلتها .

ويقول أسامة بن منقذ في رثاء ابنه أبي بكر[1]:

إلــى اللهِ أشـكُو رَوعَتــي ورزِيَّتــي *** وحُرقَــةَ أحشــائي لفَقْــدِ أبـــي بَكــرِ
خَــلا نــاظِري مِنــه وكــان ســوادَهُ *** ولم يَخْلُ من حزني ووجدي بـه صَدْري
خَشِــيتُ عليــه اليُــتْمَ لكــنَّ ثُكْلَــهُ *** ولوعَتَــه لـم يخطُــرَا لــي علــى فِكْــرِ
فيـا ليتَـه لاقـى الـذي كنـتُ أختَشـي *** عليــه وأنّــي دونَــهُ صــاحبُ القَبْــرِ
فمــا فــي حيــاتي بعــدَهُ لــيَ راحَــةٌ *** فيـا طـولَ حُزنـي إن تطـاولَ بـي عُمـري
ولــم تُسْلِــني الأيَّــامُ عنــهُ وإنَّمــا *** سُـلُوِّي بمـا أرجـو مـن الأجْـرِ فـي الصَّـبْرِ

فنراه يشكو فاجعتـه وحزنـه ومصـيبته لله سبحانه وتعـالى ، ويتمنـى أن يكون بديلاً منـه فـي القبر ، ولا راحـة لـه فـي الحياة بعد موت ابنـه ، وأن حزنـه عليه يبقى ما بقى ويقول في موت أقاربه[2]:

مـا استدرَجَ المـوتُ قومي فـي هلاكِهِمُ *** ولا تخرَّمَهـــمْ مَثْنـــى ووُحدانـــا
فكنـتُ أصـبرُ عنهم صـبرَ مُحتَسـبٍ *** وأحمـلُ الخطـبَ فـيهم عَـزَّ أو هانـا
وأقتَــدي بــالوَرى قبلــي فكــم فَقَــدوا *** أخـــاً وكـــم فـــارقوا أهـــلاً وجيرانـــا
لكــنَّ سقــبَ المنايـا وسـطَ جمعِهِـمُ *** رَغــا فخَــرُّوا علــى الأذْقــانِ إذْعانــا
وفاجأتْهُـــمْ مـــنِ الأيَّـــامِ قارِعـــةٌ *** سقتهُـــمُ بكـــؤوسِ المـــوتِ ذَيْفانـــا

(١) ديوان أسامة بن منقذ ، ص ٢٩٧ .
(٢) ديوان أسامة بن منقذ ، ص ٣٠٦ .

فيعبر أسامة في هذه الأبيات عن عظم مصيبته، وشدة فجيعته في أهله وأقاربه، فيقول إن الموت أخذهم دفعة واحدة، دون إمهال أو استدراج، ولو أنه أخذهم واحداً بعد الآخر، لكان الخطب أهون والمصيبة أقل، لأنه بذلك سيكون أكثر قدرة علي التحمل والتجمل بالصبر والسلوان، ويتابع في القصيدة نفسها[١]:

لم يتركِ الدهرُ لي من بعدِ فقدِهِمُ *** قلباً أُجشِّمُه صبراً وسُلوانا
فلو رأَوْني لقالوا مات أسعدُنا *** وعاشَ للهَمِّ والأحزانِ أشقانا
لم يترك الموتُ منهم من يُخبِّرُني *** عنهم فيُوضِحُ ما لاقَوْهُ تِبيانا

إن موت الأقارب والأحباب حطم قلبه ، فلم يعد له قلب يحتمل الصبر والسلوان، ويتخيل أسامة أن أقاربه لو قدر لهم العيش مرة أخرى، ورأوه علي هذه الحالة من البؤس والشقاء، ليعرفوا أنهم أسعد حالاً منه .

ومن رثاء الأقارب قول علي بن عرام[٢] في رثاء ابن عمه[٣]:

من لسود الخطوب غيرك يجليها *** بها وقد غاب منك بدر منير
من يحوك القريض مثلك يسدي *** ه علي خبرة به وينير
ليس في العيش بعد فقدك خير *** حبذا وافد الردى لو يزور
كان ظني إذا المنايا انتحتنا *** أنني أول وأنت أخير
كيف لي بالسلو عنه وطي الـ *** قلب من فقده جوى منشور
فسقى قبره نداه ففيه *** لثراه غنى ورى غزير

(١) المصدر السابق ص ٣٠٧

(٢) هو علي بن عرام ، شاعر عثماني كان كثير الوفود على حكام الصعيد زمن الأيوبيين ، توفي سنة ٥٧٣، (خريدة القصر ، ج٢ ، ص١٦٥) .

(٣) المرجع السابق ، ص١٦٥.

فهو شديد اللوعة علي ابن عمه وصديقه، ولذلك يخلط بين ندبه وتأبينه، إذ فقد البدر الذي كان ينير في دجى خطوط الدهر وكوارثه، وأنه يندب للشعر شاعره المبدع، الذي كان ينسج خيوطه نسجاً محكماً ، وكأنما فقد كل نعيم في دنياه وكل خير .

ثانياً : رثاء الأبطال :

ارتبط هذا اللون الفني من الشعر ارتباطاً وثيقاً بالجهاد والحماسة الدينية، وقد استطاع شعراء القرن السادس الهجري، أن يرسموا لنا صورة واضحة عن مضمون رثاء الأبطال. وإذا كان الشعر قد أدى دوره في مدح الأبطال، والتغني بأمجادهم، وما قاموا به من أعمال خالدة حفظت للدين مكانته، وللأمة تاريخها ، فإن الشعر أيضاً ، أجاد في تخليد الأبطال ، وذكر مآثرهم وأعمالهم الخالدة ، فمن ذلك ما رواه عماد الدين الأصفهاني، في رثائه لعماد الدين زنكي وهو من الأبطال الذين دافعوا عن الإسلام ، وجاهدوا ضد أعداء الأمة، وقد أجمعت المصادر التاريخية أنه قتل غدراً، علي يد أحد غلمانه عام ٥٤١ هـ[١]:

كذاك عماد الدين زنكي تنافرت *** سعادته عنه وخرت دعائمه
وكم بيت مال من نضار وجوهر *** وأنواع ديباج حوتها مخاتمه

إلي أن يقول[٢]:

وكم معقل قد رامه بسيوفه *** وشامخ حصن لم تفته غنائمه
ودانت ولاة الأمر فيها لأمره *** وقد أمنتهم كتبه وخواتمه

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ، إدارة الطباعة المنيرية مصر ، ١٢٥٧ هـ ، ج ١١ ، ص ٤٥.

(٢) ذيل تاريخ دمشق ، لأبي يعلي حمزة بن القلانسي ، طبع ونشر دار صادر ودار بيروت سنة ١٩٦٤م ، ص ٢٨٧ .

وأمن من في كل قطر بهيبة *** تراع بها أعرابه وأعاجمه

فيعدد الشاعر مآثر وصفات عماد الدين، فقد قضى حياته مجاهداً في سبيل الله ، فاتحاً للحصون ومعاقل الأعداء ، وكانت له السيطرة علي البلاد والعباد متصفاً بالعدل ، وأرخى دعائمه ، ورفع الظلم عن العباد ، وحمى ثغور الإسلام .

ولعل بطلاً لم يبكه الشعراء كما بكوا صلاح الدين الأيوبي ، محطم الصليبيين ومسترجع بيت المقدس من أيديهم ، فقد كانت وفاته يوم الأربعاء السابع والعشرين من صفر عام ٥٨٩ هـ وكان يوم وفاته يوم لم يصب الإسلام والمسلمون بمثله منذ فقد الخلفاء الراشدين ، فقد غشى البلاد في الوحشة ما لا يعلمه إلا الله . حتى أن العاقل يتخيل يوم دفنه أن الدنيا تبكي بصوت واحد ويجهش الناس بالبكاء والعويل ما شغلهم عن الصلاة[١] . وكان من الطبيعي أن يبكيه الشعراء بكاءً مراً وأن يعبروا عن حزن الأمة بفقده يقول العماد[٢]:

أَينَ الذي مُذْ لم يزل مخشيّةً *** مرجوَّةً رهباتُهُ وهباتُهُ

أَينَ الذي كانتْ له طاعاتُنا *** مبذولةً ولربِّهِ طاعاتُهُ

باللهِ أين الناصرُ الملكُ الذي *** للهِ خالصةً صَفَتْ نيّاتُهُ

أينَ الذي ما زالَ سلطاناً لنا *** يُرْجَى نَداهُ وتُتَّقَى سَطَواتُهُ

أينَ الذي شَرُفَ الزَّمانُ بفضله *** وسَمَتْ على الفُضلاء تشريفاتُهُ

يصور العماد في هذه القصيدة، جهاد صلاح الدين وصفاته، ومدى الفاجعة التي أصابت الأمة بموته، والفراغ العريض الذي تركه بعد موته.

---

(١) الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢١٤ .

(٢) الروضيين ، ج٢، ص٢١٥.

ثالثاً: رثاء المدن والديار والممالك الزائلة:

من الأشياء التي تلفت النظر أن شعراء القرن السادس الهجري في المشرق، لم يقفوا علي حدود بكاء الأفراد فحسب، بل تعدى ذلك إلي بكاء المدن والديار والممالك الزائلة. وهذا الفن لم يكن غريباً علي الشعر العربي، إذ نظم فيه بعض شعراء العصور المتقدمة ومن هذه المراتب التي قيلت في رثاء المدن مرثية أسامة ابن منقذ، إذ يقول(١):

حيّا رُبوعَكِ من رُبىً ومنازِلِ *** ساري الغَمامِ بكلِّ هامٍ هامِلِ
وسَقَتْكِ يا دارَ الهَوى بعد النَّوى *** وطَفاءُ تَسفَحُ بالهَتونِ الهاطِلِ
حتّى تُروِّضَ كلَّ ماحٍ ماحِلٍ *** عافٍ وتُرويَ كلَّ ذاوٍ ذابِلِ
أبكيكَ أم أبْكي زماني فيكَ أمْ *** أهليكَ أم شَرخَ الشبابِ الرّاحِلِ
ما قدرُ دَمعيَ أن يقسِّمَه الأسى *** والوجدُ بين أحبّةٍ ومنازِلِ

لقد بدأ الشاعر بالاستهلال بالدعاء و السقيا لهذه الديار ، فأرض الأهل وديارهم يعمها الجدب وهو يضفي عليها من مظاهر النماء والحياة ، وما يعكس رغبته في إخفاء طابع الحياة عليها من خلال رثائها ، وقد نسج الشاعر في هذه القصيدة و مزج بين رثاء الأهل والديار . وله قصيدة أخرى في مراثي الديار منها(٢):

هذي قصورُهُمُ أمست قبورَهُمُ *** كذاكَ كانوا بها من قبلُ سكّانا
ويحَ الزّلازِلِ أفنَت مَعشَري فإذا *** ذكَرتُهُم خِلتُني في القوم سَكرانا

---

(١) ديوان أسامة بن منقذ ، ص ٣٥٤ .

(٢) المصدر السابق ٣٥٧ .

ومن المراثي التي قيلت في الممالك الزائلة، نرى مرثية الشاعر عمارة اليمني، في رثاء الفاطميين، يقول ابن واصل في ذلك : (كان عمارة اليمني شديد التعصب لهم، لأنه قدم عليهم من اليمن، فأحسنوا إليه، فرعى ذلك ووفي لهم، فلما زال أمرهم رثاهم بأحسن الشعر، وذب عنهم باللسان، فمن ذلك قوله[1]:

رميت يا دهر كف المجد بالشلل *** وجيده بعد حسن الحلي بالعطل
سعيت في منهج الراي العثور فإنك *** لا قدرت من عثرات الدهر فاستقل
جدعت مارنك الأقني فأنفك لا *** ينفك بين أمر الشين والخجل

إلي أن يقول[2]:

يا عاذلي في هوى أبناء فاطمة *** لك الملامة إن قصرت في عذلي
بالله زر ساحة القصرين وأبك معي *** عليها لا علي صفين والجمل
وقل لأهليهما والله ما التحمت *** فيكم جروحي ولا قرحي بمندمل
ماذا ترى كانت الإفرنج فاعلة *** في نسل آل أمير المؤمنين علي؟

فالشاعر يتحسر ويبكي علي زوال الفاطميين ويندبهم .

---

(١) مفرج الكروب ، ص ٢١٢ .
(٢) مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١١٢ .

المبحث الرابع
شعـــــر الإخوانيات

الإخوانيـات هـي عبـارة عـن مكاتبـات أدبيـة ورسـائل تصـور عواطـف الشعراء ، والأفراد وهي أشعار تصور الشعور الإنساني النبيل النابع من أعماق النفس البشرية ، البعيد عن التكسب والمنفعة تدفع إليها العاطفة الصادقة من قرابـة أو صـداقة بين أربـاب الأدب ويعكس هذا اللـون الفنـي براعـة الشـاعر أو الأديب في اختيار ألفاظه وعبارته ومهاراته الكتابية .

وقد ذكر القلقشندي أن موضوعات هذا الفن تتشعب إلي سبعة عشر غرضـاً وأغراضـها للمسـامرات والمنـاظرات ، والتهـاني والتعـازي والاعتـذار والتهادي... "[1] وقد تعالج الرسالة الواحدة أغراضاً عدة في آن واحد أو تقتصر علي جانب معين وقد برز هذا اللون الفني في القرن السادس الهجري وانتشر علي نطاق واسع نثراً كان أم شعراً ، ومما ساعد علي انتشاره الفراغ الاجتماعي وكما ذكر الباحث آنفاً فإن هذا اللون الفنـي يشمل أغراضـاً كثيرة ومتعددة ، ويضيق البحث عن حصرها لذا آثر الباحث الحديث عن بعض هذه الأغراض وأهمها:

أولاً: العتاب والاعتذار :

يلجأ الشاعر إلى مثل هذا اللون من المكاتبات، بعد حالة من القطيعة والجفاء، بينه وبين صديقه، أو ولي نعمته، يطلب فيها الصفح والسماح عما بدر منه. وهذا اللون من المكاتبات قديم في الأدب العربي، وقد برع فيه شاعر الاعتذار النابغة الذبياني. ونجد أن هذا اللون الفني قد ازدهر في القرن السادس

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي ، المؤسسة المصرية العامة ، د ت ، ج ٩ ، ص ٥

الهجري، لتشعب الحياة الاجتماعية، فأصبح غرضاً شائعاً يصور ما تجيش به النفس من عواطف صادقة. ومن هذه الاعتذارات القوية المؤثرة، اعتذار الشاعر ابن سناء الملك، لمن عتب عليه في ترك القيام له فقال [١]:

أَمانـاً فـإنِّي مِـنْ عِتَابِـكَ خـائِفُ *** وعفــواً فــإنِّي بالجنايــةِ عَــارِفُ
على أَنَّ لـي عذراً فإن كُنْتَ مُنْصِفاً *** فكــن قــابلاً أَوْ لاَ فإنــك حَــائفُ
ومـا كَـانَ شـغْلي عنـك إلاَّ لأَنَّنـي *** بفكـرِي علـى تحْبِيـرِ شـكرِك عَـاكِفُ

ويقول في قصيدة أخرى معتذراً للقاضي الفاضل زمن السلطان صلاح الدين الأيوبي[٢]:

لسوءِ اختياري كان لي عنك مَذْهَبٌ *** علـى أن قلبـي لـم يجـد عنـك مـذهبا
ولولا أنـي ما كان بـي عنك مرغب *** وكيـف أَرَى عـن جنَّـةِ الخلـدِ مَرْغَبَـا
وكـم لـكَ لـولا سـوءُ بختـي نعمـةٌ *** مَنَنْـتَ بهـا لـو شـئتَ سـميتَها أَبَـا

فالشاعر يعتذر للقاضي عن تركه أيام شدته ، ولم يكن تركه له عن قصد أو سوء نيه ، ولكن شاءت الأقدار أن يأتيه خبر مزعج من أبيه أخطر علي أثره أن يتركه .

أما ظافر الحداد فإنه يعتذر لصديق له بعد طول انقطاع[٣]:

لعــل اعترافــي بــاقْتِرافي شــافعُ *** وهَيْهــات لكنّــى بذلــك طامــعُ
إذا آيَسَـتْني كثـرةُ الـذَّنبِ رَدَّنـي *** رجـائي وعلمـي أنّ صـدرك واسـع
ومـا الصـفحُ مسـدودٌ علـيَّ سـبيلُه *** وفضُــلك أسبــابٌ لــه وذَرائِــع

---

(١) ديوان ابن سناء الملك ،ج٢، ص ٥٤٨ .

(٢) ديوان ابن سناء الملك ،ج٢، ص٥٤٠.

(٣) ديوان ظافر الحداد ، ص ١٩٨ .

أُعاتب نفسي في ذنوبٍ جَنيتُها *** فيستر وجهي للحياء بَراقع

فالشاعر يقر بذنبه ويعترف بخطئه ، وهي فضيلة ترفع الإنسان عند الأخرين فالإقرار دليل علي صدق النية وسلامة الصدر .

ثانياً: التهنئة:

نما هذا اللون الفني في القرن السادس الهجري، وقدّم الشعراء من خلاله صوراً واضحة في العلاقات الودية ، والروابط الاجتماعية السائدة بين أفراد المجتمع . وفي ذلك يقول ابن سبط التعاوذي ، يهنئ الأمير عماد الدين ناصر الدين بانتصاراته علي خصومه فيقول(١):

يا خَيرَ مُنتَصِرٍ لِخَيرِ إمامِ *** حَقّاً دُعيتَ بِناصِرِ الإسلامِ
حَكَّمتَ حَدَّ البيضِ في أَعدائِهِ *** وَالمَشرَفِيَّةُ أَعدَلُ الحُكّامِ
وَنَصَرتَ دينَ اللَهِ نَصرَ مُؤَيَّدِ الـ *** آراءِ في نَقضٍ وَفي إبرامِ
وَوَقَفتَ أَكرَمَ مَوقِفٍ شَهِدَتهُ أَمـ *** ـلاكُ السَماءِ وَقُمتَ خَيرَ مَقامِ
دافَعتَ عَنهُ فَكُنتَ أَملَكَ ذائِدٍ *** يَحمي حَقيقَتَهُ وَخَيرَ مُحامي

ويقول ابن منير الطرابلسي في القصيدة التي هذا هنأ بها نور الدين(٢):-

أَقْوَى الضَّلالُ وأَقْفَرَتْ عَرَصَاتُهُ *** وعَلا الهدى وتبلَّجَتْ قسماتُهُ
وانْتَاشَ دينَ محمَّدٍ محمودُهُ *** من بعد ما عُلَّتْ دماً عَبَراتُهُ
رَدَّتْ على الإسلام عصرَ شبابِهِ *** وَثباته مِن دونِهِ وثباتُهُ
أَرسَى قَواعِدَهُ وَمَدَّ عِمادَه *** صُعُداً وشَيَّد سورَه سوراتُهُ

---

(١) ديوان سبط التعاويذي ، ص ١ .

(٢) الروضتين ص ٦٠ ، ٦١ .

وَأَعـادَ وَجـهَ الحَـقِّ أَبـيضَ ناصِـعاً *** إِصْـــلاتُهُ وصِـــلاتُه وَصَـــلاتُهُ

نلاحظ في هذه القصيدة، أن الصراع الديني المشار إليه آنفاً يتضح كل الوضوح، ويعظم الشاعر بطل الفتح شأنه شأن معظم الشعراء، ويعود الشاعر بذاكرته إلي عصر صدر الإسلام، ويتذكر من خلال ذلك هذه الانتصارات في هاتيك الأيام الغر[١].

ونرى ابن منير الطرابلسي يهني نور الدين يوم حارم[٢]:

حَظيـتَ مِـنَ المَعـالي بِالمَعـاني *** وَلاذ النّـــاسُ بَعـــدَكَ بِالأَســـامي

عَزيـزُ المُنتمـى عـالي المَراقـي *** بَعيـدُ المُرتمـى غـالي المسـامي

فَمـا أَحـدٌ إِلـى العَليـاءِ يُـدلي *** بِمَحتَـــدِكَ القَســـيمِيِّ القســـامي

أَبـوكَ المُعتَلـي قِمَـمَ الأَعـادي *** إِذا اِســـتَعَرَت مذامِـــرَةُ القمـــامِ

زَكـا عِـرقُ العِـراقِ وَقَـد تكنّـى *** بِـــهِ وَأَطـــالَ مِـــن شـــمِ الشَـــآمِ

ثالثاً: المطارحات والشتويات:

هـي تلك الرسائل الشعرية بين الشعراء وأبنائهم، أو آبائهم، وأصبحت لوناً معروفاً في هذا القرن، إذا أن ظهور أسر ورثت الأدب كابراً عن كابر، كان أمراً معروفاً بكثرة. ولعل هذا التطور الجديد، كان عاملاً من عوامل ازدهار المطارحات الوجدانية، بين أفراد الأسرة نفسها[٣]. ومن ذلك نرى أن ابن العديم – فيما يظهر لي – أن يبتعد عن ابنه كثيراً لطبيعة ظروفه، فيعتصره الشوق، ويؤلمه البعد، فيكتب لأبنه مجد الدين قائلاً [٤]:

---

(١) الأدب في بلاد الشام ص ٤٩٠ .

(٢) الروضتين ج ١ ، ص ١٠٢ .

(٣) أدب الدول المتابعة ، دكتور عمر موسى باشا ، دار الفكر لبنان ، ١٩٦٧ ، ص ٥٧٣ .

(٤) فوات الوفيات لمحمد بن شاكر بن أحمد الكتبي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة السعادة مصر ١٩٥١م ، ج ٢ ، ص ١٠٣ .

هذا كتابي إلى من غاب عن نظري *** وشخصه في سويدا القلب والبصر
ولا يَمُــنّ بطيــف منــه يطرقنــي *** عنــد المنــام ويــأتيني علــى قــدر
ولا كتــاب لــه يــأتي فأسمــع مــن *** أنبــائه عنــه فيــه أطيــبّ الخبــر
حتى الشمال التي تسري على حلب *** ضـنّت علـى فلـم تخطـر ولـم تسـر
أخصـــــه بتحيـــــاتي وأخبـــــره *** أنــي سـئمت مـن الترحـال والسـفر

إنها رسالة شيقة لطيفة، فيها العاطفة الأبوية، مواراة بالشوق والحنين والأرق، متلهفة إلي رسالة أو خبر، حتى أنه استاق النسيم لعله يحمله تحياته، ويخبره عن سأمه من البعد والسفر، ولكن النسيم كان ضنيناً .

ومن ذلك نرى في رد (ابن قسيم الحموي) علي (ابن منير الطرابلسي)، الذي يحدثه فيه عن سوء أحواله فيقول[1]:

بعثــت الكتــاب فــأهلاً بــه *** يســـر النواظـــر تنميقـــه
لــئن أخجــل الــروض موشــيه *** لقــد فصــح الــدر منســوقه
غريــب الصــناعة تجنســيه *** نفــيس البضاعــة تطبيقــه
وواصــلني بعــد طــول الجفــا *** كمــا وصــل الصــب معشــوقه
فزايــل جفــني تأريقــه *** وعــاود غصــني توريقــه
وبــت أراقــب مسطــوره *** كمــا رقــاب النجــم عيوقــه
فلمــا بــدت لــي ألفاظــه *** تستــر فكــري وتلفقــه

توضـح هـذه القصـيدة الجوابيـة، مـذهبين رئيسـيين، فـي أدب القـرن السادس الهجري، مذهب ابن منير وجماعته ، ويجنح نحو التطبيق والتجنيس

(١) خريدة القصر قسم شعراء الشام ، ج ١ ، ص ٤٥٩ .

والإغراب في الصناعة، ومذهب ابن قسيم وجماعته يجنح نحو الانسجام والسهولة[1] وقد وصف ابن قسيم هذا المذهب في كتاب صديقه التنميق والتنسيق، والحوش والغريب، والجناس والتطبيق.

ويضاف إلى ما تقدم ظهور الشتويات الشعرية ، وهي قصائد إخوانية وجدانية يتبادلها الشعراء للتسلية خلال أيام الشتاء الطويل و من ذلك ما كتبه العماد الأصفهاني إلي الإمام شرف الدين أبي سعد عبد الله بن أبي معروف قائلاً :

أَيــا شــرفَ الــدِّين إنَّ الشَّــتا *** بكافاتـــــهِ كـــــفَّ آفاتـــــهِ
وكفـــكَ مـــن كـــرمٍ كافُهـــا *** لقـــد كفلـــت لـــي بكافاتـــهِ
وإنّـــكَ مـــن عرفـــه شـــكرنا *** غـــدا عـــاجزاً عـــن مكافاتـــهِ

فكتب إليه شرف الدين في جوابها [2]:

إذا مـــا الشـــتاء وأمطـــاره *** عـــن الخيـــر حابســـة رادعـــة
فكافاتـــه الســـت اعطيتهـــا *** وحوشـــيت مـــن كافـــه الســـابعة
وكـــف المهابـــة والاحتشـــا *** م لكفـــى عـــن بـــره مانعـــه
وهمـــة كـــل كـــريم النجـــا *** ر بميســـور أحبـــاه قانعـــه

(١) الأدب في بلاد الشام ، ص ٢٤١ .

(٢) مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ، شمس الدين يوسف ، سبط الجوزي ، مطبعة حيد أباد ، ط ١ ، ١٣٣٠هـ ، ص ١٤١ .

الفصل الثالث
الاتجاه الوجداني

المبحث الأول : شعر الغزل

المبحث الثاني : شعر الخمريات

المبحث الثالث : شعر الفخـر

المبحث الرابع : شعر الشكوى والغربة

المبحث الأول
شعر الغـــــزل

يُعد الغزل من أوسع أبواب الشعر العربي ، التي طرقها الشعراء ، في مختلف العصور ، فليس من شاعر إلا أدلى بدلوه فيه ، فهو أحب الفنون الشعرية إلى القلوب، وأكثرها تأثيراً في النفوس ، وأشدها علوقاً بالأذهان ، وأخفضها نغماً علي اللسان، وأكثرها انسياباً علي الشفاه .

وقد تطور فن الغزل في الشعر العربي، بتطور العصور والأجيال ، يقول ابن رشيق "والتغزل و النسيب و التشبيب كلها بمعنى واحد ، وأما الغزل فهو ألف النساء والتخلق بما يوافقهن"(١) فمن جعله بمعنى التغزل فقد أخطأ. وقد وافقه علي ذلك قدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر : " إن النسيب ذكر الشاعر خلق النساء وأخلاقهن، وتعرف أحوال الهوى به معهن " والغزل إنما هو التصابي والاشتهار بمودات النساء(٢).

وإذا أمعنا النظر في قصيدة الغزل، عند شعراء القرن السادس الهجري في المشرق، فإننا نجدها تسير علي ذات النهج والخطى، الذي سارت عليها القصيدة الغزلية في الشعر العربي ، ولم تخرج عن الإطار العام للغزل. وقد حافظ الشعراء علي المفاهيم الجمالية التقليدية عند العرب قديماً، بيد أنهم جعلوا مناهجهم تتطور بما يتلاءم مع بيئتهم وعصرهم ، وبما يتجدد من صور حضارية زاهرة ، تأثرت بما عرف عند الشعوب الأخرى بحكم الحروب، التي طبعت هذا العصر بطابعها، وبحكم العلاقات المستمرة ، فكانوا أوفياء علي ما

---

(١) العمدة، لابن رشيق القيرواني ، تحقيق: محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ١٩٥٧م ، ج ٢ ، ص ١١٧ .

(٢) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ، تحقيق كمال مصطفي ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٩٦٣م ، ص١٤٠ .

ورثوه، فنجدهم يصورن الحبيب ويتحدثون عن جماله فيكررون الأوصاف نفسها ، ويذكرون ما فعله بهم ، ويضاف إلي ذلك ما يعترض الحبيب والمحب من افتضاح هواهم ، ووصف البعاد والهجران ، وأحاطوا بطلعت الحبيب ومحياه، فنظروا نظرة كلية ونظرة جزئية. ويمكننا أن نحصر التغزل في الآتي :

أولاً: التغزل المعنوي :

والمقصود به ذلك التغزل الذي لا يشرح جسم المحبوبة، ويصف لنا كل جزء فيه ، وتعداد ما به من جمال . وجملة المعاني التي يخوض فيها شعراء التغزل المعنوي، تدور حول صدق الحبيب في حبه، ورغبته الشديدة في محبوبته ، وأنه تلقى العناء كل العناء في سبيل هذا الحب ، ومع ذلك يصبر لعل الأيام تنيله ومطلبه ، في هذا نرى ابن المعلم يقول[١][٢]:

لو قضى من أهل نجد أربه *** لم يهج نشر الخزامي طربه
عللوا الصب بأنفاس الصبا *** إنه تشفي به النفوس الوصبه
فهي إن مرت عليه نشرت *** ما انطوى عنه وجلت كربه
كلفي فيكم قديم عهده *** ما صباباتى بكم مكتسبه
عن جفوني النوم من بعده *** والي جسمى الضنا من قربه
فصلوا الطيف إذا لم تصلوا *** مستهاماً قد قطعتم سببه

فهو لم يقض أرباً من صاحبته ، وذلك هو مصدر لهفته ولوعته ، وأنه يتمنى أن غربة أنفاس الصبا محملة بنشرها علها تشفيه من أوصابه ، وأوجاعه ، وتنقذه من كربه العظيم وأنه ليكلف بها أشد الكلف ، كلف كأنما فطر عليه ،

---

(١) هو أبو غنائم نجم الدين بن محمد بن علي، المعروف بابن المعلم، قصد بشعره حكام بغداد، ويغلب على شعره وصف الشوق، وذكر الصبابة عمر ما بين (٥٠١-٥٩٢هـ) الوافي بالوفيات ، ج٤، ص١٦٥.

(٢) خريدة القصر ،ج٢، ص٤٣٠.

فهو يعذبه ويشقيه ويسهده ويضنيه ، وأنه ليتمى أقل التمني أن يرى طيف المحبوبة ، ولكن أنى له ذلك، فهو لا ينام ، بل يظل ليله مثل نهاره ، يحتمل ما لا يستطيع تحمله من آلام الحب الذي أصبح محنة . ويقول في قصيدة أخرى[١]:

أرقى وهو المحب المستهان *** ما يداوي بالتعاويذ الغرام
قصرت عن برئه أيدى الأسا *** كيف حسم الداء والداء عقام
يا لديغ الحدق النجل متى *** تجد البرء وحاميه الحسام
ودواء الحب في شوك القنا *** مت لديغاً كل درياق سمام
قل لنوام الغضا عن ساهر *** من تجافاه الهوى كيف ينام
غبتم بالشمس عن ناظره *** والضحى مثل الدجى كل ظلام

فحبه مرض عضال لا يداوى بالتعاويذ والرقى ، وقد عجزت عن برئة وشفائه أيدي الآسى والطب والعلاج . إنه داء لا يمكن الخلاص منه ، وإنه لديغ الحدق والنجل الساحرة، وكل ترياق له أو دواء، إنما هو سم، فلا يدري المصاب به أيشرب رحيقاً ساماً أم سماً قاتلاً. ويتجه إلي أهل القضاء يشكو سهاده وجفاء محبوبته ، فقد غابوا بشمسه عن بصره، وأصبح ضحاه مثل دجاه ، وأظلمت الدنيا في عينيه، وأصبح كل شئ قطعاً من الظلام بعضها فوق بعض .

وفي ذلك أيضاً يقول المهذب بن الزبير[٢]:

إذا أحرقت في القلبِ موضعَ سُكناها *** فَمَن ذا الذي من بَعدُ يُكرِمُ مثواها
وإن نزفَت ماءَ العيونِ بهجرِها *** فمِن أيِّ عينٍ تأمُلُ العيسُ سُقياها
وما الدَّمع يُوم البَينِ إلا لآليٌ *** على الرَّسمِ في رسم الدّيارِ نَثَرناها

(١) وفيات الاعيان ، ج ٥ ، ص ٥ .
(٢) معجم الأدباء ، ج ٩ ، ص٦١ .

ومـــا أطلـــعَ الزهـــرَ الربيـــعُ وإنّمـــا *** رأى الـدمعُ أجيـادَ الغُصـونِ فَحلاهـا
ولمّـــا أبـــانَ البَـــينُ سِـــرَّ صُـــدورِنا *** وأمكـنَ فيهـا الأعـينُ النُّجـلُ مَرماهـا

فابن الزبير يشكو من النار التي أشعلتها صاحبته في فؤاده ، ويقول لها إنه سكنك فإذا لم تبق عليه فأين مثواك . فقلبه ملئ بها فتوتاً بل ناراً موقدة.

ثانياً: التغزل الحسي:

وإذا تركنا التغزل المعنوي إلي التغزل الحسي، فإننا نجد شعراء القرن السادس الهجري قد تحدثوا عن أوصاف الحبيب، فوصفوا محاسنه ، ولم يتركوا شـيئاً فيهـا دون أن يعرضـوه عرضـاً مـوجزاً أو مستفيضـاً ، حتـى تشـابهت الأوصـاف والنعـوت، واسـتوى فيهـا السـابقون واللاحقـون . فقـد أحـاطوا بطلعـة الحبيب ومحياه ، فنظروا نظرة كلية ، ونظرة جزئية ، وتحدثوا من خلال ذلك عن الشعر والجبين والعينين والألحاظ والخيلان واللمى ، ولم ينسوا خلال كل ذلك، ذكر ما يتعلق بالوجه، كالعذار والسوالف وعقارب الأصداغ[١]. أما الوجه فقد شبه بالبدر تارة وبالشمس تارة، أخرى فيقول ابن منير الطرابلسي في ذلك[٢]:

قَمـــرٌ مـــا طَلَعـــتْ طَلْعَتـــهُ *** قَـــطُّ إلاّ سَـــجدَ البَـــدرُ لَهـــا
لَهَبـــيُّ السّـــخط مـــائِيُّ الرِّضَـــى *** فَهـــوَ المَعشـــوقُ كَيـــفَ اِتَّجَهَـــا
نَقَـــشَ الحُسْـــنُ علـــى وجنَتِـــهِ *** شـــامةً أشْـــمَتَ حُسّـــادي بِهـــا
كَـــانَ قَـــد أَعْوَزَهَـــا بُسْـــتانُهُ *** ثُـــمَّ لَمَّـــا أَشـــرَقَتْ فيـــهِ اِنتَهـــى

ويجمع الشاعر في وصفه بين الشمس والقمر إذ يقول[٣]:

يـــا حَبّـــذا ذاكَ الغَـــزا *** لَ لَـــو شَفـــاني غَـــزلا

---

(١) الأدب في بلاد الشام، ص ٥٥٣ .

(٢) خريدة القصر، ج ١ ، ص ٨١ .

(٣) المصدر السابق ص ٨٢ .

فَـــدَيْتُ مَـــن أَبيـــتُ مِنـــ *** ـــــهُ وَعَلَيـــــهِ وَجَـــــلا
بَـــدرٌ إِذا البَـــدرُ سَـــرى *** فيـــــهِ المَحـــــاقُ كَمـــــلا
شَـــمسٌ إِذا الشَّـــمسُ خَبَـــتْ *** تَحـــتَ الكُسُـــوفِ اِشـــتَعلا

ولم يكتف الشاعر أسامة بن منقذ بتشبيه طلعة الحبيب بالشمس والقمر ، إنما وضح الصورة الجمالية فقصر صفة الشمس علي الحبيب في النهار ، وصفة القمر عليه في الليل، حيث يقول[١]:

أَنَـا أَفدِي مُغرَىً بصدِّي وهجري *** وهو شمسِي ضُحىً وفي الليل بَدْري
يُنْبِـتُ الـوردَ خـدُّه وبِفيـهِ الـ *** عـذبِ دُرٌّ يُسـقَى سُـلافَةَ خَمْـرِ

ونراه في قصيدة أخرى يقول[٢]:

أجتلي منه في ضحا اليوم شمساً *** وأرى منـه فـي دجـى الليـل بـدراً

أمـا العيـون وسـهام الألحـاظ القاتلـة عـن نظراتهـا يقـول فيهـا ابـن الساعاتي[٣]:

وأحـور فـي عينيـه هـاروت بابـل *** رمـــى فاتقينـــا نبلـــه بالمقاتـــل
يـــدافع عـــن ألحاظـــه بجفونـــه *** ولـم أر جفنـاً صـال دون المناصـل

وقد أطـال الشـعراء فـي حديثهم عن مرض الأجفان وتكحلها بالسقام، يقول ابن القسيراني[٤]: –

---

(١) ديوان أسامة بن منقذ ، ص ٣١ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٢ .
(٣) ديوان بن الساعاتي ، ج ٢ ، ص ٢٧ .
(٤) ديوان ابن القيسراني ص ٦٩ .

بـــه كـــل نَشـــوانةٍ لحظُهـــا *** يطـــرق بـــين يَـــديْ عربَـــدَهْ
صـــوارمُ قاطعـــةٌ فـــي الجفـــو *** ن فهـــــي مُجـــــرّدةٌ مُغمـــــدَهْ
فهـا أَنـا مَـن فـي سـبيل الغـرا *** م أَورده الحـــــبُّ مـــــا أَوردَهْ
فهـــل لِـــدَمٍ فـــات مـــن طـــالبٍ *** وهيهـــات أَعجـــز يـــومٌ غَـــدَهْ
وكيـــف يُجـــازى بقتـــل النفـــو *** س مـــن لـــم يمـــدّ إِليهـــا يَـــدَهْ

وقد تفنن الشعراء في رسم الصورة الفرعية المكملة ، وخاصة عشاق الخيلان، وفي ذلك يقول ابن منير الطرابلسي[1]:-

نَقَـــشَ الحُسْـــنُ علـــى وجنَتِـــهِ *** شـــامةً أَشْـــمَتَ حُسّـــادي بِهـــا
كَـــانَ قَـــد أَعْوَزَهَـــا بُسْـــتانُهُ *** ثُـــمَّ لَمَّـــا أَشـــرَقَتْ فيـــهِ اِنتَهـــى

أما ابن الساعاتي فلم يكتف بخال واحد كابن منير أو بخالتين ، وإنما في وجنتين حبيب أغن معسول المراشف كثيراً في الخيلان[2]:

وأغـن معسـول المراشـف أشـنب *** صـــان الجمـــال بهجـــرة وتجنـــب
يبـــدو وللخـــيلان فـــي وجناتـــه *** معنـــى يحيـــر نـــاظر المتعجـــب
وجـه كمـا سـفر الصـباح لثامـه *** فعـــلام فيـــه بقيـــة مـــن غيهـــب

وكانوا كثيراً ما يصفون هذه الصورة الجمالية، في أعلى غصن مياس من قدة، ممشوق محيط به كثبان من الأرداف الثقيلة ، وقد أخذ الشعراء هذه المعاني من سابقيهم ولم يعيروها كثيراً. يقول أسامة في ذلك :

---

(١) خريدة القصر ، ج ١ ، ص ٤٤٦ .

(٢) ديوان ابن الساعاتي ، ج ٢ ، ص ٦٦ .

غصن ودعص فالغصن من هيف *** يميس ليناً، الدعص يرتج[1]

ويبالغ ابن القيسراني في وصف الأرداف حتى يحسبها الناظر أنها معقدة [2]:

ترى كلَّ مُستضعَفٍ خصرُه *** إذا ما دعا طرفَه أَنجَدَهْ
وذات روادِف عند القيا *** م تحسَبها أَنها مُقْعَدَه
وبدر من الشَّعْر في غاسق *** يضاحك أَبيضُهُ أَسودهْ

إن شعراء هذا العصر، أخذوا من الشعر العربي القديم، كثيراً من المعاني التي أتينا علي ذكرها ، بيد أنهم مع كل ذلك لم يسيروا عليها تماماً ، وإنما عبروا عن كثير من المعاني الجديدة المستحدثة، التي استدعتها طبيعة حياتهم، وما فيها من أحداث وتطور في الحياة الاجتماعية . وقد تناول شعراء القرن السادس الهجري في غزلهم أحوال المحب ، فقد حاول الشعراء الذين أضناهم العشق ، فنحلت منهم الأجسام، واشتد حزنهم وجرت عبراتهم كما يزعمون ، فنحى بعضهم في وصف حالهم منحى الشعراء العذريين ، ونحى بعضهم الآخر منحى الشعراء الماديين ، يقول أسامة بن منقذ ، وقد سأله أحد الناس عن حاله فأجاب [3]:

يَا سَائِلِي عمّا بِيَهْ *** سرُّ المُحِبِّ عَلانِيَه
أُنظُر إلى جَسَدي لِتُخْ *** برَكَ العظامُ العَارِيَه
عَن مُهجَةٍ بالهجرِ قَد *** تَلِفَتْ وعَينٍ جَارِيَه
وصَبَابَةٍ لا أَستَطيـ *** ـعُ أَبُثُّها هيَ مَا هِيَه

(١) ديوان اسامة بن منقذ ، ص ٩ .
(٢) ديوان بن القيسراني ص ٦٩ .
(٣) ديوان اسامة بن منقذ ، ص ٥٣ .

ولِمَـــــنْ أَلـــــومُ وإنَّمـــــا *** عَينـــــي علـــــيَّ الجَانِيَـــــه

وقد بالغ الشعراء في وصف الضنى والسقام، حتى أن عرقلة[١] يصور نفسه وقد غدا شيخاً، قائلاً[٢]:

عِنـدي إِلَـيكُم مِـنَ الأَشـواقِ وَالبُرَحـا *** مـا صَيَّرَ القَلبُ مِن فَرطِ الهَوى سَبَحا
أَحبابَنـــا لا تَظُنُـــوني سَـــلوَتُكُمُ *** مـا حالَـتِ الحـالُ وَالتَبـريحُ مـا بَرِحـا
لَـو كـانَ يَسـبَحُ صَـبٌّ فـي مَدامِعِـهِ *** لَكُنـتُ أَوَلَ مَـن فـي دَمعِـهِ سَـبَحا

إن العلاقة بين الحبيب الظالم، والشاعر المحب المظلوم، علاقة مولي وعبد وسيد ومسود، وهذه الظاهرة مهمة ومعروفة في الشعر العربي قبل هذا العصر ، ولكن الشعراء في هذا العصر أسرفوا فيها كل الإسراف .

فيقول ابن منير الطرابلسي في ذلك[٣]:

مـــولايَ قـــد ذُبْـــتُ صـــبراً *** وكـــــم تُـــــذيب مطـــــالا
مـــــا كـــــان عهـــــدُك إلاّ *** مثـــــل السُّـــــلُوِّ مُحَـــــالا

وقد تناول شعراء القرن السادس الهجري أيضاً عثرات المحب، فقد وردت في شعرهم بشكل ظاهر ، إذ شكوا المتطفلين عليهم ونعتوهم بأقبح

---

(١) عَرقَلَةِ الكَلبِيّ (٤٨٦ – ٥٦٧ هـ) هو حسان بن نمير بن عجل الكلبي أبو الندى. شاعر من الندماء، كان من سكان دمشق واتصل بالسلطان صلاح الدين الأيوبي، فمدحه (الأعلام ،ج٢، ص١٧٧).

(٢) خريدة القصر ، ج ١ ، ص ١٨٢ .

(٣) خريدة القصر ، ج ١ ، ص ٨٣ .

النعوت وسموهم بأسماء مختلفة منهم العزول والرقيب ، والواشي والكاشح حيث يقول يقول أسامة بن منقذ مصوراً ذلك[١]:

بِنَفْسِي عذولٌ لامَ فيكُمْ فردَّ لي *** بذكرِكُم رَوْحَ الحَياةِ عَذُولُ
لَحَى نَاصِحاً فيكُم فأذكَى صَبَابتي *** وتُذكِي الرّياحُ النّارَ وهيَ بَليلُ
أسُوفُ صَعِيدَ الأرضِ إذ وافق اسمُه *** صعيداً به أهلُ الحبيب نُزُولُ
وأغْدُو على أُسْوانَ أَسوانَ في الحَشَا *** لِبُعْدِيَ عَنها لوعَةٌ وغَليلُ

وتسود العلاقة بين الشاعر و محبوبته ، ويشمت به عاذله لأنه لم يسمع إلي نصحه فيخاطبه قائلاً [٢]:

انظُر شَماتَةَ عاذِلي وسُرورَهُ *** بكُسُوفِ بَدرِي واشتِهارِ مَحاقِهِ
غَطّى ظَلامُ الشّعْرِ من وَجناتِه *** صُبحاً تضيءُ الأرضُ من إشراقِهِ
وهو الجهُولُ يقولُ هذا عارضٌ *** هُو عارضٌ لكن على عُشّاقِهِ

وقد تحدث شعراء القرن السادس الهجري، عن الواشي والكاشح، وهما شخصيتان لهما مكانتهما في مسرح الشعر العربي، فالواشي كان مكروهاً عند الشعراء ، إذ أنه ينم عليهم ، وقد أشار ابن القيسراني إلى هذا المعني بقوله[٣]:

نَلْحى الوُشاةَ وإنّ بين جُفوننا *** لَمَدامعاً تَسْعى لها بنمائِم
يا أَيُّها المُغْرى بأَخبار الهوى *** لا تُخْدَعَنّ عن الخبير العالم

أما ابن منير فكانت ثورته عليهم شديدة ، إذ أنهم استطاعوا أن يوغروا صدره فقال[٤]:

---

(١) ديوان اسامة بن منقذ ص ٩٣ .
(٢) المصدر السابق ص ٣١ .
(٣) خريدة القصر، ج ١ ص ١١٢ .
(٤) المصدر السابق ص ٩١ .

بِاللّــهِ يــا هــاجِري بــلا ســببٍ *** إلّا لِقَـــالَ الوُشـــاةُ أو زَعَمُـــوا
بِحقِّ مَن زانَ بالدُّجى فَلَق الص *** صُــبْحِ علــى الــرُّمح إنّــه قَسَــمُ
وَقــالَ لِلمــاءِ قِــفْ بوَجْنَتِــهِ *** فَمَــازج النّــارِ وهــيَ تَضْــطرمُ

وكان أسامة يخشى الكاشحين ويخشى في سره أن يشييع ويذيع فصور ذلك قائلاً[1]:

ولكـن خشِـيتُ الكاشِـحين فـإنَّني *** علــى سِــرِّنا مِــن أَن يَـذيعَ شـفيقُ
فأصـبحتُ كالهَيمـانِ عَـايَنَ مَـورِداً *** بَــروداً ولكــن مــا إليــهِ طَريــقُ

أما ابن سناء الملك، فقد تحدث عن الواشين، الذين حاولوا أن يحولوا بين محبوبه وبين زيارتها ، ووصف خطو محبوبه ومشيته وخصره ، وتبرج الحسن في خديه[2]:

زار الحبيبُ وقَدْ قالت لـه خُدعِي *** زرْه وقــال لــه الْواشُــون لا تَــزُرِ
فجاءَ والخَطوُ في ريث وفي عَجل *** كقلبِـه حَـارَ فـي أَمـنٍ وفـي حَـذرِ
كأَنَّــه كـانَ مـن تَخْفيـفِ خُطْوَتِـه *** يَمْشِي على الْجَمْرِ أَوْ يَسْعى عَلى الإِبَرِ
وقـال إذ قلـتُ مـا أَحْلَـى تَحَفُّـرَه *** تبـرَّجَ الحُسْـن فـي خدَّيـه مِـنْ خَفَـرِ
يا أَخضرَ اللَّون طابَت منكَ رائحةٌ *** وغبـتَ عنَّـا فمـا أَبقيـتَ للخضـرِ

ثالثاً: الغزل بالمذكر :

من الآفات الاجتماعية التي تفشت في هذا العصر، وكانت امتداداً للقرنين الثاني والثالث، آفة الشذوذ الجنسي التي أدت إلى ظهور شعراء الغزل

---

(١) ديوان اسامة بن منقذ ص ٣٢ .

(٢) ديوان ابن سناء الملك ،ج٢ ص ٨٣ .

بالمذكر ، ومن الملاحظ دائماً أن هذا الشذوذ الجنسي، يشيع في المجتمعات التي تبلغ قمة التحضر والرفاهية ، إذن هو اتجاه موجود في كثير من آداب العالم المتحضر لأنه مرض ناشئ عن التشبع الحضاري، وقد تحدث ابن رشيق عن هذا الأمر ، فذكر أن منهم من يكون قوله في النساء اعتقاداً منه ، وإن ذكر فجرياً علي عادة المحدثين وسلوكاً لطريقتهم، لئلا يخرج عن سلك أصحابه، ويدخل في غير سلكه وبابه ، أو كناية بالشخص عن الشخص لرقته أو حب رشاقته[١].

وخلاصة القول من بواعث الغزل بالمذكر وغيره من الاتجاهات الاجتماعية الماجنة لا تعدو أن تكون نتاج اختلاط الأجناس من فرس وروم وغيرهم وتمازج الثقافات المختلفة والملل والنحل المتعددة وفي كل هذا تجمع وتفاعل مما أدي إلي اضطراب واهتزاز في القيم الخلقية عند كثير من الناس ومع هذه الأسباب نجد هناك أسباباً أخرى في القرن السادس الهجري أدت إلي كثرة هذا اللون من الشعر منها كثرة الحروب الصليبية التي شغلت الرجال عن الزواج ، وصرفتهم عن الاستقرار الذي يدفع إلي تكوين الأسرة ، ومنها انتشار الزوايا والتكايا التي شجعت الناس علي البطالة ، فلم يكن لديهم من وسائل العيش ما يمكنهم من الزواج ، إذ أصابهم الكسل والخمول ، ورضوا بأن يعيشوا عالة علي المجتمع فتفشى فيهم الشذوذ الجنسي ، حتى تعرضوا بنسبة كثيرة إلي الحملات الشديدة من كتاب كثيرين[٢] والتغزل بالمذكر فيه المعنوي وفيه الحسي الفاحش الذي يتضمن وصف صفات الغلام في التقاطيع البارزة والقد الممشوق .

---

(١) العمدة لابن رشيق ، ج ١ ، ص ١٩٨ .

(٢) ابن سناء الملك حياته وشعره ، تحقيق محمد ابراهيم نصر ، دار الكتاب العربي ، للطباعة والنشر ، ١٩٦٧م ، ص ٩٠ .

فنرى ابن منير الطرابلسي يقول متغزلاً بغلامه تتر[١]:

عَـــذَّبْتَ طَرْفـــيَ بالسَّـــهَرْ *** وأَذَبْـــتَ قلبـــيَ بالفِكَـــرْ
ومزجْـــتَ صـــفْوَ مـــودَّتي *** مـــن بَعـــد بُعْـــدِكَ بالكَـــدَرْ
وَمَنَحـــت جُثمـــاني الضَّـــنَى *** وَكَحلْـــتَ جفَنْـــيَ بالسَّـــهَرْ

أما القيسراني فقد تغزل بغلام يهودي صيرفي[٢]:

فـــي بنـــي الأَســـباط ظبـــيٌ *** مالـــــكٌ رِقّ الأســـــودِ
يأْسِـــــر النـــــاس بقـــــدٍّ *** وبخـــــــدٍّ وبجيـــــــدِ
تُنْبِـــتُ الأَبصـــار فـــي *** وجنتـــــه وَرْد الخُـــــدودِ

أما ابن الساعاتي فقد تغزل بغلام ساق ، أبصره عند أحد الرؤساء وبيده مبخره فكان كل نديم يتناول منه كأسه ، وهو يحيه بالبخور[٣]:

وساق طـلا قـاس علـي فـؤاده *** فما شئت من منع لديه ومن منح
ولو لم تكن قوت النفوس صفاته *** لما جمعت بين الحلاوة والمنح
إذا ما حبا ربّ النديِّ بكأسه *** ورياه فأنظر ما يجل عن الشرح
إلي النجم يسقي الشمس بدراً سماؤه *** سحاب بخور في إناء من الصبح

ولا يقف تغزلهم بالصبية فقط بل يمتد تغزلهم بالشباب يقول ابن سناء الملك في ذلك [٤]: –

---

(١) خزانة الأدب وغاية الإرب ، ابن حجه الحموي ، دار مكتبة الهلال ، ط ٢ ١٩٩١م . ص ١٦.
(٢) خريدة القصر ، ص ١٤٠
(٣) ديوان بن الساعاتي ج ٢ ، ص ٩٠ .

(٤) ديوان ابن سناء الملك ،ج٢ ص ٤٤٦ .

قـــالوا لقـــد شـــابَ الحبيـــبُ *** وشـــابَ فيـــهِ كُـــلُّ عَـــزْمِ
وأَراك تظلـــم فـــي هـــواهَ النـــ *** ـــــفْسَ ظُلمـــــاً أَيَّ ظُلْـــــمِ
فأَجبْـــت مـــن شـــرَهِي عَلَيْـــ *** ـــه أَذوقُـــه فـــي كُـــلِّ طَعْـــم

ويعجب برومي فيقول [1]: –

نـــال فَمِـــي مـــن ذلِـــك الـــريمِ *** مِثْـــلَ اســـمِه لكـــنْ بتـــرخيم
لـــه فـــم ضـــاقَ فلـــم يَسْـــتَطِعْ *** أَن يُخـــــرِجَ اللَّفْـــــظَ بتقـــــويم
لـــه فـــم للتـــرك يعـــزي وإن *** أصـــبح مـــولاه مـــن الـــروم
ولفظُـــه ســـكرانُ مـــن رِيقـــه *** فهْـــو لهـــا غيـــرُ مفهـــوم
مـــا فمـــه مـــيمٌ ولكنَّـــه *** لامـــةُ الجَـــزْمِ علـــى المـــيم

ويقول الأرجاني[2][3]: –

وقد زارَنا رَوْعانَ يَسترقُ الخُطا *** ليكـــتُمَ وَصْـــلاً والكَتـــومُ مُريـــب
يَتيـــهُ بقَـــدٍّ كلّمـــا هَـــزَّه الصِّـــبا *** تَمايـلَ مَيْـل الغُصْـنِ وهـو رطيـب
وروضـــةُ وَرْدٍ وَسْـــطَها أُقحوانـــةٌ *** بهـا يَحسُـنُ المرعَـى لـه ويطيـب

فهو يصف فتاه ذا قد ممشوق ، زاره ليلاً بخطى وئيدة حذره ، كالغصن الذي حركه النسيم ، وذا وجه كروضه حمراء توسطها إقحونة بيضاء .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٤٤ .

(٢) هو ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني القاضي (٤٦٠ – ٥٤٤ هـ) . شاعر ولد في أرجان وطلب العلم بأصبهان، ويكرمان، وقد تولى منصب نائب قاضي قضاة خوزستان، ثم ولي القضاء بأرجان مولده. وجل شعره حول المديح والوصف والشكوى والحكم والأمثال الفخر.له ديوان مطبوع. (وفيات الأعيان ، ج١، ص٤٧) .

(٣) ديوان الارجاني ضبط وشرح قدري مايو ، دار الجيل بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٣م ، ج ١ ص٣٤.

المبحث الثاني
شعر الخمـــريـات

إن وصف الخمر قديم في الشعر العربي ، إذ تناوله شعراء المعلقات في سياق موضوعات قصائدهم ، وكان رائدهم في ذلك الأعشى في خمرياته للحياة لما أضفاه عليها من عاطفته الشخصية وقد إشتغل بالخمريات كفن وصفي وأصبح باباً مهماً من أبواب الشعر العربي منذ القرن الثاني الهجري[١] وقد استمر فن الخمريات يتطور عبر الأزمنة إلى أن وصل القرن السادس الهجري ، حيث وجدت ثلة من الشعراء اهتموا به وأولوه اهتماماً خاصاً وكان ذلك نتيجة للحياة الاجتماعية السائدة آنذاك ، إذ كان شرب الخمر منتشراً علي نطاق واسع بين سائر الطبقات ، وكان الناس يشربونها جهراً دون خوف كما كان للطبيعة أثر واضح بشكل عام حيث كثرت الأديرة والحانات ، كما إن هناك عامل آخر هو قيام فلسفة جديدة في هذا العصر عند جذورها إلى عصر أبي نواس ، وكان أصحابها يعتقدون أن الحياة قصيرة المدى ، فيجب أن لا يضيعها الإنسان سدى ، وإنما عليه أن ينهب منها كؤوس اللذات ولا يضيعها في حزن دائم و ألم جرير ، ولا سبيل إلي نسيان ذلك إلا بشرب الخمر فهي تطرد الهموم وتجعل الشقاء سعادة ، والوحشة أُنساً، وقد انتشرت هذه المدرسة الخمرية في بلاد العجم وكان رائدها الأول هناك عمر الخيام ، وظهرت في الوقت نفسه في بلاد الشام مدرسة تنادي بها وكان رائدها عرقلة الكلبي[٢] أما من حيث المضامين والمعاني التي طرأت علي فن الخمريات في القرن السادس الهجري ، فنجد أن الشعراء قد أدخلوا بعض المعاني والألفاظ المقتبسة من النصرانية وغيرها . حيث أن شعراء هذا القرن في تناولهم لشعر الخمر تناولوا مجالسها ،

---

(١) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، د . محمد مصطفي هداره ص ٥٠ .

(٢) الأدب في بلاد الشام ص ٥٨٦ .

وتحدثوا من خلالها عن وصف الطبيعة ومن ذلك ابن الساعاتي ، وقد حضر قبل ارتحاله مجلس خمر بالنيرب ، وحدث مطر ورعد وبرق ، فأنشد بديعاً[١]:-

لله يـــومُ النيِّـــرينِ ووجهـــهُ *** طلـقٌ وثغـرُ اللهـوِ ثغـرٌ أشـنبُ
وكأنَّمـــا فـــنُ الأراكـــةِ منبـــرٌ *** وهـــزارهُ فـــوقَ الذؤابـــةِ يخطـــبُ
والرعـد يشـدو والحيـا يسـقي وغصـ *** ـن البـانِ يـرقصُ والخمائـلُ تشـربُ
وكأنَّمـا السـاقي يطـوفُ بكأسـهِ *** بـدرُ الـدجى فـي الكفّ منـه كوكـبُ

ونرى الشاعر نفسه يتحدث عن مجلس آخر في ندي خاص شهوده مع صحبه[٢]:

يـا لقلبـي مـن نغمـة لأوتـار *** وصـــنوف الريحـــان والأزهـــار
ونـــدياً شـــهدته فلكـــاً تطـــ *** ـلع فيـه الأقـداح مثـل الـدراري
ففـراق مـا بـين لهـوك والهـ *** ـم وجمـع مـا بـين مـاء ونـار
وكـــان الســـقاة أقمـــار ليـــل *** ســـائرات تـــدير شـــمس نهـــار
فقـــدود فـــي نشـــوة وجفـــون *** فـي فتـور وأوجـه فـي احمـرار
إن تخالف في أنها الشمس فأنظر *** نورهـا إذ خبـت علـي الأقمـار

ولـه قصـيدة أخـرى يصـف مجلـس شـربه مـا بـين أمـواه وأفـواه وسـندس خضر في رياض مليئة بالأزاهر واصفاً الخمر والطبيعة في مقابلات وتشبيهات جميلة فيقول[٣]:

خليلـي مـا بـال الكـؤوس عـواطلا *** وتبر الطلا الشفاف في قبضـة الشرب
ألـم تريـا تلـك التهـائم والربـي *** تخايل فـي حلـى الخمائـل والعصـب

(١) ديوان بن الساعاتي ج ٢ ص ٦٨ .
(٢) ديوان بن الساعاتي ج ٢ ص ١٦٨ .
(٣) المرجع السابق ج ١ ص ١٤٦ .

كـان الأقـاحي طلـة لؤلـؤ النـدي *** ثغور الغواني، والحيا أدمع الصب
وجــدنا بــه مــاء الحيــاة لأنــه *** إذا أصـاب أحيـا رشـفة ميـت التـرب

ونترك مجالس الخمر نتناول جانباً آخر من فن الخمريات وهو جانب وصفها . فهي عند القاسم الواسطي عروس تحدث عن جواهر الأعراض ، وتريك إذا نظرت إليها وجها جميلاً ولكنها تقطب الوجه حين شربها[1].

وأجـل مـن جـوهر الـدنانا عروسـاً *** نطقــت عــن جــواهر الأعــراض
كلمــا أبــرزت أرت لــك وجهــاً *** ذا انبسـاط يعطيـك وجـه انقبـاض

وفي وصف آخر نجد أن الخمرة عنده ذهب كؤوسها فضة ، وعروس تاجها الشهب تشرق منه الشموس ، يفوز من شربها ، ولا يلتمسها الشاعر إلا معتقة تنسيه همومه[2]: –

وأمـــــــلا الكـــــــؤوس *** فضـــــة علـــــي الـــــذهب
وأجلهـــــــا عروســـــــاً *** توجـــــت مـــــن الشـــــهب
تطلـــــــع الشموســـــــا *** فـــــي ســـــناء مـــــن اللهـــــب
فلهـــــا مزيـــــة فـــــي *** الـــــدجى علـــــي القـــــبس
بحلـــــــي شيـــــــة *** كمحاســـــــن اللعـــــــس
مخبـــــــر ســـــــناها *** عـــــن تطـــــاير الشـــــرر
فـــــاز مـــــن جناهـــــا *** مـــــن قلائـــــد الـــــدرر
فـــــإذا تنـــــاهى *** فـــــي الخلائـــــق الغـــــرر
قلـــــت: ظهريـــــه *** أظهـــــرت لملـــــتمس

(١) فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٥٩ .
(٢) معجم الأدباء ج ١٦ ص ٣٠٩ .

مـــــن عـــــلا أبيـــــه *** مـــــا تنـــــال بـــــالخلس

ويقول ابن قسيم في وصفها أيضاً[1]:-

بـــاكراً شـــمس القنـــاني *** تـــدركا كـــل الأمـــاني

وخـــذا فـــي لـــذة العيـــ *** ـــش علـــي رغـــم الزمـــان

مـــن عقـــار تبعـــث النجـــ *** ـــدة فـــي قلـــب الجبـــان

قـــوة ألبســـها المـــز *** ج قميصـــاً مـــن جمـــان

فهـــي مـــن أبـــيض صـــاف *** لاح فـــي أحمـــر قـــان

فهي عقار تبعث الشجاعة في قلب الجبان ، وهي قهوة ملبسها قميص من ذهب ويتابع الأوصاف بعد ذلك ، فهي بياض صاف لاح في أحمر قان ، أو كخدود ورد . ومن الشعراء الذين وصفوا الخمر أيضاً ابن سبط التعاوذي قائلاً[2]:-

أَدِر كَـأسَ المُـدامِ عَلَـيَّ صِـرفاً *** وَلا تُفسِـد كُؤوسَـكَ بِـالمِزاجِ

فَقَـد حـانَ الصَـبوحُ وَحَـنَّ قَلبـي *** إِلـى عَـذراءَ تَـرقُصُ فـي الزُجـاجِ

وَدونَـكَ فَـاِقتَبِس بِالرَطـلِ مِنهـا *** سَـناً يُغنيـكَ عَـن ضَـوءِ السِـراجِ

فَهـاذا الـديكُ مِـن طَـرَبٍ يُنـادي *** وَيَخطُـرُ بَـينَ إِكليـلٍ وَتـاجِ

ونخلص بالقول إن شعر الخمر لم يكن عاماً على الإطلاق، وأيضاً تلك الديارات لم تكن مواضع للمجون فقط، بل حوت في أغلبها خزانات للكتب، يجد فيها الرهبان ما ينشدون من التآليف التي تتناول موضوعات دينية أو أدبية وعملية مختلفة.

---

(١) خريدة القصر ، ج ١ ص ٤٧٦ .

(٢) ديوان سبط التعاويذي ص ١٥ .

المبحث الثالث
شعـــــر الفخـــر

الافتخار هو المدح نفسه إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه[١] وهو من أقدم موضوعات الشعر العربي ، لأنه يعبر عن نظرة الإنسان في حبه لذاته وإيثاره لقومه ، كما أنه كثير أيضاً لأنه يستوعب حب العربي الفطري للحرية والعزة والأنفة والإباء وصيانة ماء الوجه والقناعة والعفة والشرف وعدم الاستكانة للضيم ، واستمر الفخر في الشعر العربي ، يتطور ويختلف من عصر إلي عصر قلة أو كثرة ، كما أن معانيه قد تطورت أيضاً بتحويل حياة العرب نفسها .

وإذا جئنا إلي الصفات التي رددها شعراء القرن السادس الهجري في المشرق في مفاخرهم الذاتية نجدهم امتاحوا تلك الصفات من الموروث عن التراث العربي الذي ردده الشعراء السابقون ، ومن خلال دراستنا لهذا الاتجاه الشعري يمكننا أن نحدد نوعين من أنواع الفخر . فخر ذاتي ونقصد به فخر الشاعر بنفسه ، وما صف به شجاعته وبأسه في المعارك والحروب .

يقول أسامة بن منقذ في ذلك[٢]: –

أنَا تاجُ فُرسانِ الهِيَاجِ ومَن بِهِمْ *** ثَبتتْ أوَاخِي مُلكِ كلِّ مُتوَّجِ
قومٌ إذا لَبِسُوا الحَدِيدَ عجِبْتَ مِن *** بَحرٍ تدافَعَ في لَظىً مُتوهِّجِ
صُبُرٌ إذا ما ضاقَ مُعتَركُ القَنا *** فَرجَتْ سيوفُهمُ مَضِيقَ المنْهَجِ
وإذا رجوتَهُمُ لنصرٍ صدَّقُوا *** بعظيمِ بأسهِمُ رجاءَ المُرتجِي

---

(١) العمدة ج ٢ ص ١٤٣ .

(٢) ديوان اسامة بن منقذ ص ٢٥٩ .

ويلقي نفسه في المخاطر دون أن العواقب وهو ابن خمس عشر يخوض المعارك ويفري بصارمه الهمام[١]: –

لخمسَ عشرةَ نازلتُ الكُماةَ إلى *** أن شبتُ فيها وخيرُ الخيلِ ما قَرَحَا
أخوضُها كشهابِ القَذْف مبتَسِماً *** طلْقَ المُحيّا ووجهُ الموتِ قد كَلَحَا
بِصارِمٍ من رآهُ في قَتامٍ وغَىً *** أفْرِي به الهامَ ظنَّ البرقَ قد لَمَحَا
أغدُو لنارِ الوغَى في الحرب إن خَمدَت *** بالبِيضِ في البَيْضِ والهاماتِ مُقتَدِحَا
فَسَلْ كُماةَ الوغَى عنّي لِتَعلم كم *** ضَرْبٍ كشفتُ وكم ضِيقٍ بيَ انْفَسحَا

وعلي الرغم مما نزلت به من كوارث وخطوب وما يحيط به من نكبات ، فهو صلب ، وثابت لا يتخاذل ولا تلين له قناة[٢]:

من جَامِحِ العَزَماتِ لا *** يَرضَى على هُونٍ مُقَامَهْ
وقَّعنَ غَارِبَه الخُطوبُ *** ولم يزل يأبَى الظُّلاَمَهْ
يا بن الخَضارِمَةِ الكِرامِ *** أولي المكارِمِ والكَرامَهْ

والإنسان حين يفخر لا بد له من أن يشعر بعظمة ذاته وعراقة أصله، وحاجة المجتمع إليه واستغنائه عنه ، ومن ثم يستطيع أن يسبك هذه العاطفة ، في قصائد يبدي فيها العلا والكرامة والأنفة والرفعة ، وفي ذلك يقول ابن العديم[٣]:

سألزمُ نفسي الصفحَ عن كل من جنى *** عليَّ وأعفو حسبة وتكرُّما

(١) ديوان اسامة بن منقذ ص ٣٣٠
(٢) المرجع السابق ص ٢٦٠ .
(٣) معجم الأدباء ج ١٦ ، ص ٥٤ – ٥٥ .

وأجعـل مـالي دون عرضـي وقايـة *** ولـو لـم يغـادر ذاك عنـدي درهمـا
وأسـلك آثـار الألـى اكتسـوا العلـى *** وحـازوا خـلال الخيـر ممـن تقـدما
أولئـك قـومي المنعمـون ذوو النهـى *** بنـو عـامر فأسـأل بهـم كـي تعلمـا

ومن ذلك أيضاً يقول الأبيوردي[1]:

ومَـنْ رامَ مـا أسْمُـو إلَيْـهِ أزارَهُ *** صَـوارِمَ تَـرْوى بالنّجيـعِ ظِماؤُهـا
وطُـلاّبِ مَجْـدٍ دونَ مـا يَبْتَغونَـهُ *** أعـالِي رُبـاً لا يُسْـتَطاعُ امْتِطاؤُهـا
عَلَوْنـا ذُراهـا كالبُـدورِ تألّقـتْ *** فجَلّـى دَيـاجِيرَ الظّـلامِ ضِـياؤُها
ونحـنُ مُعـاوِيّونَ يَرْضـى بِنـا الـوَرى *** مُلوكـاً وَفينـا مِـنْ لُـؤَيٍّ لِواؤُهـا

والشاعر يلج بالفخر في الحالات التي يضام فيها ، وتضع عليه حقوقه وتغمط خدماته ويزهد في كفايته ، أو بكلمة أدق عندما يمس طماحه بسوء يقول الطغراي في ذلك عندما عزل من منصبه[2] :

أصـالةُ الـرأي صـانتْنِي عن الخَطَـلِ *** وحِليةُ الفضلِ زانتني لدَى العَطَلِ
مجـدي أخيـراً ومجـدِي أوّلاً شَـرَعٌ *** والشمسُ رأْدَ الضُحَى كالشمسِ في الطَفَلِ

أما ابن سناء الملك فهو لا يرهب الدهر مهما ناصبه العداء ، بل ولا يخاف الموت الزؤام إذا عدا عليه ، بل الدهر لو حاول أن يمد له يداً لينال منه لرد اعتداءه بالاعتداء مثله وعزمه المتوقد يحيل الماء البارد جمراً متقداً ، وحلمه البالغ يفل حد السيف ، ويحتقر الناس احتقاراً شديداً لأن من لم يتحل

(١) ديوان الأبيوردي ص ،ج ٢ ، ص ٥٨٦.
(٢) الطغرائي حياته وشعره ، ص ٦٨ .

بمثل صفاته وسؤدده فلا قيمة له . وإن إباءه الشديد ليأبى إلا أن يراه متربعاً فوق هامة الناس[1].

سِوَايَ يَخَافُ الدَّهْرَ أَو يَرْهَبُ الرَّدى *** وغيــرِي يَهْــوَى أَنْ يَكــونَ مخلَّــدَا
ولكنَّنــي لا أَرْهَـبُ الـدهرَ إِنْ سَـطَا *** ولا أَحْــذَرُ المــوتَ الــزُؤَامَ إِذَا عَــدا
ولو مدَّ نحوي حادِثُ الدهرِ طَرْفهُ *** لحــدَّثت نَفْسِــي أَنْ أَمُــدَّ لَــهُ يَــدا
توقُّــد عَزْمِــي يتــركُ المــاءَ جَمْــرَةً *** وحِلْيَــةُ حِلْمــي تَتْــرُكُ السَـيْفَ مبْـرَدَا

ومن شعراء القرن السادس الهجري من يفخر بعلمه ، وشاعريته، ذاكراً مقدرته في نظم الشعر وأنه أشعر الفقهاء وافقه الشعراء شعره يرويه الناس طبعاً لا تكلفاً وفي ذلك يقول الأرجاني [2]: –

أنــا أشــعَرُ الفُقهــاء غيــرَ مُـدافَعٍ *** فــي العَصْــرِ أو أنــا أَفقَــهُ الشــعراء
شِـعْري إذا مـا قلـتُ يَرويـه الـورى *** بالطّبْــــعِ لا بتَكلــــفِ الإلقــــاء
كالصّوتِ في ظُلَلِ الجبالِ إذا علا *** للسّــمْع هــاجَ تجــاوبَ الأصــداء

فهو يفخر بشاعريته ذاكراً ، مقدرته في نظم الشعر وأنه أشعر الفقهاء، وشعره يرويه الناس طبعاً لا تكلفاً فشعره صوت يجلجل في رؤوس الجبال ويتجاوب الأصداء ويرى أن قيمته لا ترتبط بالثروة لأنها عرض زائل، ولكن قيمته ترتبط بفضائل علمه وعزته[3].

وما ضرني أن كنت رب فضائل *** وعلـم عزيـز الـنفس حـراً معظمـاً

(١) ديوان ابن سناء الملك ،ج ٢ ، ص ٥٥٩ .
(٢) ديوان الأرجاني ، ص ١٥ .
(٣) ديوان الارجاني ، ص ١٧ .

إذا عـدمت كفـاي مـالاً وثـروةً *** وقـد صـنت نفسـي أن أذل وأحرمـا
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي *** لأخـدم مـن لاقيـت لكـن لأخـدما

ويقول الطغرائي مفتخراً بعمله وعلمه وتخصصه في الكيمياء[1]:

أمـا العلـومُ فقـد ظَفِـرْتُ ببغْيتـي *** منهـا فمـا أحتـاجُ أنْ أتعلَّمَـا
وعرفـت أسـرارَ الخليقـةِ كلَّهـا *** عِلمـاً أنـارَ لـيَ البهـيمَ المُظلمـا
وورثـتُ هُـرْمُسَ سِـرَّ حكمتِـه الـذي *** مـا زال ظنّـاً فـي الغيـوب مرجَّمـا
وملكـتُ مفتـاحَ الكُنـوزِ بفطنـةٍ *** كشَـفتْ لـيَ السـرَّ الخفـيَّ المُبْهَمـا

وقال في قصيدة أخرى مفتخراً بعلمه أيضاً[2]:

ألا إنَّ عِلماً بين جنبيَّ مودَعاً *** يُضِـيءُ ورائـي نـورُه وأمـامي
أثارةُ علمِ الصادقينَ وما أتتْ *** بـه الرُّسْـلُ فيـه بُـرْءُ كـلِّ سَـقامِ
مفاتيحُ علمِ اللّهِ في الأرض من تَفُزْ *** بهـا يـدُه يظفَـرْ بكـلِّ مَـرامِ
فإنْ عشتُ أحوِ المُلكَ لم يحوِ مثلَهُ *** يـدا ملـكٍ فـي العـالمينَ هُمـامِ
وإن مُتُّ من قبلِ الوصولِ بحسرةٍ *** فكـم حسـراتٍ فـي نفـوسِ كـرامِ

(١) معجم الأدباء ، ج١٦ ، ص٥٣ .
(٢) الطغرائي حياته وشعره، ص٦٦

المبحث الرابع
شعر الشكوى والحنين

إن الحالة الاجتماعية التي أشار إليها الباحث في تمهيد هذا البحث ، وما أحدثته من فوارق كثيرة في طبقات المجتمع ، من حيث الغنى والثراء والترف في جانب ومن جانب آخر الفقر والجوع ، والحالة السياسية وما عاشت فيه ، من تقلبات وثورات ، وعدم استقرار ، وما طفحت به من ظلم وتعذيب كل ذلك أحدث في النفوس قلقاً وعدم اطمئنان ، فعبرت عنه النفوس الحساسة نفوس الشعراء والذين عكسوا هذا الإحساس في شكل شكوى ، وكان وتر الشكوى من الزمن وأحواله وتقلباته ونوائبه ورزياه من نكد الحظوظ وبؤس الحياة شروداً دائماً إلي غيثارات الشعراء يتغنون عليه آلامهم وأحزانهم ، وما يصيبهم من شر الحياة ونكرها ومن ضعة الحظوظ التي كتبت عليهم فيها ومن نزول المصائب التي تعصف بهم[1]. وقد اتخذت شكوى الدهر عند شعراء القرن السادس الهجري في المشرق أبعاداً عديدة وأشكالاً مختلفة ، فقد يشكو الشاعر الغربة والفراق والبعد عن الأوطان ، وقد يلعن الدهر ونكباته وتقلبات لياليه وبالتبرم بالجوع والفقر، وندب الشباب الضائع والعمر الآفل ، ويشكو جحيم الآخرين ويشكون السجن والمنفى .

(١) عصر الدول والأمارات ، شوقي ضيف ، ص ٢٢٥ .

أولاً : شكوى الغربة والحنين الي الأوطان : –

يظل الشاعر في كل عصر من العصور يتمزق قلقاً وإحساساً بالغربة، والملاحظ أن أشعار الشكوى من الغربة ومعاناة الارتحال عند شعرائنا تمتزج في بعض الأحيان بوصف حنينهم إلي أوطانهم ، وتشوقهم إلي مرابع أهلهم وخلانهم ، ومن ذلك نرى قول الطغرائي[١]: –

فيمَ الإقامُة بالزوراءِ لا سَكَني *** بها ولا ناقتي فيها ولا جَملي
نَاءٍ عن الأهلِ صِفْرُ الكفِّ منفردٌ *** كالسيفِ عُرِّيَ متناهُ من الخَلَلِ
فلا صديقَ إليه مشتكَى حزَنِي *** ولا أنيسَ إليه منتَهى جذلي
طالَ اغترابيَ حتى حنَّ راحلتي *** ورحُلها وقرَى العَسَّالةِ الذُّبلِ

إنه غريب في بغداد ، وأن له وطناً غيرها ، ويعدد مظاهر الشكوى من الغربة والارتحال فلا صديق يشتكى إليه حزنه ، ولا أنيس يلوذ به .

ونرى من ذلك قول القاضي الرشيد بن الزبير[٢]: –

ونزلت مقهور الفؤاد ببلدة *** قل الصديق بها وقل الدرهم
في معشر خلقوا شخوص بهائم *** يصدا بها فكر اللبيب ويبهم
إن كورموا لم يكرموا أو علموا *** لم يعلموا أو خوطبوا الم يفهموا
لا تنفق الآداب عندهم ولا الـ *** إحسان يعرف في كثير منهم
صم عن المعروف حتى يسمعوا *** هجر الكلام فيقدموا ويقدموا
فالله يغني عنهم ويزيد في *** زهدى بهم ، ويفك أسرى منهم

---

(١) الطغرائي حياته وشعرة ص ٧٠ .

(٢) معجم الأدباء ، ج٤، ص ٥١.

فهو مقهور الفؤاد ، في بلدة لا صديق بها ، ولا مال ، في معشر خلقوا في شخوص البهائم .

ومن شعر الغربة في شعر أسامة بن منقذ الذي كان الترحال دأبه في حياته[١]:

أهكَـذا أنَـا بَـاقِي العمـرِ مُغتـرِبٌ *** نَـاءٍ عـن الأهـلِ والأوطـانِ والسّـكَنِ
لا تَسـتقرُّ جِيَـادِي فـي مُعَرَّسِـها *** حتّـى أُرَوِّعَهـا بالشّـدّ والظّعَـنِ

فقد عانى الشاعر كثيراً من كثرة الترحال والغربة والنأي عن الأهل والأوطان فهو دائماً في ترحال ، ومن أشعاره أيضاً في الاغتراب [٢]:

أيـنَ السّـرورُ مـن المُـروَّعِ بـالنّوى *** أبـداً فَـلا وَطـنٌ ولا خُـلاّنُ
عِيـدُ البَرِيَّـةِ مَوسِـمٌ لِعَويلِـهِ *** وسُـرورُهُمْ فيـه لَـهُ أحـزانُ
وإذَا رأى الشّملَ الجميعَ تَزاحمتْ *** فـي قَلبـه الأمـواهُ والنّيـرانُ

تبدأ هذه الأبيات بهذا التساؤل الحزين :

أيـن السـرور فـي المـروع بـالنوى *** أبـداً ، فـلا وطـن ، و لا خـلان

إن الشمل الجميع ، من هذه الزاوية يثير الشجون والأحلام للتوق إلي حالة سوية من الألفة والاستقرار بعيداً عن صحراء الاغتراب والوحدة .

يقول ابن عنين في ذلك[٣]: –

حَنينٌ إلى الأَوطانِ لَيسَ يَزولُ *** وَقَلـبٌ عَـنِ الأَشـواقِ لَـيسَ يَحـولُ

---

(١) ديوان اسامة بن منقذ ص ١٥٤ .
(٢) ديوان اسامة بن منقذ ص ٥٤ .
(٣) ديوان ابن عنين ص ٧١ .

أَبيــتُ وَأَســرابُ النُجــومِ كَأَنَّهــا *** قُفــولٌ تَهــادى إِثــرَهُنَّ قُفــولُ
أُراقِبُهــا فــي اللَيــلِ مِـن كُـلِّ مَطلَـعٍ *** كَــأَنّي بِرَعــيِ الســائِراتِ كَفيــلُ
فَيا لَكَ مِن لَيلٍ نَأى عَنهُ صُبحُهُ *** فَلَــيسَ لَــهُ فَجــرٌ إِلَيــهِ يَــؤولُ

هذا حال الشاعر وهو في اليمن ينبض قلبه باللوعة والحسرة ويأثر فيه الشوق الدفين ويتشوق منها إلي أرض الشام ونراه يقول أيضاً[1]:

أَإِن حَـنَّ مُشـتاقٌ فَفاضَـت دُموعُـهُ *** غَـدَت عُـذَّلٌ شَـتّى حَوالَيــهِ تَعكُـفُ
وَمـا زالَ فـي النـاسِ المَـوَدَّةُ وَالوَفـا *** فَمـا لـي عَلـى حِفـظِ العُهـودِ أُعَنَّـفُ
نَعَـم إِنَّــي صَــبٌّ مَتــى لاحَ بــارِقٌ *** مِـنَ الغَـربِ لا تَنفَـكُّ عَينــيَ تَـذرِفُ
وَما قيلَ قَد وافى مِنَ الشامِ مُخبِرٌ *** عَـنِ القَـومِ إِلّا أَقبَـلَ القَلــبُ يَرجِـفُ
وَأُعـرِضُ عَـن تَسـآلِهِ عَنـكَ خيفَـةً *** إِذا خَـــفَّ كُـــلٌّ نَحـــوَهُ يَتَعَـــرَّفُ

يقول ابن النضر[2][3]:

يـا دار مـا أنـت لـي داراً ولا وطنـاً *** ولا قطينــك لــي أهــلاً ولا ســكناً
لـئن تنكـرت لـي عمـا عهـدت لقـد *** خربــت فيــك الــذي عمرتــه زمنــاً
أتشـكين لبـين حـم عـن بلـد نفسـى *** تــرى الــذل فــي أن تســكن البــدنا

ثانياً : الشكوى من الدهر وأهله: –

ليست شكوى الدهر جديدة في الأدب العربي فقد اشتكى منه شعراء الجاهلية والإسلام ووقفوا منه موقف العداء والصدام فالمعركة دائمة أزلية بينهما

---

(١) ديوان ابن عنين ص ٨٣.

(٢) ابن النضر : هو القاضي أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن النضر من شعراء القرن السادس الهجري كان نحوياً وأديباً ، (بقية الوعاء ، ص٤٠) .

(٣) خريدة القصر ،ج٢، ص٩٠ .

والإنسان هو المهزوم الوحيد منها والخاسر الضعيف أمام بطش الزمن وجبروته وإذا التفتنا إلي قصائد شعرائنا في شكوى الدهر ، فإننا نجدها مشبعة بالأنين و الآهات مثقلة بالآلام والصرخات نتيجة ما جرته عواديه علي أصحابها من أحن ومحن وأهوال وخطوب فأخذوا يندبون ضعة حظهم ، من هذا الدهر والناس يقول ناصح الأرجاني في ذلك [١]: –

ولمّا بَلَوْتُ النّاسَ أطلُبُ منهمُ *** أخا ثقةٍ عندَ اعتراضِ الشَّدائد
تَطلّعْتُ في يَوْمَيْ رخاءٍ وشِدَّةٍ *** ونادَيتُ في الأحياءِ هل مِن مُساعد
فلم أرَ فيما ساءني غيرَ شامتٍ *** ولم أرَ فيما سَرَّني غيرَ حاسد

فالشاعر اختبر قومه في الشدة والرخاء ، ولكنه لم يجد منهم إلا الإساءة والشماتة ، والحسد فما يسره ، فعاد معتمداً علي نفسه يطلب النجاح بهمته فها هو يشكو بني قومه[٢]:

لَيسَ التَعَجّبُ إلا مِن بَني زَمَن *** لَم يَنزَعِ المُلكُ عَنهُم بُردَةَ اللُوَّمِ
هُم عَلَّموا الدَهرَ غَدراً مِن شَمائِلِهِم *** جَمَّ الطَرائِقِ مِن بادٍ وَمَكتومِ
حَتّى اِقتدى بِهِمُ فيهِم فَأَهلَكَهُم *** وَقَد يَبُذُّ إماماً شَأوُ مَأمومِ

ويتمنى الشاعر ابن منير الدين الطرابلسي ، أن يعدم الدهر الذي ولد فيه فقد سقاه هذا الدهر مر الحياة ، فاعترته الهموم ، وفقد الثقة في أقرب الأصدقاء إليه ، ويود الشاعر لو قيض الله له صديقاً يصطفيه دون سائر الناس فيقول[٣]:

---

(١) ديوان الارجاني ، ج ١ ، ص ٩٧ .
(٢) ديوان الأرجاني ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ .
(٣) تاريخ دمشق ص ٩٩ .

عَـــدِمْتُ دَهْـــراً وُلِـــدْتُ فيـــه *** كَـــم أَشـــربُ المُـــرَّ مِـــن بنيـــه
مـــا تَعتَرينـــي الهمـــومُ إلّا *** مِـــن صـــاحِبٍ كُنـــتُ أَصـــطَفيه
فَهـــل صَـــديق يُبَـــاعُ حتّـــى *** بِمُهجَتـــي كُنـــتُ أَشتَـــريه
يكـــون فـــي قلبـــه مِثَـــالٌ *** يشـــبه مـــا صـــاغ لـــي بفِيـــه
وكـــم صـــديقٍ رَغِبْـــتُ عنـــه *** قـــد عِشْـــتُ حتـــى رَغِبْـــتُ فيـــه

ويقول الابيوردي في ذلك[1]: –

فسَـدَ الأنـامُ فكُـلُّ مَـنْ صـاحَبْتُهُ *** راجٍ يُنـــافِقُ أو مُـــداجٍ خـــاشِ
وإذا اخْتَبَـــرْتُهُمُ ظَفِـــرْتُ ببـــاطِنٍ *** مـــتجهِّمٍ وبِظـــاهِرٍ نَشّـــاشِ

ومع فساد الزمان واضطرابه ، تضطرب المعايير وتنهار الأخلاق وتتفشى الأمراض في المجتمع ، كالاستخفاف بالعلم والعلماء ، والتحلل من القيم الدينية وشيوع الفاقة ، وانعدام الأمل في الإصلاح . من ذلك قول أبي الفوارس[2]:

وددت بأن الدهر ينظر نظرة *** بعين جلا عنها الغاية نورها
إلي هذه الدنيا التي قد تخبطت *** وجنت فساس الناس فيها حميرها
فينكر ما لا يرتضيه محصل *** ويأنف أن تعزي إليه أمورها

فقد أبغضت فيها الجسوم نفوسها ملالاً ، وضاقت بالقلوب صدورها[3]

---

(١) ديوان الابيوردي ،ج ١ ، ص ١٩ .

(٢) الحيص بيص (٤٩٢ – ٥٧٤ هـ) هو سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي التميمي أبو الفوارس. شاعر مشهور من أهل بغداد كان يلقب بأبي الفوارس نشأ فقيهاً وغلب عليه الأدب والشعر وكان يلبس زي أمراء البادية ويتقلد سيفاً ولا ينطق بغير العربية الفصحى. له (ديوان شعر – ط) .وفيات الأعيان، ج١، ص٢٠٢.

(٣) خريدة القصر ، ج ٢ ، ص٤٥٩.

يتحدث الشاعر عن انحلال القيم في عصره ، وكيف أثر ذلك في نفوس الناس ، حتى غدوا يعيشون تحت وطأة القلق والضيق .

ويقول ابن الزاهد الدمشقي[١] في ذلك[٢]: –

عجبت لمعشر في الناس سادوا *** فنالوا بالجهالة ما أرادوا
شروا باللؤم ذماً فاستفادوا *** ألوف المال لكن ما أفادوا
فما جادوا علي حر ولكن *** علي العواد والقواد جادوا

يتحدث الشاعر ، عن سيادة الجهال علي الناس واكتسابهم للأموال، وإنفاقها علي الفساد وتدبيرهم للأمور علي غير هدى وبصيرة .

من شعر شكوى الدهر ذلك الشعر الذي يندب تقدم العمر والوهن والعجز يقول أسامة بن منقذ في ذلك[٣]: –

إن ضعُفَتْ عن حملِ ثِقلِي رجْلِي *** ورَابَني عِثارُها في السَّهلِ
أمشي كما يمشي الوَجِي في الوَحْلِ *** مَشْيَ الأسيرِ مُثقَلاً بالكَبْلِ
فللعَصَا عِنديَ عُذْرُ المُبلِي *** إن عَجزتْ أوْ ضعُفت عن حَمْلي

فالشاعر تنبو عصاه ، وتخونه رجلاه حين يحاول صعود الحزون فيمشي كما يمشي الوجي الوحل أما ظهره فقد تقوس ويغدو كالقوس يمشي وعصاه التي تتقدمه هي الوتر القائم [٤]:

إذا تقوَّسَ ظهرُ المرءِ من كِبَرٍ *** فعاد كالقوسِ يمشي والعصَا الوترُ
فالموتُ أروحُ آتٍ يستريحُ بِه *** والعيشُ فيه لهُ التَّعذيبُ والضَّررُ

---

(١) هو أبو الحسن علي بن عبد الصمد الرازي الأصل ثم الدمشقي من رجال القرن السادس (الاعلام ج ٢ ، ص ١٥٥) .

(٢) أبو الحسن عقود الجمان في تاريخ أهل الزمان ، مكتبة أسعد أفندي ، ب ت ، ج ٥ ، ص١٢٢.

(٣) ديوان اسامة بن منقذ ص ٢٧٢.

(٤) ديوان أسامة بن منقذ ، ص ٢٦٠ .

الفصل الرابع
الصـــورة الفنيـة

المبحث الأول : اللغة والأسلوب

المبحث الثاني : الموسيقي والأوزان

المبحث الثالث : الصورة الشعرية

المبحث الأول
اللغة والأسلـــوب

أولاً: اللغة:

تعتبر اللغة عنصراً أساسياً ومهما في العمل الفني فهي الأداة التي يشكل بها الشاعر فنه والمادة التي يخلق منها كائنا حيا ينبض بالحياة[١] فإذا هي ذات وظيفة أساسية تعبر عن عواطف وانفعالات وإثارة للمشاعر .

ويرى الدكتور عز الدين أسماعيل إن للغة عبقرية وهى تعنى عنده أن يكون للغة الواحدة طبيعتها الخاصة وخصائصها الجوهرية التي تعيش بها في المجتمع تتفاعل معه وتؤدى حاجاته الفكرية والروحية[٢].

فاللغة تكاد تولف جوهر الشعر ولا عجب إذن إن حظيت لدى القدماء بالعناية والاهتمام فمازال القدماء والمحدثون يهتمون بها باعتبارها عنصراً فعالاً في العمل الأدبي سواء كان في الشعر ام النثر[٣].

وعند دراستنا للغة الشعر فى القرن السادس الهجري نلحظ أن هناك نوعين من الشعر لكل منهما خواصه وميزاته أحدهما ذلك الذى يقوله الشعراء عندما يريدون إرضاء غيرهم من الناس حينئذ نراهم يتأثرون بفحول الشعراء فى لغتهم ومعانيهم وهذا النوع يشمل شعر المديح وبعض شعر الرثاء .

والنوع الآخر هو ذلك الذى يقولونه عندما يريدون إرضاء أنفسهم ولا يهمهم إرضاء الممدوح ، فحينئذ نراهم يتركون أنفسهم علي سجيتها ويميلون إلي استعمال اللغة السهلة والسايرة العامة بالتنزل إلي لغتهم ومعانيهم العامية مع

---

(١) قضايا النقد القديم والحديث ، محمد زكي العشماوي ، دار العلوم ، د ت ، ص ٩٢ .

(٢) الأسس الجمالية في النقد الأدبي ، دكتور عز الدين اسماعيل ، دار الفكر العربي ، ط ١ ١٩٥٥م، ص ٣٣

(٣) المصدر السابق ص ٤٥ .

حرصهم علي البديع خاصة التورية و الجناس ونلاحظهما في شعر الغزل والخمر والهجاء وقد عبر الشعراء عن هذين اللونين في أشعارهم . وفي الغالب الأعم لم تخرج لغة الشعر في ذلك القرن عن الشروط التي اشترطها النقاد القدامى وهي أن يكون الكلام جزلاً سهلاً بعيداً عن العامية ولا تدخله الكلمات الصعبة ، فجاءت لغة الشعر متناسبة مع الموضوع الذي يطرقونه .

المعجم الشعري :

يراد بالمعجم الشعري قائمة الكلمات التي تردد بنسب مختلفة أثناء النص ، فتردد بعض الكلمات بصيغة واحدة أو بصيغة ذات دلالة واحدة لابد أن تؤدي الي دلالة ما ، لذلك كان المعجم الشعري أو الفني مرشداً لهوية النص(١)، يقول الجرجاني في ذلك " بكل من معاني الشعر نوع من اللفظ هو به أحق وأولى ، وضرب من العبارة هو بتأديته أقوم وهو فيه أحلى"(٢) وعلي ضوء ذلك فقد عمد شعراء القرن السادس الهجري إلي مجموعة من الكلمات والألفاظ مع الموضوع الذي يطرقونه ، فحينما يتحدثون عن شعر الجهاد أو الحماسة ، نجدهم يكثرون في أثنائه من الألفاظ والمصطلحات الإسلامية مثل الشرك ، الإيمان ، و الجهاد وغيرها ، ولم يقتصر الأمر علي ذلك بل رأينا بعض شعراء هذا الاتجاه يذكرون النصرانية واليهودية للمقارنة، وبيان أفضلية الدين الإسلامي علي سائر الأديان ونورد بعض النماذج علي سبيل المثال لا الحصر :

فابن منير الطرابلسي يمدح نور الدين ويكثر من الأسماء الإسلامية والمصطلحات القرآنية ، النفاق ، النار(٣):

يا نورَ دينِ اللَّهِ وَابنَ عِمادِهِ *** والكوثَرَ ابنِ الكَوثَرِ اِبنِ الكَوثرِ

---

(١) تحليل الخطاب الشعري ، د . محمد مفتاح ، دار التنوير بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٥م ، ص ٥٨ .

(٢) الرسالة الشافية ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن للجرجاني تحقيق محمد خلف الله ود . محمد زغلول سلام ، دار المعارف القاهرة ، د ت ، ص ١٠٧ .

(٣) الروضتين ج ١ ص ٨٧ .

صَـفِّر بِحَـدِّ السـيفِ دارَ أَشـائِبٍ *** عَقلوا جيادَكَ عَن بناتِ الأصفَرِ
هُم شَـيّدوا صَـرْحَ النّفـاقِ وَأَوقَـدوا *** نـاراً تَحُـشّ بِهـم غَـداً فـي المَحشَـرِ

ويقول ابن القيسراني[1]: –

سـمت قبـة الإسـلام فخـراً بطولـه *** ولـم يـك يسـمو الـدين لـولا عمـاده
وزاد قسـيم الدولـة ابـن قسـيمها *** عــن الله مــالا يســتطاع زيــاده
لـيهن بنـي الإيمـان أمـن ترفعـت *** رواســيه عــزاً واطمــأن مهــاده

ولأن الشعراء يعيشون واقعهم ، فقد دخلت بعض الألفاظ والمصطلحات الأعجمية في شعر الجهاد والحماسة الدينية فالشاعر إذا تحدث عن بطولات عماد الدين ونور الدين وصلاح الدين ومواقفهم القيادية أمام الصليبيين فلا بد له من ذكر الأسماء والألقاب من القادة الأعداء مثل : البرنس ، والقمص ، والريد ، والزم .

ومن الألقاب التي برزت في الشعر " البرنس " الذي حاربه نور الدين طويلاً حتى ظفر به وأبو الفضل الجلياني[2] يكثر من تلك الأسماء[3]:

تَرى المَنسِرَ الديوي يُلقي سِلاحَهُ *** وَيَنسـاقُ مـا بَـينَ السَـبايا مُلَهَّـدا

---

(١) الروضتين ،ج١، ص٣٧.

(٢) عبد المنعم الجلياني / ٥٣١ – ٦٠٢ هـ عبد المنعم بن عمر بن عبد الله الجلياني الغساني الأندلسي أبو الفضل . شاعر أديب متصوف، كان يقال له حكيم الزمان، من أهل جليانة وهي حصن من أعمال (وادي آش) بالأندلس.انتقل إلى دمشق وأقام فيها له مدائح كثيرة ، أشهرها قصائده (المدبجان – خ) العجيبة في أسلوبها وجداولها وترتيبها أتمها سنة ٥٦٨ هـ وتسمى روضة المآثر والمفاخر في خصائص الملك الناصر) وله عشرة دواوين بين نظم ونثر، وشعره حسن السبك فيه جودة. وتوفي بدمشق .

(٣) الروضتين ج ١ ، ص ١١٧ .

يُبــاعونَ أَســراباً شَــرائِحَ أَحبُــلٍ *** كَشَــلَّةِ عُصــفورٍ مِــنَ الــريشِ جُــرِّدا
فَتَلَقّــى نَصــارى جَلَّــقٍ فــي مَــأتَمٍ *** يُسَــــرّونَها إلّا شَــــجىً وَتَنَهُّــــدا

ويقول عماد الأصفهاني في ذلك [١]: –

نســفتَ بــهِ رأْسَ البــرِنْسِ بضــربةٍ *** فأشــبهَ رأســي رأْسَــهُ العهْـنَ والبُرْسـا
تبــوّغَ فــي أَوداجــهِ دمُ بغيــهِ *** فصــالَ عليــه السّـيفُ يلحسُــهُ لحسـا

وكذلك عند ابن القيسراني[٢]:

أَرى القَــسَّ يأْمُــلُ فَــوْتَ الرِّمــاح *** ولا بــــدَّ أَنْ يُضْــــرَبَ الســــابل
يُقــــوّي مقاعِلــــهَ جاهِــــداً *** وهــــل عاقِــــلٌ بَعْــــدَها عــــاقِل

ونرى بعض الشعراء يذكر أسماء وألقاب الجنس التركي . يقول ابن سناء الملك [٣]:

بدولة التُّركِ عزَّت ملَّةُ العربِ *** وبابن أَيّوبَ ذلَّت شيعةُ الصُّلب
وفي زمانِ ابن أَيوبٍ غَدتْ حلبٌ *** من أَرض مصرَ وعادت مصرُ من حلبِ

وحينما يتحدثون عن المدح نجدهم يحشدون الألفاظ الدالة علي الكرم والجود والعطــاء ، وعلــو المنزلــة ، وفــي ذلــك أبيــات الشــاعر ابــن الــدهان[٤]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٠ .

(٢) ذيل مرآة الزمان ، ج ٢ ، ص ٢٣ .

(٣) ديوان ابن سناء الملك ، ج٢، ص٣٠

(٤) ابن الدهان ٥٢١ – ٥٨١ هـ هو عبد الله بن أسعد بن علي أبو الفرج مهذب الدين الحمصي.شاعر من الكتاب الفقهاء ولد في الموصل وأقام مدة بمصر ثم انتقل إلى الشام. فولي التدريس بحمص وتوفي بها. ولديوانه أهمية تاريخية أدبية:أما التاريخية: حيث كانت في عصره الحروب الصليبية التي هزت العالم الإسلامي وانتصار صلاح الدين الأيوبي عليهم فسجلها ديوانه أعظم تسجيل. الأدبية: شعره لا تكلف فيه وصرف شعره في كل الأوجه من مديح وفخر ورثاء وشكوى وغزل.وديوان شعره مطبوع. له كتاب (شرح الدروس –خ).

في مدح صلاح الدين[١]:

وَلَو اِستَطعت سَقيته سَيلَ الحِبا *** مِن كَفِّ يُوسُف بالأدر الأَنفعِ
بندى فَتىً لَو أَنَّ جودَ يَمينه *** لِلغَيثِ لَم يَكُ مُمسِكاً عَن مَوضِع

وعندما يتناول شعراء القرن السادس الهجري الرثاء نجد أن لغتهم تميل إلى السلوى وطلب العزاء وذكر مآثر ومحاسن الفقيد يقول أسامة بن منقذ في ذلك[٢]:

أُعاتِبُ فيكَ الدّهرَ لو أعتبَ الدّهرُ *** وأستنجِدُ الصّبرَ الجميلَ ولا صَبرُ
وأسألُ عن نَهجِ السُّلُوِّ وقد بَدا *** لعَينَيَّ إلاّ أنّ مسلَكه وَعرُ
وكيف التَّسلِّي والحوادثُ جمَّةٌ *** إذا ما انقَضى أمرٌ يسوءُ أتى أمرُ

وعندما يتحدثون في الغزل نجدهم يستخدمون الألفاظ الدالة علي الرقة واللطافة والحنين والسهولة مثل : هواك ، مونق ، الوصب ، الطلول ، اللواعج الشرف [٣].

ما قامَ لَولا هَواكَ المُدنَفُ الوَصِبُ *** يَبكي الطلولَ وَأَهلُ المُنحَنى غَيَبُ
وَيَسأَلُ الربعَ عَن سُكّانِهِ سَفَهاً *** وَقَد مَحَت آيَه الأَرواحُ تعتَقبُ
يُكَفكفُ الدَمعَ أَحياناً وَتَبعَثُهُ *** لَواعِجُ الشَوقِ أَحياناً فَيَنسَكِبُ

وعندما يتحدثون عن الفخر يحشدون الألفاظ الدالة علي الفخر وعلو الهمة مثل " لا أرهب و لا أحذر " . يقول ابن سناء الملك في ذلك [٤]:

---

(١) ديوان ابن الدهان ، تحقيق عبد الله الجبوري ، مطبعة دار المعارف بغداد ١٩٦٨ م ، ص ٢٩ .
(٢) ديوان اسامة بن منقذ ، ص ٢٩٨ .
(٣) ديوان بن عنين ص ٢٦٥ .
(٤) ديوان ابن سناء ،ج٢ ص ٥٥٩ .

ولكنَّني لا أَرْهَبُ الدهرَ إنْ سَطَا *** ولا أَحْـذَرُ المـوتَ الـزُؤَامَ إذَا عَـدا
ولـو مدَّ نحوي حـادِثُ الدهرِ طَرْفهُ *** لحـدَّثت نَفْسِـي أَنْ أَمُـدَّ لَـهُ يَـدا
توقُّـد عَزْمِـي يتـركُ المـاءَ جَمْـرَةً *** وحِلْيَـةُ حِلْمـي تَتْـرُكُ السَـيْفَ مبْـرَدَا

ثانياً: الأسلوب :

لكل كاتب أو شاعر طريقة أو أسلوب يروقه ، ومن ثم يرتسمه و يسير علـي هديـه ونهجـه وغالبـاً مـا يستمد الشـعراء هذا الأسـلوب من معين قرائحهم ووحـي إلهـامهم علـي أن ثقافـة الشـاعر تمثـل دوراً بـارزاً ومهمـاً فـي توجيـه هذا الأسلوب ، والأسلوب كما يعرفه الجرجاني وهو ضرب من النظم والطريقة فيه[١] وقال عنه الدكتور عز الدين إسماعيل هو طريقة الكاتب الخاصة في التفكير والشعور وفي نقل هذا التفكير وهذا الشعور في صورة لغوية خاصة[٢]، والمتأمل لأسلوب الشعر فـي ذلك القرن يلحظ أن الشعراء قد امتازوا بتعدد الأساليب وتنوعها ، وقد أثرت الثقافة المختلفة التي امتاز بها القرن السادس الهجري في إثراء الأساليب عند الشعراء . فكانت هناك ظواهر أسلوبية ظهرت من خلال شعرهم ومن هذه الظواهر : –

الاقتباس : –

خص البلاغيون الاقتباس بأن يضمن الكلام شيئاً من القرآن والسنة الشريفة لا علي أنه منه ، وتكثر الاقتباسات في جميع اتجاهات شعراء القرن السادس الهجري ، وإن كانت أكثر بروزاً في شعر الجهاد والحماسة والتصوف والزهد .

---

(١) دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٢ ١٩٨٩م ، ص ٤٦٩ .

(٢) الأدب وفنونه ، دكتور عز الدين اسماعيل ، دار الفكر ، ط ٦ ، ١٩٧٦ م ، ص ٢٣ .

والاقتباس من القرآن الكريم يعني إعطاء مصداقية متميزة لمعاني الخطاب الشعري وذلك انطلاقاً من مصداقية القرآن نفسه .

وفي ذلك يقول القاضي الفاضل[١]:

أَما رَأَيتَ قَميصَ الصُبحِ يا شَفَقاً *** إِلّا أَتَيتَ عَلَيهِ بِالدَمِ الكَذِبِ
وَخَيمَةُ العُمرِ إِن شَدَّ الصَباحُ لَها *** عَمودَهُ كانَ حَبلُ الشَمسِ كَالطَنُبِ

وقوله تعالى: { وَجَاؤُواْ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}[٢]

وقال الأبيورودي [٣]: –

وَقَصائِدٍ مِثلِ الرِّياضِ أَضَعتُها *** في باخِلٍ ضاعَت بِهِ الأَحسابُ
فَإِذا تَناشَدَها الرُّواةُ وَأَبصَروا ال *** مَمدوحَ قالوا ساحِرٌ كَذَّابُ

فقد اقتبس الشاعر من قوله تعالى : { إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ}[٤].

ويقول الشرف الأنصاري مقتبساً [٥]: –

ويَرمْي فلا يَشْوي بشُهْبِ قواضبٍ *** لَظاها مِن الأَعداءِ نزَّاعةُ الشَّوَى
ويَطْعَنُ بالخُرْصانِ فيهمْ كأَنّها *** مصابيحُ مِنْ عُوجِ الخناجرِ في كُوَا

قال تعالى: {كَلَّا إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى}[٦]

---

(١) ديوان القاضي الفاضل ، ج ١ ، ص ٤ .
(٢) سورة يوسف الآية ١٨
(٣) ديوان الابيرودي ج ٢ ، ص ١٧ .
(٤) سورة غافر الآية ٢٤
(٥) ديوان خريدة القصر ، ج١ ، ص ١٥٨ .
(٦) سورة المعارج الآية ١٥ – ١٦

٢ / التضمين :

اختلف النقاد القدامى حول أهمية التضمين ، وقد قام ابن الأثير بتلخيص أبرز آرائهم ، وهو عندهم معدود من عيوب الشعر[١].

ويرى أبو هلال العسكري أن التضمين من الأساليب الحسنة وهو عنده " استعارتك الأنصاف والأبيات من شعر غيرك ، وإدخالك إياه في أثناء أبيات قصيدتك "[٢].

وقد شاعت التضمينات عند شعراء المديح النبوي فقد استقوا من الموروث الشعري القديم معاني كثيرة يصعب حصرها ، وقد ضمن ابن سناء الملك بيتاً لزهير بن أبي سلمي[٣]:

من هاب أسباب المنايا ينلنه *** وإن يرق أسباب السماء بسلم

أخذه ابن سناء الملك قائلاً[٤]:

رقى سلَّماً للعِزِّ أَوصَلهُ لها *** فقد نالَ أَسبابَ السماءِ بِسُلَّمِ

أَتاها وكانت ذَاتَ قصرٍ مشيّدٍ *** فأَضحت لديه ذَاتَ سُورٍ مُهدَّم

نجد أسامة قد ضمن أبياتاً للمتنبي[٥]:

وأنتَ أعدلُ من يُشكى إليهِ ولي *** شَكِيَّةٌ أنتَ فيها الخصْمُ والحَكَمُ

---

(١) المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر لابن الاثير ، تحقيق احمد الحوفي ودكتور بدوي طبانا ، مصر ١٩٥٩م ، ج ٢ ، ص ٢٤١ .

(٢) الصناعتين الشعر والنثر ، أبوهلال العسكري ، تحقيق محمد اليجاوي محمد أبو الفضل ، نشر عيسي الباب الحلبي ، ١٩٥٢م ، ص ٣٦ .

(٣) شرح المعلقات السبع للزوزني ، دار الجيل بيروت ، ص ١٢٠ .

(٤) ديوان ابن سناء ،ج٢ ص ٢٨٤.

(٥) ديوان اسامة بن منقذ ص ١٧.

مضمناً قول المتنبي [١]:

يـا أَعـدَلَ النـاسِ إلّا فـي مُعـامَلَتي *** فيكَ الخِصـامُ وَأَنـتَ الخَصـمُ وَالحَكَمُ

ويقول أسامة أيضاً [٢]:

لكـن ثِقاتُـك مـا زالـوا بِغِشِّـهِمُ *** حتـى استوتْ عندَكَ الأنوارُ والظُّلَمُ

مضمناً قول المتنبي [٣]:

وَمـا اِنتِفـاعُ أَخـي الـدُنيا بِنـاظِرِهِ *** إِذا اِسـتَوَت عِنـدَهُ الأَنـوارُ وَالظُلَـمُ

ونـرى أسـامة أيضـاً فـي قصـيدة أخـرى مضـمناً قـول أبـي فـراس الحمداني[٤]:

أَراكَ عَصِـيَّ الـدَمعِ شـيمَتُكَ الصَـبرُ *** أَمـا لِلهَـوى نَهـيٌ عَلَيـكَ وَلا أَمـرُ

وأطـاع الهوى من بعدهم وعصـى الصـبر *** فليس لـه نهي عليه ولا أمر[٥]

ويـرى النقـاد أن أحسـن التضـمين ممـا صـرف فـي البيـت عـن معنـاه الأصلي ليلائم المعني الجديد ، وخاصة إذا كان المعني في غرض جديد غير الغرض الذي وضع لأجله وهم يجيزون عكس البيت المضمن ، فيجعل صدره

---

(١) ديوان أبو الطيب المتنبي ، عبدالرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د ت ، ج٣، ص٨٣

(٢) ديوان أسامة بن منقذ ص ١٨ .

(٣) ديوان المتنبئ ، ص ٨٤ .

(٤) ديوان ابي فراس الحمداني ، محمد عبد الحليم ، شرح شكري فرحات ، بيروت ، ط ٢ ، د ت، ص ١٨٢

(٥) ديوان أسامة بن منقذ ، ص ٧٢ .

عجزاً ، وعجزه صدراً ، وقد تحذف صدور قصيدة بكاملها ، وينظم الشاعر المضمن صدوراً جديدة للغرض الذي أختاره ، وقد تكون طريقة التضمين علي عكس ما ذكره[١].

ويقترب من هذا المفهوم ابن سناء ملك الذي يضمن بيتاً في شعر النابغة [٢]:

إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم *** عصائب طير تهتدي بعصائم

يأخذه ابن سناء الملك فيخرجه بشكل جديد مع محافظته علي الشكل الأصلي [٣]:

طليعتُه الوحشُ الضَّواري مُشيحةً *** وساقَتُه الطَّيرُ الجوانحُ حُوَّما

نرى أسامة بن منقذ أيضاً الذي يضمن أبياتاً لأبي فراس الحمداني :
يأخذه اسامة قائلاً[٤]:

أَقولُ وَقَد ناحَت بِقُربي حَمامَةٌ *** أَيا جارَتا هَل تَشعُرينَ بِحالي
ناحَتْ فباحَت في فُروعِ البانِ *** عن لوعَتي وعن جَوَى أَحْزاني

المعارضة :

وهي نوع من المحاكاة و الاقتداء ، وهي تعبير عن إعجاب الشاعر بالنماذج الشعرية القديمة والنظر إليها نظرة تقدير واحترام ، ومن ثم النظم علي

---

(١) العمدة لابن رشيق ج ٢ ، ص ٨١ .
(٢) ديوان النابغة الذبياني ، شرح وتقديم عباس عبد الساتر ، ط ١ ، ١٩٨٤م ، ص ٣٠ .
(٣) ابن سناء الملك حياته وشعرة ، ص ١٥٠ .
(٤) ديوان ابي فراس الحمداني ، ص ٢١١ .

منوالها من ناحية المعنى والوزن وقد شاع هذا اللون من المحاكاة والاقتداء عن شعراء القرن السادس الهجري فقد عارض الشعراء النماذج الشعرية القديمة ، ونذكر منهم بائية أبي تمام المشهورة التي قالها في فتح عمورية يمدح فيها المعتصم فقد عارضها ابن القيسراني في مدح نور الدين[١]:

هذي العزائم لاما تدعي الغضب *** وذي المكارم لا ما قالت الكتب
وهذه الهمم اللائي متى خطبت *** تعثرت خلفها الأشعار والخطب

ومن الشعراء الذي عارضوا أبا تمام في فتح عمورية العماد الأصفهاني[٢]:

بالجدِّ أَدركتَ ما أَدركتَ لا اللّعب *** كم راحةٍ جُنيَتْ من دوحةِ التّعبِ
يا شيركوهُ بن شاذي الملكُ دعوةَ مَنْ *** نادى فعرَّفَ خيرَ ابنٍ بخيرِ أَبِ

وقد كثرت المعارضات عند شعراء المديح النبوي ، ومن أكثر القصائد التي قلدها الشعراء وعارضوها برده كعب بن زهير ، نأخذ نموذج ابن الساعاتي[٣]:

وكيف أخمل في دنيا وآخرة *** ومنطقي ورسول الله مأمول
هو البشير النذير العدل شاهده *** وللشهادة تجريح وتعديل
لولاه لم تك شمس لا ولا قمر *** ولا الفرات وجاراها ولا النيل
ولم يجب آدم في حال دعوته *** نعم ولم يك قابيل وهابيل

---

(١) الروضتين ج ١ ص ٥٩ .
(٢) العماد الاصفهاني خريدة القصر ، ج ١ ، ص ١١٠ .
(٣) ديوان ابن الساعاتي ج ١ ص ٤٨ ، ٤٩ .

المبحث الثاني
الموسيقي والأوزان

ترتبط الموسيقى بالشعر ارتباطاً ذا صلة فكلاهما فن سمعي يعتمد علي الأداء الصوتي ، وإن اختلفت اللغة بينهم واختلفت قدرتها علي الأداء فجوهريهما واحد فالإحساس الذي يطبعه الإيقاع في نفوسنا هو ذات الإحساس الذي يتركه فينا إيقاع الموسيقى و لذلك ليس الشعر إلا كلام موسيقي تنفعل لموسيقاه النفوس وتتأثر به القلوب[١] لذلك تعد الموسيقى من مظاهر التشكيل الجمالي للشعر ، ربما غدت في مقدمة العناصر التي تدخل في تكوينه ، وكلما كان الشعر حلو الموسيقى وعذب الأنغام ، ومستقيم الوزن كان لاصقاً بالقلوب، وعالقاً بالنفوس ، وخالداً في الحياة .

أولاً : الموسيقي الخارجية :

يعد الوزن ركناً أساسياً في الشعر العربي ولا يقوم إلا به وقد نبه ابن رشيق إلى أهمية وضرورة العناية بالوزن في نظم الشعر فقال : الوزن أعظم أركان الشعر وأولاها به خصوصية ، وهو مشتمل علي القافية ، وجالب لها ضرورة إلا أن اختلفت القوافي فيكون ذلك عيباً في التقفية لا في الوزن[٢] واستمرار هذه الأوزان حتى يومنا هذا لم تكن مجرد مسألة تقليدية أو تصوراً في الشعر عن الابتكار والتجديد ، ولكن هذه الأوزان تمثل في الواقع تنوعا موسيقياً واسع المدى يتيح للشعراء أن ينظموا في دائرته عواطفهم وخواطرهم وأفكارهم، دون أن يجدا تضيقاً أو حرجاً يضطرون معه إلي محاولة الخروج علي هذه الأوزان ليلائموا بين مادة شعرهم الجديدة وما تضفيه من موسيقى وإيقاع

---

(١) في النقد الأدبي عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية بيروت ، ١٩٧٢م ، ص ٩٦ .

(٢) العمدة ص ١٣٤ .

خاصين[١]. ومما لا شك فيه أن التطور الزمني والحضاري لا بد أن يترك أثراً ولو ضئيلاً في أوزان الشعر وقوافيه ، أو في شكله الموسيقي بصفة عامة .

وعند دراستنا للأوزان الشعرية عند شعراء القرن السادس الهجري نجدهم قد حافظوا علي ما ورثوه من أوزان الشعر كما حافظوا علي القافية وأضافوا إلى ذلك وأن كان قليلاً في الجملة أوزان الموشح ، ويمكننا أن نميز طابعاً غالباً علي الأوزان الشعرية وهذا علي سبيل الترجيح وليس علي سبيل القطع والإثبات .

فالأشعار التي تميل الي السهولة اتخذت من البحور الصغيرة والمجزءوه أوزاناً لها مثل شعر الزهد والغزل والخمريات .

يقول القاضي الفاضل[٢]: –

ما مَعَ الشَيبِ حَديثٌ في غَزَل *** قَد شُغِلنا مِنهُ بِالضَيفِ نَزَل

ويقول أسامة بن منقذ من بحر المتقارب الذي يعد من البحور القصار ولا يصح فيه النظم إلا لمجرد الدندنة والترويح عن النفس[٣][٤]:

أمَا في الهَوَى حاكِمٌ يَعدِلُ *** ولا مَنْ يَكُفُّ ولاَ يَعذِلُ

ولا مَن يَفُكُّ أُسارَى الغَرا *** مِ والوجْدِ مِن ثِقلِ ما حُمِّلُوا

أما أشعار الجهاد والتصوف فتغلب عليها الأوزان الطويلة كالكامل والبسيط والوافي والوافر لما تتميز به هذه البحور من اتساع يعطي الشاعر نفساً طويلاً عن مشاعره وأفكاره ومن جانب آخر فإن هذه البحور الطويلة تتناسب مع

---

(١) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، محمد مصطفي هداره ، ص ٥٦٦ .

(٢) ديوان القاضي الفاضل ج ٢ ص ٤٢٨ .

(٣) المرشد لفهم أشعار العرب ، د . عبد الله الطيب دار الخرطوم للنشر ، ط٤ ، ١٩٩١م ، ج ١ ، ص ١٢٠ .

(٤) ديوان اسامة بن منقذ ، ص ٣٤ .

الغرض نفسه لما فيه من قوة وجزالة ومن ذلك يقول ابن القيسراني من بحر الكامل[1]:

ضحكت تباشير الصباح كأنها *** قسمات نور الدين خير الناس
المشترى العقبى بأنفس قيمة *** والبائع الدنيا بغير مكاس
وسرى دعاء الخلق يحرس نفسه *** إن الدعاء يعد في الحراس

بيد أننا لا نجرم بما تقدم ، إذ لا تستطيع قصر بحر معين علي غرض معين وكذلك فإن لكل شاعر منهجه وأسلوبه في استخدام البحور الشعرية .

وكنا قد ذكرنا أن شعراء القرن السادس الهجري قد نظموا في الموشحات ، ومن هؤلاء الشعراء ابن الدهان ، والقاضي الفاضل ، وابن سناء الملك ، الذي هو كان الانطلاقه الحقيقية لفن الموشحات في المشرق فقد حاول دراسة هذا الفن وتوضيح مسالكه وتذليله أمام المهتمين به وألف كتابه دار الطراز[2]" ويختلف نظام الموشحة عن نظام القصيدة اختلافاً كبيراً ، فالقصيدة تتفق فيها الأبيات في وزنها وقافيتها ويتكون كل بيت فيها من شطرين ، وهي تؤدي نغماً موسيقياً مؤتلفاً موحداً من أولها إلي أخرها ، أما الموشحة فتتألف من مقطوعات تنقسم بدورها الي قسمين : أفعال أو أبيات والموشحة التامة هي التي تبدأ بالأقفال ، وهي أجزاء مؤلفه من مقطعين أو ثلاثة ، وتكررت ست مرات ، يفصل بين كل قفل منها بيت ، ويشترط أن تتفق الأقفال المتكررة في الوزن

(١) الروضتين ص ٢٠ .
(٢) الوافي بالوفيات ، ج ٢ ، ص ٩ .

والقافية ، وتكرر الأبيات في الموشحة خمس مرات ، ويشترط أن يتحد بعضها مع بعض في الوزن والقافية وإذا بدأت الموشحة بالبيت سميت قرعاء[١].

والموشحات قسمان منها ما جاء علي أوزان أشعار العرب ، ومنها ما لا دخل له لشئ فيه شئ من أوزان العرب وهذا القسم الأخير منها هو الكثير والجم القصير ، يقول ابن الدهان متغزلاً .

الـــــذنب ذنـــــب طرفـــــي *** فـــــي الحـــــب إذا رنـــــا
فكـــــم أخـــــذت قلبـــــي *** ظلمـــــاً ومـــــا جنـــــا
نـــــام فـــــي خفـــــاء جســـــم *** فـــــي البـــــرد ناحـــــل
لـــــم يبـــــق غيـــــر رســـــم *** تحـــــت الغلائـــــل

ثم انتقل الي المدح الذي ختم به موشحته فقال[٢]: –

مـــــا العيـــــد فـــــي الأيـــــام *** يأتـــــي بأوحـــــد
يـــــا أوحـــــد الأنـــــام *** فـــــي كـــــل ســـــؤدد
لا زلـــــت كـــــل عـــــام *** عيـــــد المعيـــــد
يـــــا غـــــوث مـــــن اتـــــاه *** يـــــا خيـــــف يـــــا منـــــى
يـــــا كعبـــــة الملبـــــى *** فـــــي حجـــــك الغنـــــى

ونرى مديح ابن سناء الملك في القاضي الفاضل ببعض الموشحات :

أري نفس لقلبي واهبة ، ولم تحفل بحسن العاقبة فأحداق المها
أشارت بالغرام ، وعصيان الملام
فقالت مهجتي نعم يا منيتي نعم أنت التي

---

(١) ابن سناء الملك مشكلة العقم والأبتكار ، عبد العزيز الأهواني ، مطبعة الأنجلو بالقاهرة ، ١٩٦٢م ، ص ١٧٦ .

(٢) ديوان بن الدهان ص ١٩٢ – ١٩٤ .

بها دار الهدى دار النعيم ومن أسقامها برء السقيم
أتاني اللوم فيهم ثم زال ، وصاد جوانحي مهم وصال
غزال منه يغتاظ الغزال ومنه ناله ذاك الهزال
وشمس الأفق منه شاحبة ، وقد يغنيك عنها غايبه وينسيك أسمها[١]

ومن نافله القول أن شعراء القرن السادس الهجري قد حافظوا علي أوزان الشعر التقليدية و المطروقة ، وأضافوا إليها الأوزان المستحدثة ، " كالموشحة " والتي اتسم شعرهم فيها بعذوبة الأنغام ودقة موازنة .

وقد تميزت موسيقى الشعر بازدواجية " بنائية " تشمل الموسيقي الخارجية التي يحكمها العروض ، وتتجلي في الوزن ، والقافية والموسيقى الداخلية التي تحكمها مجموعة من القيم الصوتية ، وتتجلى في مقومات إيقاعية في بنية الشعر تشمل البحر والوحدة اللغوية سواء كانت جملة أو كلمة أو مجموعة من الحروف ذات الجرس المميز[٢].

ثانياً: القافية:

هي بمثابة الفواصل الموسيقية إذ يتوقع السامع ترددها، وهذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة بعدد معين من مقاطع ذات نظام خاص[٣].

ولما كان الوزن مشتملاً على القافية وجالباً لها ضرورة وكانت القافية شريكة الوزن في الاختصاص، وملازمة له في العمل الشعري رأينا أن نسلط الضوء على بعض أنواع القوافي في تلك الفترة.

---

(١) دار الطراز في عمل الموشحات ، ابن سناء الملك ، تحقيق جودة الركابي ، بيروت ، ١٩٤٩م ، ص ٣٢ .

(٢) الموقف والتشكيل الجمالي ص ٤٧٥ .

(٣) موسيقى الشعر، دكتور إبراهيم أنيس، دار القلم، بيروت، ط٤، ١٩٧٠م، ص٢٤٦.

١/ القوافي المقيدة:

وهي القوافي التي يكون فيها حرف الروي ساكناً[١]. كقول القاضي الفاضل:

ما مَعَ الشَيبِ حَديثٌ في غَزَل *** قَد شُغِلنا مِنهُ بِالضَيفِ نَزَل[٢]

٢/ القوافي الذّلل:

هي الباء والفاء والدال والراء والعين، والنون في غير تشديد[٣]. كقول ابن الساعتي:

سمو كما تهوى على العجم والعرب *** فما أحد يسمو إلى السبعة الشهب[٤]

ثالثاً: الموسيقى الداخلية :

ويقصد بها اختيار الشاعر للكلمات وما بينها من تلازم في الحروف و الحركات ، وقد أشار العشماوي إلي هذه الموسيقى يقوله إن جزءاً مهماً من موسيقى الشعر يتابع من علاقات اللغة وأصواتها ونبراتها وما تحمله تلك النبرات والأصوات من المشاعر[٥].

وللموسيقى الداخلية عدة مصادر تنبع منها ولعل أهم تلك المصادر ألوان البديع الصوتي كالتكرار ، والجناس ، وحسن التقسيم ، وغير ذلك من ألوان التأنق النغمي التي تشكل الموسيقى الداخلية للشعر.

*** الطباق :**

هو الجمع بين المتضادين سواء كان بين لفظين من نوع واحد ، أم من نوعين مختلفين فإذا جاوز الطباق ضدين كانت مقابلة ، وقد يبلغ الجمع بين

---

(١) المرشد لفهم أشعار العرب، ج١، ص٥٤.

(٢) ديوان القاضي الفاضل ج ٢ ص ٤٢٨ .

(٣) المرشد لفهم أشعار العرب، ج١، ص٥٨.

(٤) ديوان القاضي الفاضل ج ٢ ص ٤٢٨ .

(٥) قضايا النقد الادبي القديم والحديث ص ٢٤٧ .

عشرة أضداد خمسة في الصدر وخمسة في العجز[١]. والطباق مما يزينٍ الإيقاع الموسيقي ، فالضد يظهر حسنه الضد ، ومن أمثلة الطباق الجميلة التي زينت إيقاع الموسيقى الداخلي.

يقول ابن القيسراني في قصيدته التي مدح بها عماد الدين زنكي[٢]: –

فيا ظفراً عمَّ البلادَ صَلاحُه *** بمن كان قد عمّ البلادَ فسادُه
غَداةَ كأَنّ الهامَ في كلِّ قَوْنَسٍ *** كمائمُ نبتٍ بالسُّيوف حَصَادُهُ
فما مُطْلَقٌ إلاّ وَشُدَّ وَثاقُهُ *** ولا مُوثَقٌ إلا وحُلّ صِفاده
ولا مِنْبَرٌ إلاّ تَرنّح عودُه *** ولا مُصْحَفٌ إلاّ أنارَ مِدادُه
إلى أَين يا أَسرى الضَّلالةِ بعدها *** لقد ذَلّ علويكم وعزّ رشادُه

ويقول ابن الساعاتي مطابقاً أيضاً[٣]:

لله يومك إذا تبلج وجهه *** والشمس مغضبة فليست تنظر
تبكي وتبسم مزنة وبروقه *** والسحب تطوى تارة وتنشر
والثلج يبكي ذائباً كافوره *** والأرض يكفر مسكها والعنبر
في الجو تحسبه جراداً طائراً *** وإذا تداني خلت ورداً ينثر

ويقول ابن سناء الملك [٤]:

هو الملكُ المحيي المميتُ ببأْسِه *** ونائِله أَيَّانَ يرْضَى ويغضَبُ
تدينُ له طوعاً وكَرْهاً ضَراغِمٌ *** تسَّهلَ منها كلُّ ما يتصَعَّبُ

---

(١) الصناعتين ص ٣٢٧ .
(٢) خريدة القصر ، ج ١ ، ١٥٥ .
(٣) ديوان بن الساعاتي ج ٢ ، ص ١٥٤ .
(٤) ديوان ابن سناء الملك ، ج ١ ، ص ١٥ .

فقد قابل الشاعر بين المحي و المميت الذي تنقبض له بين الرجاء والرهبة والسهولة ، والصعوبة ، والرضاء والغضب .

*** الترصيع :**

والترصيع في الاصطلاح الشعري هو تقطيع البيت إلي أجزاء تقطيعاً مسجوعاً أو شبيه بالمسجوع ، أي أن تكون كل لفظة من ألفاظ الشطرة الأولى مشابهة لكل لفظة من ألفاظ الشطرة الثانية في الوزن والقافية ويعرف بالترصيع وحسن التقسيم والازدواج حيت تتعادل الجمل في البيت وتتماثل في النغمات[١] كقول الأبيوردي [٢]:

فالعَـدْلُ مُنتَشِـرٌ والعَـزْمُ مُجْتَمِـعٌ *** والعُمْـرُ مُقْتَبَـلٌ والـرأيُ مُكْتَهِـلُ

سـاسَ البَرِيّـةَ قَـرْمٌ ماجِـدٌ نَـدِسٌ *** غَمْـرُ البَديهَـةِ نَـدْبٌ حـازِمٌ بَطَـلُ

ويقول ابن منير الطرابلسي[٣]:

أَمـامَ المَحاريـبِ بَـرّاً حَصُـوراً *** وَتَحـتَ الحـروبِ هِزَبْـراً هَصـورا

وكذلك يقول ابن القيسراني[٤]:

هـو السّـيفُ لا يُغنيـكَ إلاّ جِـلادُهُ *** وهـل طـوّق الأَمـلاكَ إلاّ نِجـادُهُ

فيـا ظفـراً عـمَّ الـبلادَ صَـلاحُه *** بمـن كـان قـد عـمّ الـبلادَ فسـادُه

ومن أمثلة الترصيع كذلك قول العماد الاصفهاني في رثاء صلاح الدين[٥]:

---

(١) الصناعتين ، ص ٤١٦ .

(٢) ديوان الأبيوردي ص ١٠٧ .

(٣) خريدة القصر ، ج ١ ، ص ١٠٥ ،

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٠٢

(٥) خريدة القصر ، ج ١ ، ص ٣٠ .

مســـعودةٌ غدواتُـــهُ محمـــودةٌ *** روحاتُـــهُ ميمونـــةٌ ضَـــحَواتُهُ
فـي نصـرةِ الإسـلامِ يسـهرُ دائمـاً *** ليطـولَ فـي روضِ الجنـانِ سـنانُهُ

*** الجناس :** –

هو نوعان : لفظي ومعنوي ، فالأول ما تشابهت فيه الكلمتان لفظاً واختلفتا معني . هو قسمان : تام وغير تام ، فالأول ما اتفق فيه اللفظان في أنواع الحروف ، وأعدادها وهيئتها وترتيبها ، وغير تام ما اختلف فيه اللفظان في أعداد الحروف(١).

وقد شغف شعراء هذا القرن بهذا النوع البديعي فكان يؤلف هو و الطباق مذهباً أسلوبياً خاصاً يتصنعه الشعراء كثيراً . يقول ابن القيسراني في ذلك (٢): –

سـقى اللهُ بـالزَّوْراءِ مـن جانـب الغَـرْب *** مَهـاً وَرَدَتْ عـين الحيـاةِ مـن القلـبِ
عفـائفُ إلاّ عـن مُعـاقَرَةِ الهـوى *** ضـعائف إلاّ فـي مُغالبـة الصَـبّ

ويقول ابن الساعاتي(٣):

أمهي الفتون سيوف ألحاظ المها *** فـأطعتهن لمـا نهـى عنـه النهـى

ومنه أيضاً قول ابن عنين(٤):

خبروهـا بأنـه مـا تصـدى *** لسلـو عنهـا ولـو مـات صـدا

---

(١) بغية الايضاح لتلخيص المفتاح عبد المتعال الصعيدي مكتبة الادآب بالقاهرة ، د ت ، ج ١ ، ص ٢٣٨

(٢) خريدة القصر ، ج ١ ص ١٢٤

(٣) ديوان بن الساعاتي ص ج ١ ص ١٢٤

(٤) خزانة الأدب ، ص ٢٧ .

المبحث الثالث
الصورة الشعرية

لعل ما يميز الشعر عن غيره من ألوان الفنون الأدبية الأخرى هو المعاني والصور فهي تمثل الدفقة الشعرية لدي الكاتب في تجربته الشعرية لأن الشعر هو الأفكار التي تتراءى من خلال الصور(١).

والخيال هو الملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا صورهم ، وهم لا يؤلفونها من الهوي إنما يؤلفونها من أحساسات سابقة لا حصر لها تختزنها عقولهم ، وتظل كائنة في مخيلتهم حتى يحين الوقت فيؤلفون منها الصورة التي يريدون .

والخيال عند الأدباء يقوم علي دعوات المحسوسات والمدركات ثم يعمل علي بنائها من جديد ، ومن هنا كان الخيال يفترق عن التفكير وإن كان كل منها يستعير مواده من الواقع ، وذلك لأن التفكير يقوده غرض محدود هو محاولة الحقيقة ، فهو استكشافي محض لا يخلق علاقات جديدة بين الأشياء ، ولا يغير في أشكالها وعناصرها ، أما الخيال فلا يقف عند ذلك ، بل يعمد إلى التعبير في هذه العناصر غير مقنع بعلاقاتها ، بل يضيف لها علاقات جديدة ينزعها من واقعها نزعاً في كثير من الأحيان ، ويبعث فيها روحه ما يعيدها خلفاً نابضاً بالحياة(٢).

وهناك فرق كبير بين الإيهام والخيال والإيهام يتعلق بما ليس حقيقياً أما الخيال فلا يهمه إن كان الشئ حقيقياً أو غير حقيقي ، وفي الإبهام يحاول الإنسان أن يتغلب علي عدم الرضا بالواقع الذي يكون فيه ، أما الخيال فليس

---

(١) شاعرية العقاد في ميزان النقد الحديث ، د . عبد الحي دياب ، دار الاتحاد العربي للطباعة القاهرة ١٩٦٩ ، ص ١٦٤ .

(٢) في النقد الأدبي ، شوقي ضيف دار المعارف مصر ، ١٩٦٢م ، ص ١٦٧

فيه هذا الواقع لأنه تستوي عنده الحقيقة وعدمها ، بل تستوي عند الرغبة في الشئ وعدمها[١]. ودور الخيال في الشعر عظيم لا يدانيه إلا دور الموسيقي ، لذلك انتبه إليه النقد الأدبى مبكراًً ، ودارت من حوله ومن أجله خصومات أدبية كثيرة ، وقد أودعت العرب أشعارها من الأوصاف والتشبهات ما أحاطت به معرفتها وأدركه عيانها ومرت به تجاربها[٢].

وبعد هذه التقدمة سنحاول تسليط الضوء علي بعض جوانب الصورة الشعرية في القرن السادس الهجري ، وعمدتنا في ذلك أدوات الإبداع من بيان و بديع .

أولاً : الصورة البيانية : –

يعتبر علم البيان وسيلة من وسائل التصوير الأدبي ، بل الخلق الجمالي عن طريق التشبهيات والاستعارات والمجازات[٣].

أ) التشبيه : –

والتشبيه عقد علاقات وهمية أو شكلية بين الأشياء للدلالة علي معني نفس الشاعر ، المعني هنا لا يقصد به الدلالة المحدودة أو الرموز ، بل يقصد به هذا بالإضافة إلي الحس والشعور فالدلالة الشكلية لوجه الشبة أو العلاقة الحسية أو العضوية بين الأشياء لا قيمة لها دون الوقف الذاتي للشاعر ممتزجاً بعاطفة إزاء الأشياء[٤].

---

(١) فن الشعر د . إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت لبنان ، ص ١٥٥ .

(٢) عيار الشعر ص ١٧ .

(٣) فن البديع ، د . عبد القادر حسين ، دار الشروق القاهرة ١٩٨٣ ، ص ٢٩ .

(٤) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ط ٢ ، ١٩٨٩م ، ص ١٠٩ .

وقد أشار أبو هلال العسكري الي أهمية التشبيه فذكر أنه " يزيد المعني وضوحاً ويكسبه تأكيداً ، ولهذا ما أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم إلا عليه ، ولم يستغن أحد منهم عنه"[١].

ومن الطبيعي أن نجد في شعر هذا القرن صوراً من التشبيه ، فذلك أمر فطري في النفس الإنسانية ، وقد خلد الشعراء أيضاً من سبقهم فجاءوا بصورة متكلفة بعيدة عن نبضات الحياة ، ولكنهم بالإضافة إليها ولدوا صوراً جديدة في التشبيه نلحظ فيها إبداع خيالهم وغرابة تفكيرهم[٢].

يقول أسامة بن منقذ مشبهاً حاله بالشمع [٣]:-

أمسيتُ مثلَ الشّمْعِ يُشرِقُ نورُهُ *** والنّارُ في أحشائِهِ تَتَلَهّبُ
حَيرانَ وجْهِي للتّجمّلِ ضَاحِكٌ *** طَلْقٌ وقَلبي للهمومِ مُقَطِّبُ

ويقول في موضع آخر مشبهاً حاله بالشمع أيضاً[٤]:

هُو في الدُّجَى كالشَمعِ يَقْطُرُ دمعُهُ *** نَاراً فتحرقُه مياهُ جُفُونِهِ
فإذَا بدا وَضَحُ الصّباحِ رأيتَهِ *** مثلَ الحَمامِ ينُوحُ فوقَ غُصونِهِ

ويقول عرقلة الكلبي في مدح بني السلار[٥]:

مُعشُرٌ كَالغُيوثِ في حَلبَةِ السِلمِ *** وَفي الحَربِ كَاللُيوثِ الضَواري
بِقُلوبٍ كَأَنَّها مِن جِبالٍ *** وَأَكُفٍّ كَأَنَّها مِن بِحارِ
وَكَأَنَّ الإِلَهَ جَلَّ بُراهُم *** مِن فَخارٍ وَالناسُ مِن فَخّارِ

---

(١) الصناعتين ص ٢٤٣ .
(٢) الأدب في بلاد الشام ، ص ٦٦٠ .
(٣) ديوان أسامة بن منقذ ص ١٠٧ .
(٤) المرجع السابق ص ١٠٨ .
(٥) خريدة القصر ج ١ ص ٢٠٨ .

ولم يقتصر الشعراء علي هذا النوع من تشبه صورة حسية بأخرى وإنما كانوا يحاولون تشخيص المعاني المجردة ، فيبدو كأنها حقيقة ملموسة كما في قول ابن منير[١]:

زَعـــمٌ كمُنْـــبَلج الصَّـــباح وراءَهُ *** عَـزْمٌ كَحَـدِّ السَّـيْف صـادف مَقْـتَلا

مُتَـنَطّسٌ ركـضَ الأُمُـور أوابِيـا *** شُمســاً فَـرَاضَ صــعابَهُنَّ وذلَّــلا

ولن نفصل القول في أنواع التشبيه كلها ، وإنما نحب أن نشير في هذه الدراسة إلى أهم ما نراه بارزاً في شعر القرن ، فنعرض لبعض التشبيهات المولدة وخاصة ما ورد منها في التشبيه البليغ و التمثيلي ، والضمني والمعكوس ، ومن ذلك نرى في قول ابن القيسراني[٢]:

والنقع فوق صقال البيض منعقد *** كمــا اســتقل دخــان تحتــه لهــب

فقد شبه ما انعقد في سماء المعركة من الغبار العثير بدخان كثيف أسود بينما جعل السيوف اللامعة لها مضيئة شرفاً ويذكرنا هذا البيت بيت بشار[٣]:

كَـأَنَّ مُثـارَ النَقـعِ فَـوقَ رُؤُسِـهِم *** وَأَســيافَنا لَيــلٌ تَهــاوى كَواكِبُــه

ولكن ابن القيسراني حاول التجديد في الصورة ، فبشار جعل العثير ظلاماً والسيوف كواكب بينما نجد ابن القيسراني ، جعل العثير دخاناً والسيوف

---

(١) خزانة الأدب ص ١٨٣ .

(٢) خريدة القصر ج ١ ، ص ٢٢٠ .

(٣) ديوان بشار بن برد ، شرح محمد الطاهر عاشور ، تحقيق محمد رفعت فتح الله ، القاهرة لجنة التاريخ والترجمة ، ط ٢ ، ص ١٨٥

لهب ، وإنما تميز بيت بشار بحركة السيوف وهو ما نفتقده في بيت ابن القيسراني .

وفي القصيدة نفسها يصور ابن القيسراني معاقل الكفار بعد أن كسر شوكتها وقد بقى فيها بعض أولئك الكفار لا حول لهم ولا طول ، فشبههم بحية رقطاء قطع رأسها فلم يبق منها إلا بقية الجسد والذنب وقد التوى وأصبح يدل علي فقدان الحياة . فيقول[١]: –

لم يبق منهم بيض بلا رمق *** كما التوى بعد رأس الحية الذنب

كذلك نجد في قوله[٢]:

وائذن لموجك في تطهير ساحله *** فإنما أنت بحر لجه لجب

فقد جعل الشاعر جيش نور الدين موجاً عارماً لجباً يستعان به في تطهير أرض المسلمين من رجس الكفار . ونرى في هذه الصورة توفيقاً من الشاعر لأن الموج بطبيعته فيه عرام وقوة ، وفيه حركة دائبة ، وفيه اكتساح ومد . ولم ينس الشاعر في هذه الصورة أيضاً أن الموج أولاً وأخيراً يمكن أن يطهر أرض المسلمين من وجود الكفار فيها وهم رجس ينبغي أن يطهره الماء[٣].

ويقول ابن منير[٤]: –

ضحكت تباشير الصباح كأنها *** قسمات نور الدين خير الناس

المشترى العقبي بأنفس قيمة *** والبائع الدنيا بغير مكاس

---

(١) خريدة القصر ، ج٢ ، ص ١٠٥ .

(٢) خريدة القصر ، ج٢ ، ص ٢٠٧

(٣) شعر الجهاد في الحروب الصليبية ، ص ٢١١ .

(٤) الروضتين ص ٢٠ .

نلاحظ في قول الشاعر " ضحكت تباشر الصباح تشبيها مقلوباً وهو جيد في الدلالة علي أن المشبه أتم من الشبه به وأقوى في المعني .

وقد أكثر الشعراء في التشبيه التمثيلي من استخدام الصور المستمدة من الطبيعة فقد وصف عرقلة الكلبي سماء ازدهرت كواكبها في دجا الحندس[١]:

كَـــأَنَّ السَـــماءَ وَقَـــد أَزهَـــرَت *** كَواكِبُهـــا فـــي دُجـــى الحِنـــدِسِ
رِيـــاضُ البَنَفسَـــجِ مَحمِّيَـــةً *** يُفَـــتَّحُ فيهـــا جَنـــى النَـــرجِسِ

ووصف ابن الساعاتي البدر وقد جلاه الغدير[٢]:

أَما ترى البدرَ يجلوه الغدير وقد *** حفَّت بـه قُضُـبٌ بـالنَّوْرِ فـي لُـثُمِ
كخـوذةٍ فـوق درعٍ حولهـا أسَـلٌ *** سُـــمْرٌ أســـنَّتها مخضـــوبةٌ بـــدمِ

لم يكتفوا في أوصافهم بما أخذوه من صور معروفة ومتداولة بين الناس عامة ، وإنما استمدوا بعضها من اضطراب الحياة السياسية ، ومن تجاربهم في الحياة ، روي عن أسامة بن منقذ أنه رأي معشر النمل يتجاذب زهرة ، كلما أخذتها غله انتزعتها منها أخرى[٣][٤]: –

شـاهدتُ نمـلاً قـد تجـاذَب زهـرةً *** ذا قـــد تَمَلّكَهـــا وهَـــذا يَســـلِبُ
مثـلَ الملـوك تجـاذَبوا الـدّنيا فَمـا *** حصَـلتْ لمغلـوبٍ ولا مَـن يغلِـبُ

(١) خريدة القصر ، ج ١ ، ص ٢٠٩ .
(٢) ديوان ابن الساعاتي ، ج٢، ص٦٣
(٣) الأدب في بلاد الشام ، ص ٦٦٦ .
(٤) ديوان أسامة بن منقذ ، ص٢٤٦.

ومن الشبيهات البليغة قول الأسعد بن المماتي في انصباب الخمر من الإبريق علي الكأس[١]:

إذا انبرت من فم الابريق تحسبها *** شهاب ليل رمى في الكأس شيطانا

الاستعارة :

اللغة في صراع دائم بين الحقيقية والمجاز ، فمنها تتولد المعاني الجديدة ، ويتطور في مداها الواسع مع الزمن ، تعتمد أكثر ما تعتمد علي المجاز لأن المجاز أبداً أبلغ من الحقيقية[٢] فالمعاني لا تقنع بالبقاء في حقيقتها، إذ النفس الإنسانية تفيق بها ، وتتوق إلي الخروج بها عن مصلحاتها المحدودة ، إلي آفاق مديدة من المعاني التي تتصور في أطر جديدة من التعبير الفني المجازي .

وقد عرف الجرجاني الاستعارة فذكر أنه يكون للفظ أصل ، ثم ينتقل عن ذلك الأصل . ويوضح هذا الحد العام . فيذكر أن الاستعارة ليست نقل اسم في شئ إلي شئ ولكنها ادعاء معني الاسم لشئ[٣].

أما القزويني فقد اعتبرها الضرب الثاني من المجاز ، وذكر أن علاقته تشبيه معناه بما وضع له[٤].

إذن الاستعارة ضرب من ضروب المجاز ، فكل استعارة مجاز حكماً ولكن ليست كل مجاز استعارة .

وكما لا حظ الباحث فيما أروده في شواهد شعرية إنماطاً مختلفة من الاستعارات فنراها مطبوعة تارة ، ومتكلفة أخرى ونادراً ما تخلوا منها قصائدهم.

---

(١) خريدة القصر ، ج ١ ص ١١٣ .

(٢) دلائل الإعجاز ، ص ٤٣ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٣٢ .

(٤) بغية الايضاح ، ج ٢ ، ص ١٥٠ .

وصف ابن المنير الطرابلسي الكتاب الذي بعث به صديقه زين الدين بن حليم يستدعيه من شيرز ، ويستنهضه للرجوع إلي دمشق ومما قاله[١]:

وَرَدَ الكتــابُ فــداهُ أســودُ نــاظرٍ *** عكَفَــتْ ذخــائِرُهُ عليــه تبــدّدُ
ليــلٌ مــن الألفــاظ يُشْــرِق تحتَــهُ *** فَلَــقُ المعــاني فهــو أبــيضُ أســودُ
يفْتَــرُّ عــن دُرَرٍ تكــاد عُقُودُهــا *** مــن لِــينِ أعطــافٍ تحــلُّ وتعقِــدُ

وقد تحدث عرقلة عن صاحبته صفية الكردية ، وقد عزمت علي السفر[٢]:

تَقــولُ صَــفيَّةَ وَالصَــفوُ مِنهــا *** لِغَيــري حيــنَ قَرَّبَــتِ الجَمــالا
وَقَــد سَــفَرَت لَنــا عَــن بَــدرٍ تَــمٍ *** غَــداةَ البَيــنِ وَانتَقَبَــت هِــلالا
أَتَصــبِر إِن هَجَرنــا أَو بَعُــدنا *** فَقُلــتُ نَعَــم نَعَــم وَ القَلــبُ لا لا
يَخــافُ البُعــدَ مَــن أَلِــفَ التَــداني *** وَيَخشى الهَجرَ مَن عَرفِ الوِصالا

ووصف ابن قسيم طيف خيال زاره سحراً فقال فيه[٣]:

أهــلاً بطيــف خيــال زارنــي ســحراً *** فقمــت والليــل قــد شــابت ذوائبــه
أقبــل الأرض إجــلالاً لزورتــه *** كأنمــا صــدقت عنــدى كواذبــه
وكدت لولا وشاة الصبح تزعجه *** بالبين أصغي لما قالت خوالبه

ويقول ابن القيسراني في مدح نور الدين بمناسبة أخذه حصن حارم، واصفاً المعركة قائلاً[٤]:

---

(١) خريدة القصر ، ج ١ ، ص ٩٢ .
(٢) المصدر السابق ص ٣١٩ .
(٣) خريدة القصر ، ج ١ ، ص ٤٥ .
(٤) الروضتين ج ١ ، ص ٧٨

حتى استطار شرار الزند قادحة *** فالحرب تضرم والآجال تحتطب
والخيل من تحت قتلاها تقر لها *** قوائم خانهن الركض والخبب

فالاستعارة في هذا البيت استعارة تصويرية جميلة لأنه جعل الحرب ناراً تضرم وجعل آجال الأعداء حطبها .

ويقول ابن القيسراني[١]:

وعن ثغر هذا النصر فالتأخذ الظبا *** سناها وإن فات العيون اتقاده

فقد جعل للنصر ثغراً باسماً مشرقاً تأخذ السيوف منه لمعانه وإشراقها ونجد كذلك الاستعارة المكنية في تشبيهيه للمنبر بالإنسان الفرح الذي يهتز طرباً في قوله [٢]:

ولا مِنْبَرٌ إلاّ ترنّح عودُه *** ولا مُصْحَفٌ إلاّ أنارَ مِدادُه
إلى أَين يا أَسرى الضَّلالةِ بعدها *** لقد ذَلّ علويكم وعزّ رشادُه

فنجد الاستعارة لدى شعراء القرن السادس الهجري تبلورت فيها الجزالة والألفاظ وفي الصياغة، وفي رقة المعاني.

الكناية :

ضرب ثالث من ضروب البيان ، وقد أعجب بها القدماء كثيراً ، فذكروا أنها فن من القول دقيق المسلك لطيف المآخذ ، فيها محاسن تملأ الطرف ودقائق تعجز الوصف[٣]. ويرى علماء البيان أن الكناية هي الإرداف بعينه كما

---

(١) خريدة القصر ، ج ١ ، ص ٩٥ .

(٢) خريدة القصر ، ج ١ ، ص ٢٠٣ .

(٣) دلائل الإعجاز للجرجاني ص ١٦٥

هو في التعريف السابق ، بيد أن علماء بالبديع كقدامى بن جعفر والحاتمي والرماني أفردوا الإرداف عنها ، وذكروا أن الفرق بينها جلي ظاهر كما يرون أن الإرداف عن تبديل كلمة بردفها والكناية هي العدول عن التصريح بذكر الشئ إلي ما يلزم[١].

وقد أورد الشعراء صوراً مختلفة من الكناية ، وقد أشهدوا بعضها مما عرفوه من سابقهم ، وبعضها الآخر نلمح فيه آثار الابتكار والتوليد . مدح ابن رواحة[٢] صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٢ هـ[٣].

تملك حولهم شرقاً وغرباً *** فصاروا لاقتناص تحت رهن
أطاف عليهم من كل فج *** قبائل يقبلون بكل وهن
أقام بآل أيوب رباطاً *** رأت منه الفرنج مضيق سجن
فهم للدين والدنيا جبال *** رواس لا ترى أبداً كعهن
وخافتهم ملوك الناس جمعاً *** فلم تقلب لهم ظهر المجن

وفي الأبيات كناية عن قوة جيوش القائد صلاح الدين الأيوبي ، ومما جاء من الكناية أيضاً شعر عرقلة قوله يمدح ابن قسان[٤]: –

في حصنه غيث وفوق حصانه *** ليث يكر علي الكماة بمسحل
متبسم لعفاته قبل الندى *** كالبرق يلمع للبشارة بالولي
يعطي المحجلة الجياد وكم *** له في الجود من يوم أغر محجل

---

(١) الخزانة الأدب ، ابن حجة ، ص ٣٧٦ .

(٢) هو أبو علي الحسين بن عبدالله بن رواحة المعروف بابن خطيب حماه هو من نسل عبدالله بن رواحة شاعر الرسول ﷺ (٥١٥–٥٥٨) (الأعلام للزركلي ج ١ ، ص ١٥٥).

(٣) خريدة القصر ، ج ٢ ، ص ٤٩٣ .

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ٢٢١ .

وفي الأبيات كناية عن الجود والكرم .

هذا ما كان من أمر البيان عند شعراء القرن السادس الهجري، فوضحت لنا صورهم الشعرية الجميلة، ونضوج تجربتهم الشعرية آنذاك.

الخاتمة و التوصيات

وبعد فهذه رحلة طيبة في القرن السادس الهجري في المشرق وفي ختام هذا البحث نورد أهم النتائج التي وردت بين طيات هذا البحث .

١/ أبرز ما يميز القرن السادس الهجري في الشرق هو ذلك الخطر الصليبي الجاسم الذي استهدف الأمة الإسلامية وكان للشعر والشعراء دور بارز في هذه المرحلة .

٢/ تنوع الفنون الشعرية في أغراضها و اتجاهاتها والتي شملت كل الفنون الشعرية التقليدية المعروفة كالمدح والفخر والغزل وقد تفوقت بعض الأغراض على غيرها . فغرض المديح شهد تفوقاً ملحوظاً بسبب تأثير الحروب الصليبية .

٣/ اتسعت الاتجاهات الشعرية وتنوعت فشملت الجوانب الروحية والاجتماعية و الوجدانية والشكلية ، وقد اتسم الشعر بكل السمات والمميزات التي اتسم بها الشعر العربي في عصوره المختلفة مع تفاوت في الصياغة واللفظ والتعبير وفقاً لما تفرضه مراحل التطور في كل مرحلة من المراحل التاريخية وفي ذلك نرى أن شعر المديح أبتعد عن روح التكلف

والاستجداء واتجه الشعراء بهذا الغرض إلي غايات أسمى فقد كان تسجيلا لسمات البطولة ، أما غرض الرثاء فلم يقف عند رثاء الأفراد ، بل اتسع ليشمل رثاء الديار والممالك الزائلة ، أما غرض الهجاء فلم يعد مقصوراً علي ذكر النقائص كما في العصور السابقة لهذا القرن فقد تجاوز ذم الأفراد فظهر ما يعرف بالهجاء السياسي فقد تعرض فيه الشعراء لمعالجة بعض الظواهر السياسية والفكرية والاجتماعية ، أما في الغزل فقد حاول الشعراء أن يخرجوا عن المعاني التقليدية المعروفة فأعرضوا عن ذكر الدمن والأطلال .

٤/ حافظ الشعراء في هذا القرن علي ما ورثوه من أوزان الشعر التقليدية بالإضافة إلي ذلك ظهور فن الموشحات .

٥/ أما في جانب المعاني والأفكار والصور فقد نزع الشعراء إلي الوضوح والبساطة وتجنب التعقيد واستخدموا أساليب البيان والاستعارة .

٦/ اتسمت لغة الشعر بالرقة والسهولة ، وقد توسع الشعراء في هذه السهولة إضافة إلي ذلك تنوع أساليب الشعراء وتعددت

وكثـــر فيهـــا الاقتبـــاس والتضـــمين والتكـــرار . وفـــي نهايـــة هـــذا البحث يوصي بالآتي : -

١/ يوصـــي الباحـــث أن يـــولي البـــاحثون عنـــايتهم واهتمـــامهم بـــأدب ذلك القرن .

٢/ يقتـرح الباحـث دراسـة تتنـاول بعـض شـعراء هـذا القـرن كالمهـذب ابن الزبير وابن النضر وابن القيسراني ، وأبن عنين وغيرهم .

٣/ يوصـــي الباحـــث بدراســـة الشـــعر الـــداعي إلـــي الوحـــدة وتوحيـــد الأمة ضد أعدائها.

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	الآيـــة	الآية	رقم الصفحة
	سورة الأنعام:		
١	﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾.	٣٢	٤٢
	سورة يوسف:		
٢	﴿ وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾.	١٨	١٢٩
	سورة القصص:		
٣	﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾.	٧٧	٤٠
	سورة غافر:		
٤	﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾.	٢٤	١٢٩
	سورة المعارج:		
٥	﴿ كَلا إِنَّهَا لَظَى﴾.	١٥	١٢٩

فهرس الأشعار

قافيـة الهمـزة	الصفحة
تَشَفَّعْ بِهِ فَهْوَ نِعْمَ الشَّفيعُ وسَلْهُ الْمُنى فَهْوَ بَحْرُ السَّخاءِ	٣٥
أنا أشعَرُ الفُقهاء غيرَ مُدافَعٍ في العَصْرِ أو أنا أَفقَهُ الشعراء	١١٤
قافيـة البـــاء	
هذي العزائم لاما تدعي الغضب وذي المكارم لا قالت الكتب	١٣، ١٣٣
ألا إنني أمسكت أغصان دوحة أتت بأفانين الثمار الأطايب	٣٧
وَالناسُ قَد قامَت قِيامَتُهُم وَلا أَنسابَ بَينَهُمُ وَلا أَسبابُ	٤٦
جد الصبا في أباطيل الهوي لعب وراحة اللهو في حكم النهي تعب	٥٠
قَد أَصبَحَ الرِزقُ ما لَهُ سَبَبٌ في الناسِ إِلّا البِغاءُ وَالكَذِبُ	٧١
وَسائِقُ الصِبيانِ أَضحى اِبنُهُ يَسرقُ مِن دارِ الزَكاةِ الذَهَب	٧٤
وما جاء كلب الروم إلا ليحتوى حماة وهل يسطو علي الأسد الكلب	٧٦
وأغن معسول المراشف أشنب صان الجمال بهجرة وتجنب	٩٨
وقد زارَنا رَوْعانَ يَسترقُ الخُطا ليكتُمَ وَصْلاً والكَتومُ مُريب	١٠٥
لله يومُ النيِّرينِ ووجههُ طلقٌ وثغرُ اللهوِ ثغرٌ أشنبُ	١٠٨
خليلي ما بال الكؤوس عواطلا وتبر الطلا الشفاف في قبضة الشرب	١٠٨
وأمـلا الكـؤوس فضـة علـي الذهـب	١٠٩
بدولة التُّركِ عزَّت ملَّةُ العربِ وبابن أَيّوبَ ذلَّت شيعةُ الصُّلب	١٢٦
ما قامَ لَولا هَواكَ المُدنَفُ الوَصِبُ يَبكي الطلولَ وَأَهلُ المُنحَنى غَيَبُ	١٢٧
أَما رَأَيتَ قَميصَ الصُبحِ يا شَفَقاً إِلّا أَتَيتَ عَلَيهِ بِالدَمِ الكَذِبِ	١٢٩
وَقَصائِدٍ مِثلِ الرِّياضِ أَضَعتُها في باخِلٍ ضاعَت بِهِ الأَحسابُ	١٢٩
إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم عصائب طير تهتدي بعصائب	١٣٢
هو الملكُ المحيي المميتُ ببأْسِه ونائِله أَيّانَ يرْضَى ويغضَبُ	١٤٠
سقى اللهُ بالزَّوْراءِ من جانب الغَرْب مَهاً وَرَدَتْ عين الحياةِ من القلبِ	١٤٢
أمسيتُ مثلَ الشّمْعِ يُشرِقُ نورُهُ والنارُ في أحشائِهِ تَتَلَهّبُ	١٤٥

والنقع فوق صقال البيض منعقد	كما استقل دخان تحته لهب	١٤٦
كَأَنَّ مُثارَ النَقعِ فَوقَ رُؤُسِهِم	وَأَسيافَنا لَيلٌ تَهاوى كَواكِبُه	١٤٦
لم يبق منهم بيض بلا رمق	كما التوى بعد رأس الحية الذنب	١٤٧
وائذن لموجك في تطهير ساحله	فإنما أنت بحر لجه لجب	١٤٧
شاهدتُ نملاً قد تجاذَب زهرةً	ذا قد تَمَلّكَها وهَذا يَسلِبُ	١٤٨
أهلاً بطيف خيال زارني سحراً	فقمت والليل قد شابت ذوائبه	١٥٠
حتى استطار شرار الزند قادحة	فالحرب تضرم و الآجال تحتطب	١٥١
قافيـة التـــاء		
وروحيَ للأرواحِ روحٌ وكُلّ ما	تُرى حَسَناً في الكونِ من فَيض طينتي	٣٢
مَدارِسُ آياتٍ خَلَت مِن تِلاوَةٍ	وَمَنزِلُ وَحيٍ مُقفِرُ العَرَصاتِ	٣٨
لايم دع لومي على صبواتي	فما فات يمحوه الذي هو آتِ	٣٨
أَينَ الذي مُذْ لم يزل مخشيّةً	مرجوَّةً رهباتُـهُ وهباتُـهُ	٨٤
أَقْوَى الضَّلالُ وأَقْفَرَتْ عَرَصَاتُهُ	وعَلا الهدى وتبلَّجَتْ قسماتُـهُ	٨٩
أَيا شرفَ الدِّين إنَّ الشَّتا	بكافاتهِ كـفَّ آفاتــهِ	٩١
قافيـة الجيــم		
بُشرى الممالكِ فتحُ قلعةِ منبجِ	فلْيَهْنِ هذا النصرَ كلُّ متوَّجِ	١١
ما بَيْنَ مُعْتَرَكِ الأحداقِ والمُهَجِ	أنا القَتِيلُ بلا إثمٍ ولا حَرَجِ	٢٧
أَدِر كَأسَ المُدامِ عَلَيَّ صِرفاً	وَلا تُفسِد كُؤوسَكَ بِالمِزاجِ	١١٠
أنَا تاجُ فُرسانِ الهِيَاجِ ومَن بِهِمْ	ثَبتتْ أوَاخِي مُلكِ كلِّ مُتوَّجِ	١١١
قافيـة الحــاء		
أَبداً تَحنُّ إِلَيكُمُ الأَرواحُ	وَوِصالُكُم رَيحانُـها وَالراحُ	٢٨
لا تُنكِرَنْ مُرَّ العتاب فَتحتَه	شهدٌ جَنَتْه يدُ الوِدادِ النّاصِحِ	٤٩
أَنت الَّذِي سَفَلَ الأَنَامُ وقد عَلا	أَنت الَّذِي نَقص الأَنامُ وقد رَجَح	٦٥
لا خير في أوجه صباح	تسفر عن أنفس قباح	٧٠
عِندي إِلَيكُم مِنَ الأَشواقِ وَالبُرَحا	ما صَيَّرَ القَلبُ مِن فَرطِ الهَوى سَبَحا	١٠٠

وساق طلا قاس علي فؤاده فما شئت من منع لديه ومن منح	١٠٤
لخمسَ عشرةَ نازلتُ الكُماةَ إلى أن شبتُ فيها وخيرُ الخيلِ ما قَرَحَا	١١٢
قافيـة الــدال	
فَدَتْكَ الصَّواهلُ قُبّاً وَجُرْدا وَشُمُّ الْقَبائِلِ شِيباً وَمُرْدا	٨
وَإِنِّي لَمُهْد إِلَيْكَ الْقَرِيـ ضَ يُطْوى عَلَى النُّصْحِ وَالنُّصْحُ يُهْدا	٨
يا حارس الدين لما نام حارسه وناظماً شمله من بعد تبديد	١٢
تلذُّ لي في هَوَى ليلى معاتبتي لأَنَّ في ذكرها بَرْداً على كَبدي	٢٤
إِلَيكَ المَطايا أَعنقَت يا مُحَمَّدُ إِلى خَيرِ مَن يُسعى إِلَيهِ وَيُحفَدُ	٣٥
أُوَمِّلُ مِن خَيرِ الأَنامِ شَفاعَةً بِها في نَعيمٍ بِالجنانِ أُخَلَّدُ	٣٦
ويوم خمَّ وقد قال النبي له بين الحضور وشالت عضده يده	٣٨
أمَا رأوْا تقلُّبَ الدنيا بِنَا وفتكهَا بِمَنْ إليهَا أخْلَدَا	٤٢
فلو كان غير الموت دافعتُ دونه بطعن يرد السمهريَّ مُقَصَّدا	٥١
كونُوا جميعَاً يا بَنِيَّ إذا اعتَرى خَطْبٌ ولا تتفرقُوا آحادَا	٥٣
أَصبحتُ لا مَنْصِباً ولا أَمَلاً فيه ولا نِعْمةً ولا حَسَدا	٥٩
أيا نور الدين خبا نوره ومذ شاع عدلك فيه اتقد	٦٣
هُم أَطلَقوا طِرفَ الغَلاءِ فَجاءَنا عَن طِرفِ رُخصٍ بِالفَلاةِ مُقَيَّدِ	٧٥
لئن حل فيها ثعلب الغدر "لاون " فسحقاً له قد جاءه الأسد الورد	٧٥
به كل نَشوانةٍ لحظُها يطرق بين يَديْ عربَدَهْ	٩٨
في بني الأَسباط ظبيٌ مالكٌ رِقّ الأســودِ	١٠٤
سِوَايَ يَخَافُ الدَّهْرَ أَو يَرْهَبُ الرَّدى وغيرِي يَهْوَى أَنْ يَكونَ مخلَّدَا	١١٤
ولمّا بَلوْتُ النّاسَ أطلُبُ منهمُ أخا ثقةٍ عندَ اعتراضِ لشَّدائد	١٢٠
سمت قبة الإسلام فخراً بطوله ولم يك يسمو الدين لولا عماده	١٢٥
تَرى المَنسِرَ الديوي يُلقي سِلاحَهُ وَيَنساقُ ما بَينَ السَبايا مُلَهَّدا	١٢٥
ولكنَّني لا أَرْهَبُ الدهرَ إِنْ سَطَا ولا أَحْذَرُ الموتَ الزُؤَامَ إِذَا عَدا	١٢٨
فيا ظفراً عمَّ البلادَ صَلاحُه بمن كان قد عمّ البلادَ فسادُه	١٤٠

هو السّيفُ لا يُغنيكَ إلاّ جِلادُهُ وهل طوّق الأَملاكَ إلاّ نِجادُهُ	١٤١
وَرَدَ الكتابُ فداهُ أسودُ ناظرٍ عكَفَتْ ذخائِرُهُ عليه تبدّدُ	١٥٠
وعن ثغر هذا النصر فالتأخذ الظبا سناها وإن فات العيون اتقاده	١٥١
ولا مِنْبَرٌ إلاّ ترنّح عودُه ولا مُصْحَفٌ إلاّ أنارَ مِدادُه	١٥١
قافية الـراء	
لَمّا مَلَكتَ حُصونَ أَنطاكِيَّةٍ يَئِسَ الصَليبُ وَحِزبُهُ مِن مُظهِرِ	١١
أبى اللّه إلا أن يكون لنا الأمر لتحيا بنا الدنيا ويفتخر العصر	١٤
زِدْني بفَرْطِ الحُبّ فيك تَحَيّرا وارْحَمْ حشىً بلَظَى هواكَ تسعّرا	٢٥
احْذَرْ من الدّنيا ولاَ تَغْتَرَّ بالعُمرِ القَصيْرِ	٤٢
إن فاجَأَتْكَ اللّيالي بما يسوءُ فَصَبْرَا	٥٠
الْق الخُطوبَ إذا طَرَقْ نَ بقلبِ مُحتسبٍ صَبورِ	٥٠
أليس بياض الأفق في الليل مؤذناً بآخر عمر الليل إذ هو أسفرا	٥١
دخلتُ جنَّةَ عَدْنٍ في الحياةِ بهِ فلست أَقرأُ إلا آخِرَ الزُّمر	٥٨
لله عزمك أي سيف وغى طبعت مضاربه علي القهر	٦٤
رَغيفُهُ مِن ذَرَّةٍ يَصنَعُه أو أَصْغَرا	٦٨
كم كنتُ أسمعُ أن الدهرَ ذو غِيَرٍ فاليومَ بالخُبرِ أَستغني عن الخَبَرِ	٧١
يا مَعشَرَ الناسِ حالي بَينَكُم عَجَبٌ وَلَيسَ لي بَينَكُم يا قَومُ أَنصارُ	٧٤
وأرى صياح القمص كان خديعة فطغى وجار وليس ثم وجار	٧٦
يا نورَ دينِ اللَّهِ وَابنَ عِمادِهِ والكوثَرَ ابنِ الكَوثَرِ اِبنِ الكَوثرِ	١٢٤
إلى اللهِ أشكُو رَوعَتي ورزِيَّتي وحُرقَةَ أحشائي لفَقْدِ أبي بَكرِ	٨١
من لسود الخطوب غيرك يجليها بها وقد غاب منك بدر منير	٨٢
أَنَا أَفدِي مُغرَىً بصدِّي وهجري وهو شمسِي ضُحىً وفي الليل بَدْري	٩٧
أجتلي منه في ضحا اليوم شمساً وأرى منه في دجى الليل بدراً	٩٧
زار الحبيبُ وقَدْ قالت له خُدعِي زرْه وقال له الْواشُون لا تَزُرِ	١٠٢
عَذَّبْتَ طَرْفيَ بالسَّهَرْ وأَذَبْتَ قلبيَ بالفِكَرْ	١٠٤

يا لقلبي من نغمة لأوتار وصنوف الريحان والأزهـار	١٠٨
إذا تقوَّسَ ظهرُ المرءِ من كِبَرٍ فعاد كالقوسِ يمشي والعصَا الوترُ	١٢٢
أُعاتِبُ فيكَ الدّهرَ لو أعتبَ الدّهرُ وأستنجِدُ الصّبرَ الجميلَ ولا صَبرُ	١٢٧
أَراكَ عَصِيَّ الدَمعِ شيمَتُكَ الصَبرُ أَما لِلهَوى نَهيٌ عَلَيكَ وَلا أَمرُ	١٣١
أطاعَ الهَوى من بَعدِهم وعصَى الصّبرُ فليسَ له نهيٌ عليهِ ولا أَمرُ	١٣١
لله يومك إذا تبلـج وجهه والشمس مغضبة فليست تنظر	١٤٠
أَمامَ المَحاريبِ بَرّاً حَصُوراً وَتَحتَ الحروبِ هِزَبْراً هَصورا	١٤١
مُعشُرٌ كَالغُيوثِ في حَلبَةِ السِلمِ وَفي الحَربِ كَاللُيوثِ الضَواري	١٤٥
قافيـة السيــن	
يا يومَ حطينَ و الأَبطالُ عابسةٌ وبالعجاجةِ وجهُ الشمسِ قد عَبَسا	١٥
نسفتَ بهِ رأْسَ البرِنْسِ بضربةٍ فأشبهَ رأسي رأْسَهُ العهْنَ والبُرْسا	١٢٦
ضحكت تباشير الصباح كأنها قسمات نور الدين خير الناس	١٣٦، ١٤٧
كَأَنَّ السَماءَ وَقَد أَزهَرَت كَواكِبُها في دُجى الحِندِسِ	١٤٨
قافيـة الشيــن	
فسَدَ الأنامُ فكُلُّ مَنْ صاحَبْتُهُ راجٍ يُنافِقُ أو مُداجٍ خاشِ	١٢١
قافيـة الصاد	
جِهادُكَ النَصرُ لا لَولا تُنَغِّصُهُ وَسَيفُكَ الظِلُّ لا شَمسٌ تُقَلِّصُهُ	١٠
خُذ مِن شَبابِكَ وَانتَهِز أَيّامَ صِحَّتِكَ القُرَص	٤٤
قافيـة الضــاد	
وأجل من جوهر الدنانا عروساً نطقت عن جواهر الأعراض	١٠٩
قافيـة العيــن	
أيا أذن الأيام إن قلت فاسمعي لنفشة مصدور وأنه موجع	٥٩
لعل اعترافي باقْتِرافي شافعُ وهَيْهات لكنّى بذلك طامِعُ	٨٨
قافيـة الفــاء	

ومدحُك في كتابِ الله نَصٌّ وحَسْبُك منه كافٍ أَيُّ كـاف	٣٦
ومسصتغر في الله كل عظيمة ولو أنه منها علي الموت مشرف	٦٠
ولأجله اكتست الاباطح والربى وشياً من الروض الأريض مزخرفا	٦٢
أَماناً فإنِّي مِنْ عِتَابِكَ خائِفُ وعفواً فإنِّي بالجنايةِ عَارِفُ	٨٨
أَإِن حَنَّ مُشتاقٌ فَفاضَت دُموعُهُ غَدَت عُذَّلٌ شَتّى حَوالَيهِ تَعكُفُ	١١٩
قافيـة القــاف	
وَرِثَ السِّيادَة كابراً عن كابرٍ فالعِرْقُ في أُفْق العَلاءِ عَريقُ	٥٨
تَوَلَّت بِهجَةُ الدُّنيـا فَكُلُّ جَديدها خَلـقُ	٧٠
إِنَّ سُلطانَنا الَّذي نَرتَجيـهِ واسِعُ المـالِ ضَيِّقُ الإنفاقِ	٧٢
ولم أنسَها والموتُ يقبِضُ كفَّها ويبسُطُها والعينُ ترنُو وتُطْرِقُ	٨٠
بعثت الكتاب فأهلاً به يسر النواظر تنميقه	٩١
انظُر شَماتَةَ عاذِلي وسُرورَهُ بكُسُوفِ بَدرِي واشتِهار مَحاقِهِ	١٠١
ولكن خشِيتُ الكاشِحين فإنَّني على سِرِّنا مِن أَن يَذيعَ شفيقُ	١٠٢
قافيـة الـلام	
أَما آن أَن يزهَق الباطِلُ وأَنْ يُنْجِز العِدَةَ الماطلُ	١٢
أتزعم ليلى أنني لا أحبها وأني لما ألقاه غير حمول	٢٤
هو الحُبّ فاسلم بالحشا ما الهَوى سهلَ فما اختارَهُ مُضْنى به وله عقْلُ	٢٥
لمعت نارهم وقد عسعس ال ليل ومل الحادي وحار الدليل	٢٦
بانَت سُعادُ فَقَلبي اليَومَ مَتبولُ مُتَيَّمٌ إِثرَها لَم يُجزَ مَكبولُ	٣٤
وكيف أخمل في دنيا وآخرة ومنطقي ورسول الله مأمول	٣٤
كنْ من الدنيا علـى وَجَلِ وتَوَقَّـعْ بَغْتةَ الأَجَل	٤٣
لا تظنن حدبة الظهر عيباً فهي للحسن من صفات الهلال	٦٧
أرى بغضي علي الجهلاء داء يموت ببغضه القلب العليل	٦٩
وما يومُ كلبِ الرُّومِ إلّا أخو الّذي أَزحتَ بهِ ما في الجَناجنِ مِن نبلِ	٧٦
حيّا رُبوعَكِ من رُبىً ومنازِلِ ساري الغَمامِ بكلِّ هامٍ هامِلِ	٨٥

رميت يا دهر كف المجد بالشلل وجيده بعد حسن الحلي بالعطل	٨٦
يا حَبّـذا ذاكَ الغَزا لَ لو شَفـاني غَزلا	٩٧
وأحور في عينيه هاروت بابل رمى فاتقينا نبله بالمقاتل	٩٧
مولايَ قد ذُبْتُ صبراً وكم تُذيب مطالا	١٠٠
بِنَفْسِي عذولٌ لامَ فيكُمْ فردَّ لي بذكرِكُم رَوْحَ الحَياةِ عَذُولُ	١٠١
أصالةُ الرأي صانتْنِي عن الخَطَلِ وحِليةُ الفضلِ زانتني لدَى العَطَلِ	١١٣
فيمَ الإقامُة بالزوراءِ لا سَكَني بها ولا ناقتي فيها ولا جَملي	١١٧
حَنينٌ إلى الأَوطانِ لَيسَ يَزولُ وَقَلبٌ عَنِ الأَشواقِ لَيسَ يَحولُ	١١٨
إن ضعُفَتْ عن حملِ ثِقلِي رجْلِي ورَابَني عِثارُها في السَّهلِ	١٢٢
أَرى القَسَّ يأْمُلُ فَوْتَ الرِّماح ولا بدَّ أَنْ يُضْرَبَ السابل	١٢٦
أَقولُ وَقَد ناحَت بِقُربي حَمامَةٌ أَيا جارَتا هَل تَشعُرينَ بِحالي	١٣٢
ما مَعَ الشَيبِ حَديثٌ في غَزَل قَد شُغِلنا مِنهُ بِالضَيفِ نَزَل	١٣٥
أمَا في الهَوَى حاكِمٌ يَعدِلُ ولا مَنْ يَكُفُّ ولاَ يَعذِلُ	١٣٩
فالعَدْلُ مُنتَشِرٌ والعَزْمُ مُجْتَمِعٌ والعُمْرُ مُقْتَبَلٌ والرأيُ مُكْتَهِلُ	١٤١
زَعمٌ كمُنْبَلج الصَّباح وراءَهُ عَزْمٌ كَحَدِّ السَّيْف صادف مَقْتَلا	١٤٦
تَقولُ صَفيَّةَ و َالصَفوُ مِنها لِغَيري حينَ قَرَّبَتِ الجَمالا	١٥٠
في حصنه غيث وفوق حصانه ليث يكر علي الكماة بمسحل	١٥٢
قافيـة الميـم	
مَزَجنا دِماءً بالدُّموعِ السَّواجِمِ فَلَم يَبقَ مِنّا عَرضَةٌ لِلمَراجِمِ	٩
غزوتَهمُ في أرضِهم وبلادِهمْ وجحفلُهمُ في أرضها مُتزاحِمُ	١٥
أعيا وقد عاينتم الآية العظمى لأية حال تذخر النثر والظما	١٨
فَليسَ بَعد الموتِ دارٌ سِوى جنَّـةِ عَدْنٍ أو لَظىً تَضرَمُ	٤٥
فقلت لها إن الذي خلق الورى تكفل لي بالرزق منا وأنعما	٥٢
تنبه أيها الرجل النئـوم فقد تجمعت بعارضك النجوم	٥٢
أَهذي كَفُّهُ أَم غَوثُ غَيثٍ وَلا بَلَغَ السَحابُ وَلا كَرامَه	٦٠

مُغامِرٌ ترهبُ الآجالُ سطوتَه وتَفرَق الأسدُ منه في حِمَى الأجَمِ	٦١
فَدَتْكَ الملوكُ وأيّامُهَا ودام لنقضِكَ إبْرامُهَا	٦٢
مكّن الله درّتي من أعالي سفل يدعون فيه الإمامةْ	٧٣
كذاك عماد الدين زنكي تنافرت سعادته عنه وخرت دعائمه	٨٣
يا خَيرَ مُنتَصِرٍ لِخَيرِ إمامِ حَقّاً دُعيتَ بِناصِرِ الإسلامِ	٨٩
حَظيتَ مِنَ المَعالي بِالمَعاني وَلاذ النّاسُ بَعدَكَ بِالأَسامي	٩٠
أرقى وهو المحب المستهان ما يداوي بالتعاويذ الغرام	٩٥
نَلْحى الوُشاةَ وإنّ بين جُفوننا لَمَدامعاً تَسْعى لها بنمائِم	١٠١
بِاللّهِ يا هاجِري بلا سببٍ إلّا لِقَالَ الوُشاةُ أو زَعَمُوا	١٠٢
قالوا لقد شابَ الحبيبُ وشابَ فيهِ كُلُّ عَزْمِ	١٠٥
نال فَمِي من ذلِك الريمِ مِثْلَ اسمِه لكنْ بترخيم	١٠٥
من جَامِحِ العَزَماتِ لا يَرضَى على هُونٍ مُقَامَهْ	١١٢
سألزمُ نفسي الصفحَ عن كل من جنى عليَّ وأعفو حسبة وتكرُّما	١١٢
وما ضرني أن كنت رب فضائل وعلم عزيز النفس حراً معظماً	١١٤
أما العلومُ فقد ظَفِرْتُ ببغْيتي منها فما أحتاجُ أنْ أتعلَّمَا	١١٥
ألا إنَّ عِلماً بين جنبيَّ مودَعاً يُضِيءُ ورائي نورُه وأمامي	١١٥
ونزلت مقهور الفؤاد ببلدة قل الصديق بها وقل الدرهم	١١٧
لَيسَ التَعَجّبُ إلا مِن بَني زَمَن لَم يَنزَعِ المُلكُ عَنهُم بُردَةَ اللُؤَمِ	١٢٠
من هاب أسباب المنايا ينلنه وإن يرق أسباب السماء بسلم	١٣٠
رقى سلَّماً للعِزِّ أَوصَلهُ لها فقد نالَ أَسبابَ السماءِ بِسُلَّمِ	١٣٠
وأنتَ أعدلُ من يُشكى إليهِ ولي شَكِيَّةٌ أنتَ فيها الخصْمُ والحَكَمُ	١٣٠
يا أَعدَلَ الناسِ إلّا في مُعامَلَتي فيكَ الخِصامُ وَأَنتَ الخَصمُ وَالحَكَمُ	١٣١
لكن ثِقاتُك ما زالوا بِغِشِّهِمُ حتى استوتْ عندَكَ الأنوارُ والظُّلَمُ	١٣١
وَما اِنتِفاعُ أَخي الدُنيا بِناظِرِهِ إِذا اِستَوَت عِندَهُ الأَنوارُ وَالظُلَمُ	١٣١
طليعتُه الوحشُ الضَّواري مُشيحةً وساقَتُه الطَّيرُ الجوانحُ حُوَّما	١٣٢

أَما ترى البدرَ يجلوه الغدير وقد حفَّت به قُضُبٌ بالنَّوْرِ في لُثُمِ	١٤٨
قافية النــون	
جلت عزماتك الفتح المبينا فقد قرت عيون المؤمنينا	١٦
قُل لِأصحابٍ رأَوني مَيتا فَبَكوني إذ رأوني حزنا	٣٠
محمد خاتم الرسل الذي سبقت به بشارة قسَّ وابن ذي يزن	٣٧
أياك تغنط عند كل شديدة فشدائد الأيام سوف تهون	٥٤
فِدىً لابن أَيوبَ الملوكُ لأَنهم إذا بَخِلو أَعْطَى وإن أَفْقَرُوا أَغْنى	٥٩
يا كاسِرَ الأصنامِ قُم فانهض بنا حتى تصيرَ مُكَسِّرَ الصُّلبانِ	٦١
وبذلت أموال الخزائن بعد ما هرمت وراء خواتم الخزان	٦٢
مَلِكٌ إذا عَلِقَت يَدٌ بِذِمامِهِ عَلِقَت بِحَبلٍ في الوَفاءِ مَتينِ	٦٤
أَينَ وَجهُ الكَسْبِ الَّذي أَنا فيهِ مِن وُجوهُ التُّجَّتار والأعيانِ	٧٣
ما استدرَجَ الموتُ قومي في هلاكِهِمُ ولا تخرَّمَهمْ مَثْنى ووُحدانا	٨١
هذي قصورُهُمُ أمست قبورَهُمُ كذاكَ كانوا بها من قبلُ سكّانا	٨٥
باكـراً شمس القناني تدركا كـل الأمانـي	١١٠
أهكَذا أنَا بَاقِي العمرِ مُغترِبٌ نَاءٍ عن الأهلِ والأوطانِ والسّكَنِ	١١٨
إذا انبرت من فم الابريق تحسبها شهاب ليل رمى في الكأس شيطانا	١٤٩
تملك حولهم شرقاً وغرباً فصاروا لاقتناص تحت رهن	١٥٢
قافيـة الهــاء	
أَيا مَلِكَ النَّحْوِ والحاءُ مِنْ تَهَجِّيهِ من تَحت قد أ عْجَمُوها	٦٩
إذا مـا الشتاء و أمطاره عن الخير حابسـة رادعة	٩٢
إذا احرقت في القلبِ موضعَ سُكناها فَمَن ذا الذي من بَعدُ يُكرِمُ مثواها	٩٥
نَقَشَ الحُسْنُ على وجنَتِهِ شامةً أشْمَتَ حُسّادي بِها	٩٨
ومَنْ رامَ ما أسْمُو إلَيْـهِ أزارَهُ صَوارِمَ تَرْوى بالنّجيعِ ظِماؤُها	١١٣

فهرس المصادر والمراجع

١ / **القرآن الكريم**

٢ / **اتجاهات النقد خلال القرنين السادس والسابع الهجريين** : محمد عبد المطلب مصطفي ، بيروت ط ١ ، ١٩٨٤م .

٣ / **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري** : الدكتور محمد مصطفي هدارة نشر دار المعرفة الجامعية ، د ت .

٤ / **احياء علوم الدين** : لأبو حامد الغزالي دار الحديث القاهرة ج ٤

٥ / **أدب الدول المتابعة** : دكتور عمر موسى باشا ، دار الفكر لبنان ، ١٩٦٧

٦ / **الأدب في العصر الأيوبي** : محمد زغلول سلام ، منشأة دار المعارف ، ١٩٩٤م .

٧ / **الأدب وفنونه** : دكتور عز الدين اسماعيل ، دار الفكر ، ط ٦ ، ١٩٧٦ م .

٨ / **الأدب في بلاد الشام (عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك)** : دكتور عمر موسى باشا / دار الفكر المعاصر بيروت .

٩ / **اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء** : محمد راغب الطباخ ، المطبعة العلمية ، ١٣٤٣ هـ ، ج ٢

١٠ / **الاعـلام** : خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت . د ت .

١١ / **الأسس الجماليـة في النقد الأدبـي** : دكتور عز الدين اسماعيل ، دار الفكر العربي ، ط ١ ، ١٩٥٥م

١٢ / **أنباه الرواة علي أنباء النحاة** : القفطي علي بن يوسف ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الكتب المصرية ، ١٩٥٠م .

١٣ / **البداية والنهاية لإبن كثير** : نشر مكتبة القصر بالرياض ومكتبة المعارف بيروت ١٩٦٦م .

١٤ / **بغيـة الوعـاء فـي طبقـات اللغويين والنحـاة** : للسيوطي ، تحقيق أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٦٥م .

١٥ / **بغية الايضاح لتلخيص المفتاح** : تأليف عبد المتعال الصعيدي ، نشر مكتبة الآداب ومطبعتها ، القاهرة ، ط ٦ ، د ت .

١٦ / **تاريخ الأدب العربي ، عصر الدول والأمارات** : شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط ٣ .

١٧ / **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل** : لمحمد بن محمد بن عبد الكريم ، تحقيق عبد القادر طيمات طبع ونشر دار الكتب الحديثة بالقاهرة سنة ١٩٦٣ .

١٨ / **تاريخ بغداد** : الخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية ، د ت .

١٩ / **تاريخ دمشق** : لإبن قلانسي ، دار حسان ، دمشق ١٩٨٣م .

٢٠ / **تاريخ الأدب العربي ، العصر الاسلامي** : د . شوقي ضيف ، دار المعارف مصر ، ط ٢٠.

٢١ / **تحليل الخطاب الشعري** : د . محمد مفتاح ، دار التنوير بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٥م .

٢٢ / **التصوف بين الحق والخلق** : محمد فهر شقفه ، سوريا، ط ٢ ، ١٩٧٠م .

٢٣ / **التعريفات** : الجرجاني منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت ، د ت .

٢٤ / **الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصداها في الأدب** : دكتور صالح أدم بيلو ، المديرة العامة للمطبوعات المملكة العربية السعودية – مكة ط ، ١٤٠٨هـ

٢٥ / **جواهر الكنز** : لإبن الأثير الحلبي ، تحقيق محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف الاسكندرية ، د ت .

٢٦ / **الحركة الشعرية زمن الأيوبيين في حلب الشهباء** : للدكتور أحمد فوزي الهيب مكتب المعلا الكويت ، ط ١ سنة ١٤٠٧ هـ .

٢٧ / **حقائق عن التصوف** : عبد القادر عيسي ، حلب ط ١ ، ١٩٦٤ ، .

٢٨ / **الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ، مصر و الشام** : أحمد بدوى ، دار النهضة مصر ، د ت .

٢٩ / **الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ، بمصر والشام** : د. أحمد محمد بدوي ، مكتبة نهضة مصر، ب. ت.

٣٠ / **خريدة القصر وجريدة أهل العصر** : للعماد الاصفهاني ، تحقيق قسم شعراء الشام، تحقيق دكتور شكري فيصل ، المطبعة الهاشمية دمشق ١٩٥٥ م .

٣١ / **خزانة الأدب وغاية الإرب** : ابن حجه الحموي ، دار مكتبة الهلال ، ط ٢ ١٩٩١م .

٣٢ / **دلائل الاعجاز** : لعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٢ ١٩٨٩م .

٣٣ / **ديوان ابي تمام** : شرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف مصر ، ط ٤ ، ١٩٧٦م .

٣٤ / **ديوان النابغة الذبياني** : شرح وتقديم عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٤ م .

٣٥ / **ديوان المهذب بن الزبير** : تحقيق محمد بن حميد سالم ، ط١ ١٤٠٩ هـ

٣٦ / **ديوان ابن الخياط** : تحقيق خليل مردوم بك / المطبعة الهاشمية دمشق / تاريخ الطبعة ١٩٨٠م .

٣٧ / **ديوان الأبيوردي** : تحقيق عمر الأسعد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط٢، ١٩٨٧.

٣٨ / **ديوان القاضي الفاضل** : أحمد محمد بدوى ، دار المعرفة القاهرة ، ط ١ ، ١٩٦١م .

٣٩ / **ديوان ابن النبيه** : تحقيق عمر الأسعد ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٦٩م

٤٠ / **ديوان أسامة بن منقذ** : تحقيق أحمد بدوي و حامد عبد الحميد طبعة بالمطبعة الاميرية بمصر ونشرته وزارة المعارف العمومية بمصر سنة ١٩٥٣م .

٤١ / **ديوان ابن الساعاتي** : تحقيق انيس المقدسي المطبعة الامركانية بيروت، د ت

٤٢ / **ديوان ابن الفارض** : شرح مهدي بن ناصر الدين دار الكتب العربية بيروت .

٤٣ / **ديـــوان كعـــب بـــن زهيـــر** : المكتبـــة العربيـــة القـــاهرة ١٩٦٥م .

٤٤ / **ديوان فتيان الشاغوري** : تحقيق أحمد الحيدري مطبوعات مجمع اللغة العربية .

٤٥ / **ديوان ظافر الحداد** : مطبعة حسين نصار ، د ت .

٤٦ / **ديوان طلائع بن زريك** : جمع وتحقيق أحمد بدوي ، مكتبة نهضة مصر ، ط ١ ، د ت .

٤٧ / **ديوان ابن سناء الملك** : تحقيق محمد ابراهيم نصر ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

٤٨ / **ديوان الارجاني** : تحقيق قدري مايو دار الجيل بيروت ط ١ ، ١٩٩٣م .

٤٩ / **ديوان ابن سبط التعاويذي** : لأبي فتح محمد بن عبد الله شرح وتصحيح د . مرجليوث دار صادر ١٩٦٧ م .

٥٠ / **ديوان أبي فراس الحمداني** :شرح شكري فرحات ، دار الجيل بيروت،ط ٢

٥١ / **ديوان بشار بن برد** : شرح محمد الطاهر بن عاشور ، لجنة التأليف القاهرة ط ٢ ، ١٩٦٧ م .

٥٢ / **ديوان أبي الطيب المتنبئ** : تحقيق عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي .

٥٣ / **ديوان ابن الدهان** : تحقيق عبد الله الجبوري ، دار المعارف بغداد ١٩٦٨م.

٥٤ / **ذيل تاريخ دمشق** : ابن القلانس ، دار صادر بيروت ، ١٩٦٤ م .

٥٥/ الرثاء : شوقي ضيف ، دار المعارف مصر ، ١٩٥٥م

٥٦ / **رحلة بن جبير**: أبو الحسن محمد بن أحمد ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٦٤م

٥٧ / **الرسالة القشيرية** : القشيري ، مصر ١٣٤٦ هـ .

٥٨ / **الرسالة الشافعية ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن** : الجرجاني ، تحقيق محمد خلف الله و دكتور محمد زغلول سلام ، دار المعارف القاهرة .

٥٩ / **الروضتين** : ابن شهاب الدين المقدسي المعروف بأبي شامة ، نشر دار الجيل بيروت ، د . ت .

٦٠ / **ابن سناء الملك مشكلة العقم والابتكار** : عبد العزيز الاهواني ، مطبعة الانجلو بالقاهرة ١٩٦٢ م .

٦١/ **ابن سناء الملك حياته وشعره** : تحقيق محمد ابراهيم نصر ، دار الكتاب العربي ، للطباعة والنشر ، ١٩٦٧م

٦٢ / **السهروردي حياته وشعره** : سامي الكيالي ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٦م

٦٣ / **شاعرية العقاد في ميزان النقد الحديث** : د . عبد الحي دياب ، دار الاتحاد العربي للطباعة والنشر .

٦٤ / **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** : ابن العماد الحنبلي ، مكتبة القدس القاهرة ١٣٥٠ هـ .

٦٥ / **شرح المعلقات السبع** : الزوزني ، دار الجيل بيروت ، د . ت .

٦٦ / **شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام** : تألف الدكتور محمد بن علي الهرفي ، مؤسسة الرسالة ، ط ٣ – ١٩٨٠ م .

٦٧ / **صبح الاعشى في صناعة الانشاء** : القلقشندي المؤسسة المصرية العامة .

٦٨ / **الصراع بين الشيعة والتشيع** : د . موسى الموسوي ١٩٧٨ م .

٦٩ / **الصناعتين** : أبو هلال العسكري ، تحقيق علي محمد البيجاوي و محمد أبو الفضل ابراهيم ، نشر عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٢ م .

٧٠ / **الطالع السعيد** : الادفوي سعد محمد حسن ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ م .

٧١ / **عقود الجمان في شعراء هذا الزمان** : أبو البركات مبارك بن الشعار معهد أحياء المخطوطات العربية مصر .

٧٢ / **العمدة** : لابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبري ، مصر ١٩٥٧ م .

٧٣ / **عيار الشعر** : ابن طباطبا العلوي ، تحقيق محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، الاسكندرية . د ت .

٧٤ / **عيون الأبناء في طبقات الأطباء** : ابن أبي اصبيعه ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٢م .

٧٥ / **عيون التواريخ** : ابن شاكر الكتبي ، تحقيق فيصل السامراى ، دار بغداد ١٩٨٠ م .

٧٦ / **الفتوحات المكية** : ابن عربي ، بيروت ، دار الفكر ١٩٧٠م .

٧٧ / **فتح الباري** : شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، دار المعارف بيروت ، د ت .

٧٨ / **فن الشعر** : د . احسان عباس ، دار الثقافة بيروت ١٩٥٩م .

٧٩ / **فن البديع** : عبد القادر حسين ، دار الشروق القاهرة ١٩٨٣م .

٨٠ / **فن الهجاء وتطوره عند العرب** : أيليا الحاوي ، دار الثقافة بيروت . د ت .

٨١ / **في الفلسفة الإسلامية** : د . ابراهيم مدكور ، مكتبة البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٤٧م .

٨٢ / **في النقد الأدبي** : د . شوقي ضيف ، دار المعارف مصر ١٩٦٢م .

٨٣ / **القاموس المحيط** : الفيروزابادي تحقيق مكتبة التراث بيروت ، د ت .

٨٤ / **قضايا النقد القديم والحديث** : محمد زكي العشماوي ، دار العلوم . د ت

٨٥ / **الكامل في التاريخ** : بن الاثير ، إدارة الطباعة المنيرية مصر ، ١٢٥٧ هـ

٨٦ / **الكواكب الدرية في السيرة النورية** : تقي أبو بكر بن أحمد ، تحقيق د . محمود زايد ، دار الكتاب الجديد د ، ت .

٨٧ / **لسان العرب** : ابن منظور ، دار إحياء التراث العربي مؤسسة التاريخ العربي بيروت .

٨٨ / **المختص في أخبار البشر** : أبو الفداء ، المطبعة الحسينية ، مصر ١٣٢٥هـ

٨٩ / **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** : ابن الاثير ، تحقيق د . أحمد الحوفي و د . بدوي طبانة ، مكتبة نهضة مصر ١٩٥٩م .

٩٠ / **مدخل للتصوف الاسلامي** : التفتازاني ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٦م .

٩١ / **المديح** : سامي الدهان ، دار المعارف ، د ت .

٩٢ / **مرأة الزمان في تاريخ الاعيان** : تأليف شمس الجوزي ، نشر دار المعارف العثمانية ، حيدر اباد ، ط ١ ، ١٣٧٠ هـ .

٩٣ / **المرشد في فهم أشعار العرب وصناعتها** : د . عبد الله الطيب ، دار الخرطوم للنشر ، ط ٤ ، ١٩٩١م .

٩٤ / **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب** : جمال أحمد بن سالم ، تحقيق جمال الدين السبال ، دار القلم بيروت ١٩٦٠ م .

٩٥ / **المصطلح النقدي في نقد الشعر** : إدريس الثاغوري ، منشأة العامة طرابلس ، ط ٢ ، ١٩٨٤م .

٩٦ / **معجم تهذيب اللغة** : لابن منصور الهروي الازهري ، تحقيق رشيد عبد الرحمن العبيدي ، المطبعة المصرية القاهرة ١٩٧٠

٩٧ / **معجم الادباء** : ياقوت الحموي ، مطبوعات دار المامون ، مصر ١٩٣٦م .

٩٨ / **معجم مقاييس اللغة** : أحمد بن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل بيروت ، د ت ، ج ٢ .

٩٩ / **مقدمة ابن خلدون** : عبد الرحمن خلدون ، دار الجيلاني بيروت ، ١٩٨٣ م

١٠٠ / **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** : ابي فرج عبد الرحمن بن علي الجوزي ، مطبعة دار المعارف العثمانية الهند ، ط ١ ، ١٣٥٩ هـ .

١٠١ / **النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة** : ابن تغربردي ، مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد مصر ، د ت .

١٠٢ / **نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب** : أحمد المقري التلمساني ، تحقيق د . احسان عباس ، دار صار بيروت ١٩٦٨م .

١٠٣ / **نقد الشعر** : قدامة بن جعفر ، تحقيق كمال مصطفي ، مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٦٣م .

١٠٤ / **الهجاء الهجاؤون في الجاهلية** : د . محمد محمد حسين ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ط ٣ ، د ت .

١٠٥ / **وفيات الاعيان وابناء الزمان** : بن خلكان ، تحقيق د . احسان عباس ، دار صادر ١٩٦٨ .

١٠٦ / **الوافي بالوفيات** : للصفدي ، حلب ، ط١ ، ١٩٦٤م .

١٠٧ / **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر** : الثعاليبي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة القاهرة ، ١٩٥٦م ج ٤ .

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
شكر وتقدير	ب
المقدمة	ج
التمهيد	١-٦
الفصل الأول الاتجاه الديني	٧-٥٥
المبحث الأول : شعر الجهاد والحماسة الدينية	٧-١٩
المبحث الثاني : شعر التصوف	٢٠-٣٢
المبحث الثالث : شعر المديح النبوي	٣٣-٣٩
المبحث الرابع : شعر الزهد	٤٠-٤٧
المبحث الخامس : شعر الحكم والوعظ	٤٨-٥٠
الفصل الثاني : الاتجاه الاجتماعي	٥١-٩٢
المبحث الأول : شعر المديح	٥٦-٦٥
المبحث الثاني : شعر الهجاء	٦٦-٧٨
المبحث الثالث : شعر الرثاء	٧٩-٨٦
المبحث الرابع : شعر الاخوانيات	٨٧-٩٢
الفصل الثالث : الاتجاه الوجداني	٩٣-١٢٢
المبحث الأول : شعر الغزل	٩٣-١٠٦
المبحث الثاني : شعر الخمريات	١٠٧-١١٠
المبحث الثالث : شعر الفخر	١١١-١١٥
المبحث الرابع: شعر الشكوى والحنين	١١٦-١٢٢
الفصل الرابع : الصورة الفنية	١٢٣-١٥٣
المبحث الأول : اللغة والأسلوب	١٢٣-١٣٣
المبحث الثاني : الموسيقى والأوزان	١٣٤-١٤٢

المبحث الثالث : الصورة الشعرية	١٤٣-١٥٣
الخاتمة و التوصيات.	١٥٤-١٥٦
الفهارس العامة	١٥٧-١٨١
فهرس الآيات	١٥٧
فهرس الأشعار	١٥٨-١٦٦
فهرس المصادر والمراجع	١٦٧-١٧٩
فهرس المحتويات	١٨٠-١٨١